
قصص القرآن
للأطفال
الشيخ
محمود المصري أبو عمار
مكتبة الصفا




قصص القرآن
لِلأطفال

بسم الله الرحمن الرحيم



الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

رقم الإيداع: ٢٠٠٩/٢٣٢٦٥

مكتبة الصفا

١٢٧ ميدان الأزهر القاهرة ت: ٢٥١٤٧٣٢٠

١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر ت: ٢٥١٤٧٩٧٤/ ٠١٠١٤٣١١١٤

قصص القرآن

للأطفال

الشيخ

محمود المصري

أبو عمار

مكتبة الصفا



مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فالإسلام هو دين الهدى والنور، الذى لا سعادة للبشرية ولا أمن لها، ولا سعادة فى الدنيا والآخرة، إلا عندما تهتدى بهداه، وتستضىء بنوره، مخلصة فى عبوديتها لله الخالق، تأتمر بأمره، وتتبع منهجه، نابذة كل منهج من المناهج الأرضية المخالفة له.

والأولاد أمانة فى أعناق الوالدين، والوالدان

مسؤولان عن تلك الأمانة، والتقصير فى تربية الأولاد خلل واضح، وخطأ فادح؛ فالبيت هو المدرسة الأولى للأولاد، والبيت هو اللبنة التى يتكون من أمثالها بناء المجتمع، وفى الأسرة الكريمة الراشدة التى تقوم على حماية حدود الله وحفظ شريعته، وعلى دعائم المحبة والمودة والرحمة والإيثار والتعاون والتقوى - ينشأ رجال الأمة ونساؤها، وقادتها وعظماؤها.

والولد قبل أن تربيه المدرسة والمجتمع - يربيه البيت والأسرة، وهو مدين لأبويه فى سلوكه الاجتماعى المستقيم.

ومكتبة الصفا تقوم بدورها فى توعية المجتمع بواجباته الدينية والاجتماعية كما تعودت دائمًا، فبعد أن وفقها الله لطباعة ونشر القرآن الكريم، ونشر كتب التفسير والحديث.

ونشر كتب الداعية الكبيـر فضيلة الشيخ «محمود المصرى».

نقدم اليوم درة تضاف إلى مطبـوعاتنا وهو كتاب «قصص القـرآن للأطفال» لفضـيلة الداعية محـمود المصرى.

اسـتطاع فـيه - حـفظه الله - أن يتـحـدث مع الأطفال بلغة عصرية جميلة.

يعلمهم فـيه أصول دينهـم، عن طريق القصص والحكايات.

وسـتـرى أخى القارئ الكـريم مدى السـلاسـة والسهولة الـتى تميزت بها عبارات هذا الـكتاب حتى يناسب عقول رجال المستقبل.

ونعدكم أخى القارئ الكريم بمزيد من المطبوعات فى كافة المجالات، التى نرجو من الله عـز وجل أن يتقبلها منا قبولاً حسنًا وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين.

إنه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مكتبة الصفا

جعلها الله مناراً لخدمة العلم والدين

بين يدى الكتاب

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(1).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(2).

(1) سورة آل عمران: الآية: (102).

(2) سورة النساء: الآية: (1).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(١).

أما بعد:

فإن من أعظم النعم التى أنعم الله بها على الإنسان (نعمة الأولاد) فهم منحة إلهية وهبة ربانية فهم زينة الحياة وزهرتها وهم أمانة فى نفس الوقت - يجب أن نحافظ عليها - فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾(٢).

وقال ﷺ - كما فى الصحيحين -: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

فالإحسان إلى الأولاد وتربيتهم أداء للأمانة... وإهمالهم والتقصير فى حقوقهم غش وخيانة.

(١) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

(٢) سورة التحريم: الآية: (٦).

* ومن المعلوم أن من أكثر الوسائل تأثيرًا فى الطفل المسلم: القصة - ولذا نجد كثيرًا من المُعلمين كانوا يلجأون فى الماضى والحاضر للأسلوب القصصى فى توصيل المعلومة للطفل المسلم.. ولكن بكل أسف كان أكثرهم يختارون القصص الغربية التى تدمر الأخلاق والفضيلة فى نفس الطفل المسلم.

ونسى هؤلاء أن تاريخنا الإسلامى المجيد غنى بأحسن القصص الذى يعلم أطفالنا الأخلاق الحميدة والسلوكيات القويمة... وعلى رأس هذا القصص قصص الأنبياء والمرسلين وعلى رأسهم سيرة الرسول ﷺ ثم قصص الصحابة الأطهار ثم قصص التابعين الأخيار.

* وها أنا الآن أضيف لهذا القصص الهادف أعظم أنواع القصص ألا وهو: «قصص القرآن».

فالقرآن منهج حياة ينبغى أن نربى عليه أولادنا.

ولقد أورد الله جل وعلا القصص فى القرآن من أجل أن نأخذ منه العظة والعبرة .

وها أنا اليوم أقدم لأبنائى وأحبابى كتاب : «قصص القرآن» بأسلوب سهلٍ ميسور من أجل أن ينتفعوا به وليتعلموا حُب القرآن وحُب القصص الذى جاء فى القرآن .

فهيا يا أحبابى لنتعايش بقلوبنا مع قصص القرآن .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الرحمن

محمود المصرى

أبو عمار

قصة بقرة بنى إسرائيل

كان ياما كان.

كان فى بنى إسرائيل شــاب فقير فى كل شىء. . .
فقــير فى المال وفــقير فى الأخــلاق ليس عنده دين ولا
أمانة.

وكان له عمٌّ غنى كثير المال وكانت له ابنة جميلة جداً
فكان هذا الشــاب يتمنى مـوت عمه فى أقـرب وقت من
أجل أن يرث المال الكثير ويتزوج ابنة عمه الجميلة.

ولكن عـمه عـاش طويلاً وكـان فى غـاية الصحـة
والعافية.

فتعجل هذا الشاب موت عــمه من أجل أن يستمتع
بالمال.

وأخذ هذا الشــاب يدبر تلك المؤامرة الحـقيـرة لقتل

عمـه. . . إلى أن استطاع فى ليلة من الليـالى أن يقتل عـمـه. . . وحتى لا يعـرف الناس أنه هو الذى قـتل عمـه، أخذ جـثة عـمه وألقـاها أمام بيت أحـد أقاربه وجلس يبكى على باب البيت وكأنه حزينٌ على موته.

فلما مـرَّ الناس عليه وجدوه يبـكى ويتهم أهل هذا البيت بقتل عمه.

فخرج أصحاب البيت وأقسموا أنهم لم يقتلوه.

وضاع الحق بين الناس ولم يعرفوا مَن القاتل!!!

وذهبوا إلى نبى الله موسى (عليـه السلام) وأخبروه بخبر هذا الرجل المقتول.

فقـام نبى الله موسى (عـليه السلام) وجـمع الناس وقـال لهم: أسألكـم بالله من الذى يعلـم قـاتل هـذا الرجل؟ . . فلم يرد أحد.

فـقـال له رجل منهم: يا نبى الله لماذا لا تسـأل ربك حتى يخبرك بخبر القاتل.

فسأل موسى ربه (جل وعلا) فأمرهم أن يذبحوا بقرة.

فتعجب الناس من ذلك وظنوا أن موسى (عليه السلام) يستهزئ بهم.

فقال لهم موسى (عليه السلام): ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[1]: أى أعوذ بالله أن أخبركم بشيء لم يأمرني الله به أو أن أستهزئ بشيء من أوامر الله فلقد أخبرتكم بما أمر الله به.

* ولقد كان يكفيهم أن يذبحوا أى بقرة؛ لأن الله (جل وعلا) لم يحدد لهم أى مواصفات لتلك البقرة ولكن شددوا فشدد الله عليهم.

فسألوا عن سنها فأخبرهم بأنها متوسطة العمر لا كبيرة ولا صغيرة فسألوا عن لونها فأخبرهم بأنها صفراء فاقع لونها تسر الناظرين.

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٦٧).

ثم شددوا أيضًا: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾[1] .

فأخبرهم بأنها بقرة ليست مُذللة أو مُعدَّة للحرث ولا لسقى الأرض بالساقية . . سالمة من العيوب ليس فيها أى لون يخالف لونها فهى صفراء خالصة الصفرة .

فلما حددها بهذه الصفات: ﴿قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾[2] .

أخذوا تلك المواصفات من موسى (عليه السلام)، وراحوا يبحثون عن بقرة تتصف بها .

بحثوا عند بنى إسرائيل، فلم يجدوا إلا بقرة واحدة فقط تتصف بها، كانت تلك البقرة لشاب يتيم فقير . كان بارًّا بأبيه الذى مات، وبارًّا بأمه التى ما زالت تعيش .

فساوموه على بيعها لهم، فساومهم، وبقى يساومهم، ويرفع سعرها تدريجيًّا، وهم يراجعونه

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٧٠).

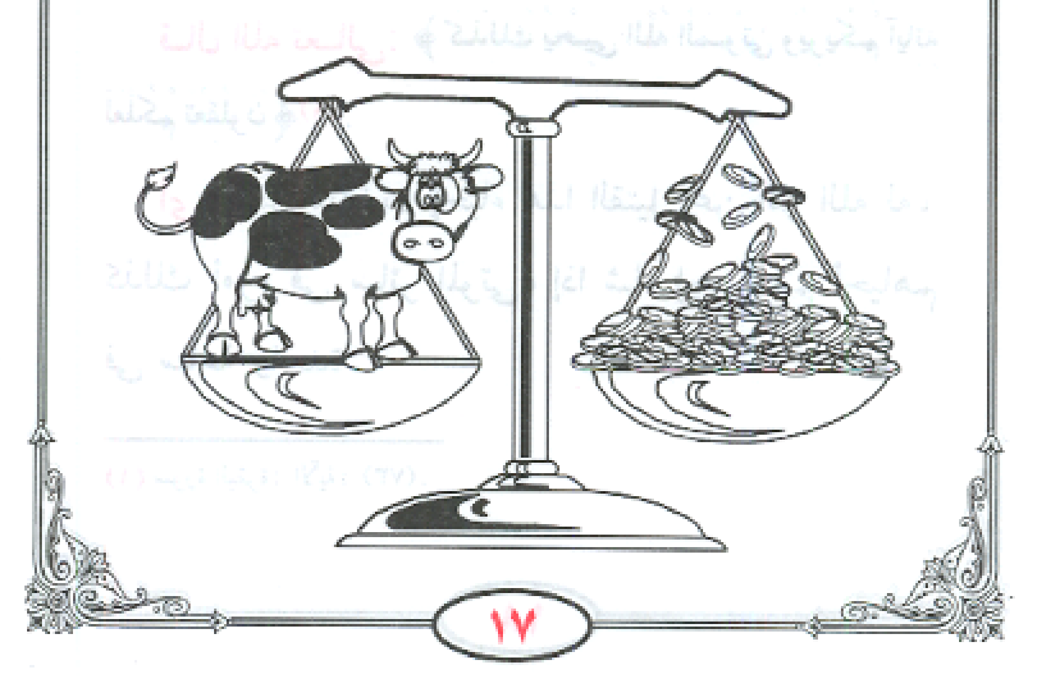
(٢) سورة البقرة: الآية: (٧١).

ويساومونه: رفع سعرها من مائة دينار، ثم إلى مائتين. ثم إلى أربعمائة. ثم إلى ثمانمائة.

ثم طلب منهم أن يضعــوها فى الميزان، وأن يدفعوا له ثمنها بما يساوى وزنها ذهبًا!

فاضــطروا إلى الموافقــة لعدم وجــود بقرة غيــرها. ودفعوا للشــاب ما طلبه، فصار من كبـار الأغنياء لبرِّهِ بوالديه.

أخــذوا البقــرة وذبحــوها، ثم أخــذوا جزءًا منهــا، وضربوا بها جسد القتيل.





أحيا الله القتيل، وتكلم لهم قائلاً: لقد قتلنى فلان ابن أخى. ثم مات.

فحُرِم الشاب القاتل من ميراث عمه، عقوبة له على جريمته ومنذ ذلك اليوم لم يُورَّث قاتل من ميراث المقتول.

قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(١).

أى: كما شاهدتم إحياء هذا القتيل عن أمر الله له، كذلك أمره فى سائر الموتى، إذا شاء إحياءهم أحياهم فى ساعة واحدة.

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٧٣).

الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم لا ينبغى أن يطمع فى أموال الناس من حوله بل عليه أن يرضى بقضاء الله وأن يحمد الله على رزقه ولو كان قليلاً.

(٢) أن المسلم لا يمكن أن يصل به الطمع إلى أن يقتل مسلمًا من أجل أن يحصل على ماله... بل إن المسلم لا يظلم أحدًا ولا يقتل أحدًا لأنه يخاف من غضب الله وعقابه.

(٣) المسلم لا يكذب.. وقد رأينا كيف أن هذا الشاب لما قتل عمه وضع جثته أمام أحد البيوت واتهم أصحاب البيت بقتله فكانت العاقبة أن فضحه الله وعلم الناس أنه هو القاتل.

(٤) أن الله إذا أمرنا بشىء فعلينا أن ننفذ أوامر الله ولا نتشدد حتى لا يشدد الله علينا.

(٥) أن بر الوالدين من أعظم الطاعات التى يتقرب

بها المسلم إلى الله (جل وعلا) . . . بل هو من أسباب سعة الرزق .

ولقد رأينا كيف أن هذا الشاب الذى كان بارًّا بوالديه ومات أبوه ولم يترك له سوى بقرة . . فقدَّر الله أن يحتاج بنو إسرائيل إلى بقرة ذات مواصفات لا توجد إلا فى هذه البقرة فيعطيهم البقرة مقابل وزنها ذهبًا .

(٦) أن الله كما أحيا هذا القتيل فإنه قادر على إحياء الموتى ليحاسبهم ويجازيهم على أعمالهم .

❊ ❊ ❊

هاروت ومارت

حبايبي الحلوين.

هل تريدون أن تعرفوا قصة هاروت وماروت؟

إذا أردتم أن تعرفوها فتعالوا أولاً لنقرأ الآيات التي وردت بشأن هذه القصة ثم نذكر بعدها هذه القصة.

قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢) وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[١].

(١) سورة البقرة: الآيتان: (١٠٢-١٠٣).

حبايبى الحلوين: والآن تعالوا بنا لنعرف القصة من أولها.

ولكن لابد أن نعلم أن هذه القصة تنقسم إلى قسمين:

فالقسم الأول منها يحكى اتهام المجرمين لنبى الله سليمان عليه السلام بأنه كان ساحرًا كافرًا.. وستعلمون من خلال القصة أن سليمان عليه السلام كان نبيًا كريمًا ولم يكن ساحرًا كافرًا - عياذًا بالله -.

أما القسم الثانى فيحكى قصة ملكين كريمين من الملائكة ألا وهما: هاروت وماروت.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع هاتين القصتين ولكن بعد أن تصلوا على حبيبنا محمد رسول الله ﷺ.

* القصة الأولى:

قال تعالى: ﴿ واتَّبعوا ما تتلوا الشَّياطين علىٰ مُلك سليمان وما كفر سليمانُ ولكنَّ الشَّياطين كفروا يعلِّمون النَّاس السِّحر ﴾ (١).

لقد كانت الشياطين تصعد إلى السماء وتقعد فى

(١) سورة البقرة: الآية: (١٠٢).

أماكن تسمع فيها ما سيحدث فى الأرض من مقادير الخلائق فيستمعون إلى كلام الملائكة ويعرفون ما الذى سيحدث فى الأرض من موت أو غيب أو رزق أو غير ذلك ثم يأتون الكهنة والسحرة فيخبرونهم بذلك.

فإذا جاء الناس إلى السحرة والكهنة وذكروا لهم بعض تلك الغيبيات وحدث الذى أخبروهم به ظنوا أن السحرة والكهنة يعلمون الغيب.

فلما أصبح الكهنة موضع ثقة الناس بدأوا يزيدون مع كل كلمة يعرفونها من الشياطين سبعين كلمة... فكتب الناس تلك الأخبار الكاذبة فى كتبهم... وانتشر فى بنى إسرائيل أن الجن تعلم الغيب.

ولما بعث الله نبيه سليمان عليه السلام وسمع هذا الكلام غضب غضبًا شديدًا لأنه لا يعلم الغيب إلا الله... فقام نبى الله سليمان عليه السلام فجمع تلك الكتب ووضعها فى صندوق ثم دفنها تحت الكرسى

الذى يجلس عليه وقال: لا أريد أن أسمع أحدًا يذكر أن الشياطين يعلمون الغيب... ومن سمعته يقول ذلك ضربت عنقه بالسيف.

ولم يكن أحد من الشياطين يستطيع أن يقترب من كرسى سليمان عليه السلام إلا احترق.

فلما مات سليمان عليه السلام وذهب العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان. وخلف من بعد ذلك خلف، تمثَّل الشيطان في صورة إنسان... ثم أتى نفرًا من بنى إسرائيل فقال لهم: هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبدًا قالوا: نعم، قال: فاحفروا تحت الكرسى، فذهب معهم وأراهم المكان وقام ناحيته فقالوا له: اقترب... فقال: لا.. ولكننى ها هنا فى أيديكم فإن لم تجدوه فاقتلونى. فحفروا فوجدوا تلك الكتب. فلما أخرجوها قال الشيطان: إن سليمان إنما كان يضبط الإنس والشياطين والطير بهذا السحر... ثم طار

وذهب. وفشا فى الناس أن سليمان كان ساحرًا واتخذت بنو إسرائيل تلك الكتب.

وظل الناس يظنون أن سليمان عليه السلام كان ساحرًا إلى أن بعث الله نبينا محمدًا ﷺ فأنزل الله عليه: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾(١).

ويقال: أنه كان هناك رجل يقال له (آصف) وهو كاتب سليمان عليه السلام وكان يعلم اسم الله الأعظم.

وكان يكتب كل شىء بأمر سليمان ويدفنه تحت كرسيه فلما مات سليمان، أخرجته الشياطين فكتبوا بين كل سطرين سحرًا وكفرًا. وقالوا: هذا الذى كان سليمان يعمل به قال: فأكفره جُهال الناس وسبوه ووقف لهم العلماء ودافعوا عنه... فلم يزل جُهال الناس يسبونه حتى أنزل الله سبحانه على النبى محمد ﷺ: ﴿واتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾(٢).

(١)، (٢) سورة البقرة: الآية: (١٠٢).

*** القصة الثانية:**

أما عن القصة الثانية وهى قصة هاروت وماروت.

وخلاصتها أنه كان هناك مدينة فى العراق اسمها (بابل) وكان اليهود قد نشروا فيها السحر وأرهبوا الناس وجعلوهم يعيشون فى رعبٍ وفزع بسبب انتشار السحر والسحرة فى (بابل).

فأنزل الله ملكين كريمين.. اسم أحدهما (هاروت) واسم الآخر (ماروت) وجعلهما يهبطان فى مدينة بابل.

وكان اليهود قد أوهموا سكان مدينة بابل أن الساحر يستطيع أن يضرهم وينفعهم وأنه يملك مقاليد كل شيء.. فاستطاعوا بذلك أن يُرهبوا أهل المدينة وأن يُخضعوهم ويُسخروهم لخدمتهم.

فأنزل الله هاروت وماروت ليكشفوا الحقيقة لأهل بابل وليزيحوا هذا الكابوس من على قلوبهم وليُخلصوهم من تسلُّط اليهود عليهم.

فكانت مهمة هاروت وماروت فى بابل متعلقة بالسحر والسحرة، وإزالة ما علق فى نفوس الناس من هلعٍ وفزعٍ بسببه. فكانا يُعلِّمان الناس فى بابل السحر، ويكشفان لهم حقيقته، ويقدمان لهم المبادئ والأسس التى يقوم عليها، ويزيلان «الهالة» الضخمة المرسومة حوله.

وكأنهما يقولان لهم: إن السحر يمكن أن يتعلمه الإنسان وإنه ليس ألغازًا وطلاسم، بل هو مثل أى علم من العلوم، يحصل بالتعليم والكسب، وإن الساحر لا يضر شخصًا ولا ينفع آخر، إلا بإذن الله.

ولكنهما كانا يُعلِّمان السحر لكشف حقيقته وتحذير الناس منه، لا ليتعلموه ويمارسوه ويعملوا به، ولهذا كانا لا يُعلِّمان من أحد حتى يقولا: إنما نحن فتنة، فلا تكفر. أى: فلا تعمل بالسحر ولا تمارسه.

وانتهت مهمةُ الملكين ببابل «هاروت وماروت».

وصعدا إلى السماء ملكَيْن كريمين، كما نزلا منها ملكَيْن كريمين.

ولكن أهلَ بابل لم يأخذوا بنصيحة الملكين الكريمين، بل استغلوا تعليمهما السحر لهم فى الشر والفساد، وصاروا يمارسون السحر مع الآخرين، ويفرقون به بين المرء وزوجته.

وقد ذمَّهم الله بذلك التصرف الضال فقال: ﴿ويَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[1].

❋ ❋ ❋

(١) سورة البقرة: الآية: (١٠٢).

الدروس المستفادة:

(١) أن الشياطين لا تعلم الغيب وأن السحرة والكهنة لا يعلمون الغيب بل ولا يوجد أي إنسان يعلم الغيب حتى الأنبياء... فلا يعلم الغيب على إطلاقه إلا الله (جل وعلا).

قال تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾[١].

وإذا كان الله جل وعلا قد أطلع بعض الأنبياء على بعض الغيبيات فهذا لا يعني أنهم يعلمون الغيب كله... فلا يعلم الغيب كله إلا الله.

(٢) أن الشياطين كانوا يصعدون إلى السماء ويستمعون إلى كلام الملائكة وينقلونه إلى الكهنة...

---

(١) سورة الجن: الآيات: (٢٦-٢٨).

ولكن بعد بعثة النبي محمد ﷺ لا يستطيع شيطان أن يفعل ذلك فإن أراد أن يفعل ذلك سلط الله عليه الشُّهب لتحرقه.

(٣) أنه لا يجوز أن نتهم أي نبي من الأنبياء بأي تهمة وذلك لأنهم صفوة خلق الله وهم الذين اختارهم الله واصطفاهم.

(٤) أن السحر كفرٌ وأن الساحر كافر وحكمه القتل.

(٥) أنه لا يجوز لمسلم أن يتعلم السحر ولا أن يذهب إلى ساحر أو كاهن أو عراف... فمن ذهب إلى كاهن أو ساحر فسأله ولم يصدقه فلن تُقبل له صلاة أربعين يومًا.. فإذا سأله وصدقه فقد كفر بما أُنزل على النبي محمد ﷺ.

❋ ❋ ❋

طالوت وداود وجالوت

كان ياما كان .

كان بنو إسرائيل قد عاشوا فترة من الزمن على الإيمان والاستقامة وكان الله جل وعلا يرسل إليهم الأنبياء ليرشدوهم إلى طريق الحق وإلى طريق الخير .

ولكنهم مع مرور الزمن بدَّلوا وحرفوا وابتعدوا عن طاعة الله كثيراً ووقعوا فى معصية الله وعَبَد بعضهم الأصنام .

وظل الأنبياء يأمرونهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر ومع ذلك ظلوا على حالهم من المخالفة والعصيان إلى أن سلط الله عليهم أعداءهم فقتلوا منهم عددًا كبيراً وأسروا منهم عددًا كبيرًا وأخذوا منهم بلادًا كثيرة .

* وكان بنو إسرائيل قبل وقوعهم فى المعاصى لا

يقاتلون أحدًا إلا غلبوه... وذلك لأنهم كان عندهم التوراة والتابوت الذى كان فى قديم الزمان.. وكان ذلك التابوت قد ورثوه جيلاً بعد جيل من موسى عليه السلام وكان فيه أشياء كثيرة تركها موسى وآله وهارون وآله عليهما السلام.

كان التابوت نعمةً من نعم الله على بنى إسرائيل وكان لهذا التابوت عندهم شأنٌ عجيب، ونبأ طريف: كانوا إذا اشتبكوا مع أعدائهم فى قتال، أو التقَوْا بهم فى ساحة نِزَال، يحملونه بين أيديهم، ويقدِّمونه فى صفوفهم، فينشرُ فى قلوبهم سكينةً واطمئنانًا، ويبعثُ فى أعدائهم هلعًا ورعبًا؛ لسر عجيب فيه، ومزايا خصهُ الله بها.

فلم يزل بنو إسرائيل فى غيهم وضلالهم حتى استطاع أحد الملوك أن يأخذ منهم التابوت والتوراة فى بعض حروبهم ولم يكن فيهم أحد يحفظ التوراة إلا القليل.

وانقطعت النبوة من أسباطهم، ولم يبق من سبط

(لاوى) الذى يكون فيه الأنبياء إلا امرأة حامل من زوجها وقد قُتل. فأخذوها فحبسوها فى بيت واحتفظوا بها لعل الله يرزقها غلامًا يكون نبيًا لهم، ولم تزل المرأة تدعو الله عز وجل أن يرزقها غلامًا، فسمع الله لها ووهبها غلامًا، فسمَّته شمويل أى سمع الله دعائى ومنهم من يقول: شمعون فأنبته الله نباتًا حسنًا، فلما بلغ سن الأنبياء أوحى الله إليه، وأمره بالدعوة إليه وتوحيده، فدعا بنى إسرائيل.

وظل شمويل يتابعهم بالدعوة ويأمرهم بالتوبة والعودة إلى الله جل وعلا وترك عبادة الأصنام... وبعد جهدٍ كبير عادوا إلى الله جل وعلا وتابوا من عبادة الأصنام وبدأوا يصلون ويصومون حتى يرضى الله عنهم.

* ولكنهم لم ينسوا ذل الهزيمة التى لحقت بهم من قبل وكيف أن التابوت قد أُخذ منهم وكذلك التوراة..

فأرادوا أن يغيروا واقعهم الذليل وأن يبدلوا ذُلهم وهزيمتهم نصرًا وعزًا.

وأخذوا يفكرون كيف يعود إليهم العز مرة أخرى فلم يجدوا إلا سبيلاً واحدًا ألا وهو الجهاد فى سبيل الله جل وعلا.

فذهبوا إلى نبيهم شمويل عليه السلام وقالوا له: نريد منك شيئًا عزيزًا ونتمنى ألا ترد طلبنا.

فقال شمويل عليه السلام: ماذا تريدون؟

قالوا: نريد منك أن تختار لنا ملكًا يتولى أمرنا ويقودنا فى قتال أعدائنا حتى تعود إلينا العزة مرة أخرى.

ولكن شمويل عليه السلام يعلم أنهم لا يصدقون فى وعودهم أبدًا، وأنهم عندما يؤمرون بالقتال فسوف ينكصون ويفرون من الجهاد.

فقال لهم: ولكن هل لو كتب الله عليكم الجهاد فى

سبيله هل ستصدقون وتقاتلون؟

قالوا: نعم سنقاتل. . . إننا ننتظر هذه اللحظة بفارغ الصبر حتى ننزع الذل الذى نعيش فيه وتعود إلينا العزة. . . وكيف لا نقاتل وقد أخرجنا من ديارنا. . . وأصبح أبناؤنا عبيداً عند أعدائنا.

فلما رأى شمويل إصرارهم على الجهاد فى سبيل الله سأل ربه جل وعلا فأوحى الله إليه أنه قد استجاب له ولقومه وأنه قد اختار طالوت ليكون هو ملكهم الذى يقودهم إلى النصر والعزة والتحرير.

خرج شمويل على بنى إسرائيل وهم فى غاية الشوق لمعرفة الملك الذى سيقودهم فى حروب العزة والنصر.

فقال لهم شمويل: إن الله قد استجاب لدعائنا واختار لكم ملكًا ليكون لكم قائدًا فى جهادكم.

ففرحوا بذلك أشد الفرح وقالوا: من هو يا شمويل؟

فقال لهم: إنه طالوت.

فاعترضوا ورفضوا رفضًا شديدًا وقالوا: كيف يكون طالوت ملكًا علينا وهو فقير لا يملك مالاً وليس من بيت الملك وعائلة الملوك... فنحن أحق بالملك منه.

فقال شمويل: إن الله هو الذى اختاره عليكم وليس اختيارى أنا فلماذا تعترضون؟!

لقد تعجب نبى الله شمويل من موقف هؤلاء القوم الذين كانوا يريدون أى ملك، فلما اختار الله لهم طالوت ملكًا اعترضوا. فبيَّن لهم النبى المواصفات التى تؤهله للملك، وأنه هو أنسب الناس للملك حسب الميزان الربانى الإيمانى: إن الله اصطفاه عليكم، والله حكيم خبير. وإن الله زاده بسطة فى العلم وتمكنًا منه، وأن الله زاده بسطة وقوة فى الجسم تعينه على النهوض بأعباء الملك ومشقات القيادة. ثم لماذا يعترضون عليه؟ إن الله يؤتى ملكه من يشاء، والله واسع عليم، وطالما أن الله آتى طالوت الملك فهو الملك المؤهل له.

فقالوا له: نريد علامة وآية تدل على أن الله هو الذى اختار لنا طالوت ملكًا.

فقال لهم شمويل: إن الآية والعلامة التى تؤكد لكم أن الله قد اختار لكم طالوت ملكًا أن يأتيكم التابوت الذى أُخذ منكم وفيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين.

يأتيهم التابوت الذى كان لهم، يأتيهم وحيدًا بدون قتال، ولا حرب، ولا انتصار على أعدائهم الذين سلبوه منهم، إن الملائكة هى التى ستحمل هذا التابوت، وتوصله إليهم.

وحملُ الملائكة للتابوت وتوصيله إليهم دليل على أن الله رضى لهم طالوت ملكًا، والملائكة رضيت لهم طالوت ملكًا.

وهذا التابوت كان يحوى سكينةً من ربهم، والسكينة

هى الطمأنينة والراحة والرضى واليقين، كما كان يحوى بقيةٌ مما ترك آل موسى وآل هارون. ولعل هذه البقية شيء مادي ورثوه عن آل موسى وآل هارون.

وتحققت الآية التى وعدهم بها نبيهم، وحملت لهم الملائكة التابوت، وأوصلتْه إليهم، فوافقوا على تملك طالوت عليهم.

* ومنذ هذه اللحظة وأصبح طالوت ملكًا على بنى إسرائيل.

وكان بنو إسرائيل فى قمة السعادة لعودة التابوت مرة أخرى.

* وتمر الأيام ويعلم طالوت أن الأعداء يجهزون أنفسهم لقتالهم وكان على رأس جيش الأعداء رجل يقال له (جالوت) وكان حاكمًا ظالمًا.

فأخذ طالوت يجهز جيشه من بنى إسرائيل ويبث فيه الروح المعنوية ويُذكرهم بالأجر والثواب لمن خرج

مجاهدًا فى سبيل الله . . ويُذكرهم بأن الله جل وعلا وعد عباده المؤمنين بالنصر والتمكين .

* وفى اليوم المحدد خرج بهم طالوت للقاء الأعداء فى هذه المعركة الفاصلة فلما خرج بجنوده وكان جيشه ثمانين ألفًا قال لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾[1] أى مختبركم بنهر وهو نهر الشريعة بين الأردن وفلسطين .

فعندما تمرون عليه لا تشربوا منه، فمن خالف أمرى وشرب منه فليس من جيشى، فلا يتبعنى، لأنه ليس جنديًا منضبطًا مطيعًا. أما من لم يشرب من النهر والتزم الأمر وأطاع فإنه منى.

وسار جيش بنى إسرائيل فى الشمس المحرقة حتى أصابهم العطش الشديد وبعد فترة وصلوا إلى نهر الشريعة . . فلما رآه الجنود انطلقوا ليشربوا فنادى عليهم طالوت وقال: تذكروا أنى قلت لكم: أن من شرب من النهر فسوف يعود ولن يحارب معى . . وأما من شرب

(1) سورة البقرة: الآية: (٢٤٩).

شربة واحدة فسوف يأتى معى ليجاهد فى سبيل الله.

فما كان منهم إلا أن انطلقوا نحو النهر وشربوا جميعًا منه إلا عددًا قليلاً منهم.

ثمانون ألفًا شربوا ما عدا ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً هم الذين أطاعوا طالوت ولم يشربوا من النهر.

فعاد الثمانون ألفًا إلى بيت المقدس وعبر الباقون من الجيش نهر الشريعة مع طالوت ووصلوا إلى الشاطئ الآخر.

وسار طالوت بالقلة المؤمنة المطيعة حتى وصل بهم إلى أرض المعركة الفاصلة مع الأعداء.

* وهنا أصبح عدد الجيش قليلاً جدًا وكان جيش العدو كبيرًا فأحس بعض أفراد الجيش الذين صبروا مع طالوت أنهم أضعف بكثير من جالوت وجيشه وقالوا: ﴿لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده﴾[1].

(1) سورة البقرة: الآية: (٢٤٩).

لكن الفئة القليلة الثابتة أيقنوا أن النصر ليس بالعدد والعتاد وإنما النصر من عند الله (جل وعلا) فقالوا لطالوت: امضِ لسبيلك فإنا - إن شاء الله - سوف ننتصر عليهم ولو كان عددنا قليلاً ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1].

داود (عليه السلام) يقتل جالوت

والتقى الجيشان.. جيش الإيمان وعلى رأسه طالوت.. وجيش الطغيان وعلى رأسه جالوت.

فما كان من الفئة القليلة المؤمنة التي ثبتت مع طالوت إلا أن توجهوا بالدعاء إلى فاطر السماوات والأرض طالبين منه أن يرزقهم الصبر والثبات والنصر على الأعداء.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[2].

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٤٩).
(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٥٠).

* وكانت المعارك فى هذا الزمان وحتى زمان التابعين لا تبدأ إلا بعد مبارزة بين رجلين بالسيف.

فخرج الملك الظالم جالوت قائد جيش الأعداء.. وكان قويًا عملاقًا.. خرج وهو يلبس دروعه الحديدية ومعه سلاحه فبدأ يطلب منهم أن يُخرجوا له رجلاً يبارزه فخاف كل الجنود الذين كانوا مع طالوت.

* وبدأ جالوت الظالم يصرخ فى أرض المعركة: ألا يوجد فيكم رجل قوى يخرج فيبارزنى.. فلم يخرج أحد.

فأخذ جنود الأعداء يضحكون ويسخرون من جيش طالوت.

* وهنا وقف طالوت ونادى على الجيش وقال: من منكم يخرج ليبارز جالوت؟ فلم يرد عليه أحد.

فقال طالوت: من منكم يخرج ليبارز جالوت.. وسوف أزوجه ابنتى وأجعله قائدًا على الجيش؟

* يا لهـا من جائزة عظيـمة. . . ويا لها من مـنحة كبيـرة. . . لقد عرض عليهم طالوت عرضًـا مغريًا. فإن الذى سيـبارز جالوت وينتصر عليه فـسوف يصبح قائدًا للجيش ويتزوج ابنة الملك ويعـيش معه فى القصر الذى يعيش فيه.

لكن كل رجل فى جـيش طالوت يعلم جيـدًا مدى قوة جـالوت. . ويعلم أن من خرج ليـبارزه فـمصيـره الموت ولن يعيش لحظة واحدة ليصبح قائدًا على الجيش أو يتزوج ابنة الملك. . ولهذا لم يخـرج أحد من جيش بنى إسرائيل.

* وهنا برز جالوت الملك الظالم وهو يلبس دروعه الحديدية ومعه سـلاحه وبدأ يطلب منهم أن يُخرجوا له رجلاً يبارزه فخاف كل الجنود الذين كانوا مع طالوت.

* وفجأة برز من جيش طالوت غلام صغير كان يرعى الغنم اسمـه داود (عليه السـلام) وكان مؤمنًـا بالله وكان

يعلم يقينًا أن القوة ليست هى قـوة السلاح أو الجسد وإنما هى قوة الإيمان واليقين والثقة فى الله (جل وعلا).

وكما قلت كان طالوت الملك قـد وعد أفراد الجيش أن من استطاع منهم أن يقتل جالوت فإنه سيجعله قائدًا على الجيش ويزوجه ابنته.

ولم يكن داود يهتم كثيرًا لهذا الإغراء، فقد كان يريد أن يقتل جالوت؛ لأن جـالوت رجل جبـار وظالم ولا يؤمن بالله، . . . وسمح الملك لداود أن يبارز جالوت.

وتقدم داود بعصـاه وخمسة أحجار ومـقلاعه (وهو نبلة يستخدمهـا الرعاة) وتقدم جالوت المدجج بالسلاح والدروع، وسـخـر من داود وأهانه وضـحك منه ومن فقـره وضعـفه، ووضع داود حـجرًا قويًا فى مقـلاعه وطوح به فى الهـواء وأطلق الحجـر، فأصـاب جالوت فقتله، وكانت مفاجأة مذهلة للجيشين.

وبدأت المعـركة وانتصـر جيش طالوت على جيش

جـالوت، بعد أن اسـتغـفـر الجيش كله الله، ودعـوه سبحانه وتوسلوا إليه وذلوا له، فنصرهم وقهر عدوهم.

وأصبح داود (عليه السلام) ملكًا لبنى إسرائيل

وكـمـا قلنا: إن طالوت كـان قد وعـد داود (عليـه السلام) إن قتل جالوت أن يزوجه ابنته ويُشركه فى أمره فلما قتل داودُ جـالوتَ وفَّى له طالوت بما وعده وجعله قائدًا على الجيش.. ثم أصبح داود (عليه السلام) بعد ذلك ملكًا على بنى إسـرائيل فجـمع الله له بين الملك والنبوة.

❋ ❋ ❋

الدروس المستفادة:

(١) أن المؤمن هو الذى يستقيم على طاعة الله.. وإذا وقع فى معصية فإنه يسارع إلى التوبة ليتوب الله عليه ويرضى عنه.

(٢) أن العبد إذا عصى ربه فإنه يُعرِّض نفسه لزوال النعمة... وقد رأينا كيف أن بني إسرائيل لما عصوا ربهم هُزموا وأُخذ منهم التابوت والتوراة فى وقت واحد.

(٣) أن قيمة العبد عند الله بإيمانه ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1] ولذلك فقد اختار الله طالوت ملكًا رغم أنه فقير.. وذلك لأنه كان مؤمنًا تقيًا شجاعًا قويًا.

(٤) أن العبد ليس له اختيار مع أمر الله جل وعلا.. فإذا أمر الله عبده بشيء فعليه أن ينفذ أمره دون أن يفكر أو يختار.

(٥) أن القائد لا بد أن يختبر جنوده قبل أن يخوض أى معركة ليتأكد أن الذين يجاهدون معه عندهم صبر وإرادة وقدرة على الجهاد.

---

(١) سورة الحجرات: الآية: (١٣).

(٦) أن القليل من الرجال هم الذين يصبرون ويثبتون عند الشدائد... فقد رأينا أنه لم يثبت من الثمانين ألفًا إلا ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً فقط.

(٧) أن النصر من عند الله.. وأنه كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله.

(٨) أن المسلمين لا بد أن يسألوا الله ويُلحوا في الدعاء من أجل أن ينصرهم.

(٩) أنه لا يظهر معدن الرجال إلا في ساحة الجهاد.. وقد رأينا كيف أن داود عليه السلام كان غلامًا صغيرًا ولكنه انتصر على جالوت القائد المغوار.. وذلك لأنه توكل على الله.

(١٠) أن المؤمن إذا وعد فلا بد أن يصدق في وعده.. وقد رأينا كيف أن طالوت لما وعد داود بأنه إذا انتصر على جالوت فإنه سيزوجه ابنته ويجعله قائدًا على الجيش.. فلما انتصر داود وفَّى طالوت بوعده له.

قصة العُزير

كان يا ما كان.

كان فى سالف الزمان رجل صالح اسمه: (عُزير).

وكان عُزير يعيش فى قرية قريبة من بيت المقدس وكان عنده أرض يزرعها ويعيش من حصادها.

وفى يوم من الأيام خرج إلى أرضه.. وبينما هو فى الطريق أصابه الحر الشديد، فوجد أرضًا خربة من خرائب وأطلال بيت المقدس، فدخل فيها ليستظل بظل أحد جدرانها.

نزل عُزير من على حماره وكان معه سَلَّة فيها تين وسلة فيها عنب، فأخرج قصعة كانت معه واعتصر فيها من العنب الذى كان معه، ثم أخرج خبزًا يابسًا فألقاه فى تلك القصعة ليبتل ليأكله، ثم استلقى على قفاه

وأسند رجليه إلى الحائط.

وأخـذ عُزير ينظر إلى سـقف تلك البيـوت الخـربة وهي خاويـة على عروشهـا وقد هلك أهلهـا ولم يبق منهم أحد.. ورأى عظامًـا بالية فتعـجب وقال: كيف يُحيي الله هذه القرية بعد موتها.

ولم يقل هذا الكلام وهو يشك في قدرة الله ولكنه كان متعجبًا من شدة الخراب الذي حدث لتلك القرية.

فأرسل الله إليه ملك الموت في التوِّ واللحظة فأماته الله مائة عام.

وفي هذه الفترة حدثت أشيـاء كثيرة... فلقد مات أناس وخُلِقَ أناس وتغيرت معالم الكون.

وبعـد مـرور المائة عـامَ أرسل الله إلى عُـزير ملكًا فخلق قـلبه ليعـقل به وعينيـه لينظر بهمـا -بإذن الله- ويرى كيف يُحيي الله الموتى.

فرأى عُزير كيف تمَّ تركـيب خلقه وهو ينظر وكيف

كسا اللحم عظامه، ثم كسا اللحم الجلد والشعر، ثم نُفخ فيه الروح.

كُلُّ ذلك يحدث لعُزير وهو ينظر ولا يكاد يصدق ما يحدث له.

إنه يرى نفسه وكأنه يُخلق من جديد.. وهو حتى هذه اللحظة لا يدرى ما الذى حدث له.

فقد أماته الله مائة عام وهو لا يدرى أنه مات مائة عام بل إنه يظن أنه كان نائمًا... ولذلك لما استوى جالسًا سأله الملك: كم لبثت؟

قال: لبثت يومًا أو بعض يوم.. وذلك لأنه نام فى أول النهار عند الظهيرة وبُعث فى آخر النهار والشمس أوشكت على الغروب، فظن أنه نام لمدة خمس ساعات أو أقل من ذلك.

وإذا بالملك يخبره بالمفاجأة التى كادت أن تذهب بعقله.

قـال له الملك: بل لبـثت مائة عـام. . وإذا أردت أن تتأكـد من هذا الخبر فانظر إلى طعـامك وشرابك الذى كان معك، فإنه لم يتغير رغم مرور مائة عام عليه.

ومازال عُـزير يظن أنه كان نائمًـا ولذلك لم يتغـير طعامـه وشراب فـهو حتى هذه اللحـظة لا يصدق أنه مات مائة عام.

فـأراد الملك أن يقطع الشك باليـقين فقـال لعُـزير: إن كنت لا تصدق ذلك فانظر إلى حمارك.

فنظر عُزير إلى حمـاره، فوجده ميتًا وقـد تهشمت عظامـه وبينما وقف عُـزير ينظر إلى حمـاره فى حـيرة ودهشة وإذا بالملك ينـادى على عظام الحمار، فـأجابت وأقبلـت من كل ناحيـة حتى أخذ المـلك يُركبهـا على بعضها. . . وعُزير ينظر إليه متعجبًا.

وبعـد أن قام المـلك بتركـيب العظام ووضع عـليهـا العروق والأعـصاب، ثم كـساها باللحم وأنبت عليـها

الجلد والشعـر، ثم نفخ فيه، فقـام الحمار رافعًا رأسه وأذنيه إلى السماء وهو ينهق.

فلما رأى عُـزير كل هذا أمام عينيـه قال: أعلم أن الله على كل شيء قدير.

* وبعد هذا الموقف العـصيب قـام عُزير من مكانه وركب حماره وانطلق عائدًا إلى قريته وهو لا يدرى ما الذى حدث فيها خلال المائة عام التى مضت.

فلمـا وصل عُزير إلى قـريته، لم يعـرفه أحـد من الناس ولم يعـرف هو أحـدًا من الناس بل ولم يعـرف شوارع القرية فقد تغير كل شيء.

أخذ عُـزير يبحث عن بيـته حتى وجـده بعد جَـهد ومشقة.

فطرق على الباب وهو ينتظر أن يرى ابنه الذى تركه منذ مائة عـام وكان يبلغ من العمر عشـرين سنة وكان عُزير يبلغ من العـمر وقتـها أربعين سنة... وكـان قد

ترك في البيت أَمَة له تبلغ من العمر عشرين سنة .

* فلما طرق الباب، لم يرد عليه أحد . . فأعاد الطَّرق مرة أخرى وإذا بامرأة كبيرة في السِّنِّ يبلغ عمرها مائة وعشرين سنة قد عمي بصرها تفتح الباب وتقول: مَن على الباب؟

فقال لها عزير: يا هذه أهذا منزل عزير؟

قالت: نعم. وبكت. وقالت: ما رأيت أحداً من كذا وكذا يذكر عُزيراً، وقد نسيه الناس.

قال: فإني أنا عُزير.

قالت: سبحان الله! فإن عُزيراً قد فقدناه منذ مائة سنة، فلم نسمع له بذكر!

قال: فإني أنا عُزير، كان الله قد أماتني مائة سنة، ثم بعثني!

قالت: فإن عُزيراً كان رجلاً مستجاب الدعوة، يدعو للمريض ولصاحب البلاء بالعافية والشفاء، فادع الله أن

يرد عليّ بصرى حتى أراك، فإن كنت عُزيرًا عرفتُكَ.

فدعا ربّه، ومسح يده على عينيها ففتحتهما، وأخذ بيدها وقال: قُومى بإذن الله، فأطلق الله رجلها، فقامت صحيحة، كأنّما نشطت من عقال.

فنظرت إليه، فقالت: أشهد أنّك عُزير.

فانطلقت معه إلى المجلس الذى يجتمع فيه أهل القرية... فإذا بعُزير يرى ابنه الذى كان قد تركه منذ مائة عام وهو ابن العشرين... يراه الآن وقد بلغ من العمر مائة وعشرين سنة... وعُزير ما زال فى سنّ الأربعين فأصبح ابنه أكبر منه بثمانين سنة!!!

فقالت لهم هذه المرأة: هذا عُزير قد جاءكم.

فكذبها الناس وقالوا: كيف ذلك وقد حدثنا آباؤنا أن عُزيرًا قد مات منذ مائة سنة بأرض بابل.

فقالت: أنا مولاتكم فلانة، دعا لى ربه، فردّ علىَّ بصرى، وأطلق رجلى، وزعم أن الله كان أماته مائة

سنة، ثم بعثه.

فنهض الناس، فأقبلوا إليه، فنظر إليه ابنه، وقال: كانت لأبى شامةٌ سوداء بين كتفيه! فكشف عن كتفيه، فإذا هو عُزير!

ففرح الناس من بنى إسرائيل فرحًا شديدًا؛ لأن عُزيرًا هو الوحيد الذى كان يحفظ التوراة كاملة.. وعندما غاب مائة سنة عنهم، قام (بختنصر) وحرق لهم التوراة، فلم يبق منها أى شىء إلا ما يحفظه بعض الرجال.

وهنا قام الناس ورحبوا بعُزير وطلبوا منه أن يكتب لهم التوراة كاملة.

فقال لهم: انتظروا فإن أبى كان قد دفن التوراة أيام (بختنصر) فى مكان لا يعرفه إلا أنا فتعالوا بنا لنذهب إلى هناك ونحضر التوراة.

* وانطلقوا جميعًا حتى وصلوا إلى ذلك المكان بصعوبة بعد أن تغيرت معالم القرية... فحفروا حتى

استخرجوا التوراة فوجدوا أوراقها قد تعفنت وتغيرت معالمها فحزنوا حُزنًا شديدًا.

فما كان منهم إلا أن طلبوا من عُزير أن يكتب لهم التوراة من جديد، فجلس عُزير تحت ظل شجرة وجلس بنو إسرائيل حوله، فكتب لهم التوراة من جديد وعاش مع قومه في خير وسعادة إلى أن مات ورحل عن هذه الدنيا.

* ولقد أورد الله (جل وعلا) القصة كاملة في كتابه، فقال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

(1) سورة البقرة: الآية: (٢٥٩).

الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم لابد أن يكون له عمل شـريف يعمله ليأكل من كسب يده لقمة من الحلال.

(٢) أن الله على كل شيء قدير وأنه لا يُعـجزه أى شيء، فهـو الذى يُحيى ويميت ويرزق ويملك مـقادير الكون كله (جل وعلا).

(٣) فى هذه القصة دلالة واضحة على ثبوت البعث يوم القيامة.

(٤) أن الله يتولى عبده المؤمن ويحفظه ويحميه.

❋ ❋ ❋

تيه بنى إسرائيل

لما خرج موسى (عليه السلام) ومن معه من بنى إسرائيل هاربين من بطش فرعون... خرج فرعون وراءهم بجيشه ليقضى عليهم... ووصل موسى ومن معه إلى شاطئ البحر فنظر خلفه فإذا بفرعون وجنوده من ورائهم: ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾[1]... أى أن فرعون سيدركنا.

وإذا بموسى (عليه السلام) يصرخ بلسان اليقين والثقة والتوكل ويقول: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[2].

لم يكن موسى يدرى كيف ستكون النجاة، لكن قلبه كان ممتلئًا بالثقة بربه، واليقين بعونه، والتأكد من النجاة، فالله هو الذى يوجهه ويرعاه، وفى اللحظة الأخيرة،

(١) سورة الشعراء: الآية: (٦١).
(٢) سورة الشعراء: الآية: (٦٢).

يجيء الوحي من الله: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾[1] فضربه، فوقعت المعجزة ﴿فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾[2] وتحقق المستحيل فى منطق الناس، لكن الله سبحانه وتعالى إن أراد شيئًا قال له: كُن فيكون.

ظهر طريق يابس وسط البحر، الأمواج كالسورين على جنبتى الطريق، وهرع موسى وقومه يسيرون فى هذا الطريق الممهد داخل البحر والأمواج من حولهم، سبحان الملك!! ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ﴾[3].

غرق فرعون .. فهل من معتبر؟

ووصل فرعون إلى البحر، شاهد هذه المعجزة، شاهد فى البحر طريقًا يابسًا يشقه نصفين، وموسى وقومه يسيرون فى هذا الطريق اليابس فى وسط البحر فى أمان تام، ووقف فرعون يتأمل موسى وقومه والأمواج من

(١)، (٢) سورة الشعراء: الآية: (٦٢).

(٣) سورة الشعراء: الآية: (٦٣).

حولهم والأرض يابسة تحت أقدامهم، ولم يفكر لحظة، أسرع خلفهم يطاردهم، وطمع فرعون في إدراكهم، فأمر جيشه بالتقدم، وحين انتهى موسى من عبور البحر، أوحى الله إلى موسى أن يترك البحر على حاله ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾[1]، وكان الله سبحانه وتعالى قد قدَّر إغراق فرعون وإنهاء أمره، فما أن صار فرعون وجنوده في منتصف البحر، حتى أمر الله سبحانه وتعالى البحر، فانطبقت الأمواج على فرعون وجيشه، وغرق فرعون وجيشه،... غرق العناد ونجا الإيمان بالله.

اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة

لقد عانى نبي الله موسى (عليه السلام) أشد المعاناة في دعوته لبني إسرائيل فلقد علمنا كيف أن بني إسرائيل كانوا يعيشون في ذل وهوان من فرعون وقومه، فأكرمهم الله بهلاك فرعون أمام أعينهم وأخرجهم إلى

(١) سورة الدخان: الآية: (٢٤).

الأرض الطاهرة ليعيشوا وينعموا بالعزة والحرية والكرامة مع نبي الله موسى (عليه السلام).

* وكانوا منذ لحظات قد شاهدوا بأنفسهم كيف أن الله (عز وجل) قد أنجاهم من البحر وأغرق فرعون وقومه أمام أعينهم .. وما إن أنجاهم الله وشق لهم البحر حتى مروا على قوم يعبدون الأصنام .. وبدلاً من أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، وإذا بهم يقولون لموسى (عليه السلام): اجعل لنا إلهًا مثل هذا.

قال تعالى مصورًا هذا المشهد: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1].

* لقد اشتاقوا وعاودهم الحنين لأيام الشرك التي عاشوها في ظل فرعون.... فما كان من نبي الله موسى (عليه السلام) إلا أن أنكر عليهم ذلك قائلاً:

---

(١) سورة الأعراف: الآيتان: (١٣٨ ، ١٣٩).

﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٤٠) وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[1].

موسى (عليه السلام) يذهب لميقات ربه.. ويأخذ ألواح التوراة

ولما ذهب موسى لميقات ربه (جل وعلا) وترك أخاه هارون على قومه وأوصاه، فقال: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[2].

* وفي هذه المرة اشتاق موسى (عليه السلام)؛ لأن يرى ربه (عز وجل) لكن الله أخبره بأنه لن يستطيع رؤيته (جل وعلا).

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي

(١) سورة الأعراف: الآيات: (١٣٩- ١٤١).
(٢) سورة الأعراف: الآية: (١٤٢).

أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1] .

* واصطفى الله موسى (عليه السلام) برسالاته وبكلامه وكتب له ألواح التوراة التى كان فيها كل شيء يحتاجه بنو إسرائيل فى دينهم من المواعظ والأحكام التى توضح الحلال من الحرام.

وأمره الله (عز وجل) أن يأخذ ما فى التوراة بجدٍّ واجتهاد وأن يأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بما فيها.

* لقد انتهى ميقات موسى (عليه السلام) مع ربه (جل وعلا).. ولم يكن على وجه الأرض إنسان أسعد من نبى الله موسى فلقد كلمه ربه (جل وعلا) واصطفاه وأكرمه غاية الإكرام.

* * *

(١) سورة الأعراف: الآية: (١٤٣).

قصة موسى (عليه السلام) والسامرى

لما انتهى موسى (عليه السلام) من ميقات ربه وانحدر من قمة الجبل وهو يحمل ألواح التوراة التى كتبها الله له وكان فى قمة سعادته بتكليم ربه وتكريمه له وإذا به يعلم من ربه (جل وعلا) نبأً يسوؤه فعاد إلى قومه غضبان أسفًا.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ (٨٣) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥) فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ﴾[1].

* لقد تذكر موسى (عليه السلام) المعاناة التى عاشها مع بنى إسرائيل وكيف أنه تعب فى تعليمهم وتربيتهم وتثبيتهم .. وكان يظن أنهم يسيرون على أثره.

* وكانت فتنة السامرى قد وقعت بمجرد خروج

(١) سورة طه: الآيات: (٨٣ - ٨٦).

موسى إلى ميقات ربه. . . . وتفصيل هذه الفتنة أن بنى إسرائيل لما خرجوا من مصر أخذوا معهم الكثير من حُلى الفراعنة وذهبهم.

فقد كانت نساء بنى إسرائيل قد استعرن هذا الذهب للتزين به، فلما أرادوا الخروج حملوه معهم فلما كتب الله لهم النجاة من بطش فرعون وتعذيبه سألوا علماءهم عن حكم هذا الذهب الذى أخذوه من الفراعنة بغير حق، فأمرهم العلماء بالتخلص من الذهب. . فاستجابت النساء وألقوا بهذا الذهب والحُلى وقذفوا بها لأنها حرام. . فأخذها السامرى وكان أحد علمائهم وصنع منها تمثالاً على شكل عجل وكان السامرى عنده مهارة عجيبة فى النحت فصنع عجلاً مجوفًا من الداخل وأخذه ووضعه فى اتجاه الريح فإذا دخل الهواء من الفتحة الخلفية وخرج من الأنف أحدث صوتًا يشبه صوت خوار العجول الحقيقية.

ويقال: إن السرَّ فى هذا الخوار أن السامرى كان قد

رأى جبريل (عليه السلام) عندما نزل إلى الأرض وكان راكبًا فرسًا - وذلك في معجزة شق البحر - فأخذ قبضة من التراب الذى سار عليه الفرس وخلطها بالذهب الذى صنع منه العجل الذهبى فلما صنعه خار العجل كالعجول الحقيقية.

وخرج السامرى على بنى إسرائيل ليريهم هذا العجل الذهبى.

فسألوه: ما هذا الذى صنعته يا سامرى؟

قال: هذا إلهكم وإله موسى.



قالوا: كيف يكون هذا إلهه وقد ذهب موسى لميقات إلهه.

قال السامرى: لقد نسى موسى...، ذهب للقاء ربه هناك، بينما ربه هنا.

وهبَّت موجة من الرياح فدخلت من دُبر العجل الذهبى وخرجت من فمه فخار العجل، وصاح بنو إسرائيل مهللين كالأطفال،... وعبَّد بنو إسرائيل هذا العجل.

* وفى يوم من الأيام خرج هارون (عليه السلام) على بنى إسرائيل فوجدهم يعبدون العجل الذهبى فغضب غضبًا شديدًا، وأخذ ينهاهم عن هذا المنكر الأكبر ويحذرهم ويهددهم ويُذكرهم بالله (جل وعلا) ولكن القوم انقسموا إلى فريقين: فمنهم القلة المؤمنة الصابرة الذين ثبتوا على الحق وعلموا أنه ليس هناك من يستحق العبادة إلا الله (جل وعلا).. ولكن أكثر الناس عبدت العجل الذهبى من دون الله (جل وعلا).

* وظل هارون (عليه السلام) ينصح لهم ويقول لهم: ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾[(١)].

هذا ليس ربكم ولا رب موسى .. فربكم هو الرحمن الرحيم.

ولكن القوم لم يستجيبوا لهارون (عليه السلام)..

فأخذ هارون يُذكرهم بما أكرمهم الله به من إنقاذهم من بطش فرعون وإنقاذهم من البحر وإغراق فرعون أمام أعينهم لكنهم رفضوا كل ذلك وقالوا كلمتهم الأخيرة.

﴿ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾[(٢)].

* كان من الواضح أن هارون (عليه السلام) كان سهلاً لينًا ولذلك كان القوم لا يخافون منه .. وكان من الممكن أن يقوم هارون بتحطيم العجل الذهبي لكنه خشي أن تثور فتنة كبيرة بين القوم، فآثر هارون

---

(١) سورة طه: الآية: (٩٠).

(٢) سورة طه: الآية: (٩١).

أن ينتظر حتى يرجع موسى (عليه السلام) فهو قادر بقوته وشخصيته القوية أن يقف أمام هؤلاء القوم ويمنعهم من هذا الشرك الذى وقعوا فيه دون أن يكون هناك فتنة أو أى إراقة للدماء.

* وقف القوم يرقصون حول العجل الذهبى .. وإذا بموسى (عليه السلام) يرجع وهو فى قمة الغضب والحزن فسمع صياح القوم وهم يرقصون حول العجل وما إن رأوه حتى توقفوا جميعًا ودبَّ الرعب فى قلوبهم وساد صمت عجيب فصرخ فيهم موسى قائلاً:

﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي﴾[1].

بئس ما صنعتم فى غيابى .. بئست الخيانة أن تغيروا دينكم بهذه السهولة.

* وفى تلك اللحظة من الغضب العارم الذى انتاب موسى (عليه السلام) وإذا به يُلقى الألواح غضبًا على قومه الذين أشركوا بالله (جل وعلا).

(١) سورة الأعراف: الآية: (١٥٠).

ثم اتجه موسى نحو هارون وهو فى قمة الغضب لله (سبحانه وتعالى) وأمسك هارون من شعر رأسه وشعر لحيته وجذبه بشدة قائلاً له: ﴿ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴾[1].

كأنه يريد أن يقول: حتى أنت يا هارون!!... كيف عصيت أمرى؟.. كيف تسكت على هذه الفتنة الكبيرة؟.. كيف تركتهم يعبدون العجل ولم تُنكر عليهم أو تخرج وتتركهم؟

* وإذا بهارون يتحدث إلى أخيه موسى ويرجو منه أن يترك رأسه ولحيته وهو يذكره بأنهما أبناء أُمٍّ واحدة، ليكون ذلك أدعى لاستحضار كل مشاعر الرحمة والحنان.

﴿ قَالَ يَا بْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾[2].

وهنا أدرك موسى أنه قد تعجّل فى حكمه على

---

(١) سورة طه: الآيتان: (٩٢، ٩٣).

(٢) سورة طه: الآية: (٩٤).

أخيه هارون وأنه نسى فى غضبه أن هارون نبى كريم لا يمكن أن يرضى بوقوع القوم فى الشرك وأنه قد أنكر عليهم لكنه لم يستطع وحده أن يوقف هذا الطوفان من الشرك .. فترك موسى رأس أخيه ولحيته واستغفر الله لنفسه ولأخيه: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[1].

جزاء السامرى

وهنا علم موسى (عليه السلام) أنه لا بد أن يقضى على الفتنة من جذورها ولذلك توجه إلى السامرى الذى صنع لهم العجل الذهبى ليعبدوه وهو فى قمة الغضب ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾[2]؟ .. ما حملك على ما صنعت؟

قال السامرى بكل عجب وغرور: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ

(1) سورة الأعراف: الآية: (١٥١).
(2) سورة طه: الآية: (٩٥).

يَبْصُرُوا بِهِ﴾[1] .. وهذه هى لغة أهل الكبـر .. بصرت ولم يُبصروا .. وفهمت ولـم يفهموا .. وعرفت ولم يعرفوا!!

* ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾[2] .. زعم أنه رأى جبريل (عليه السلام) وهو راكب فرسًا فلا تضع قدمها على شيء إلا دبَّت فيه الحيـاة .. وأنه قبض حفنة من التـراب الذى سار عليـه جبـريل وألقـاها على الذهب ﴿فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾[3].

* هكذا يعترف السامرى أن نفسه الأمارة بالسوء هى التى سولت له أن يصنع هذا العجل الذهبى حتى يوقع الناس فى الشرك بالله (جل وعلا).

* ولذلك لم يناقشه نبى الله مـوسى (عليه السلام) فى هذا الكلام؛ لأنه كـلام لا يسـتحق الرد عليـه وإنما أخبره بثمرة هذا العمل الخـبيث والجريمة المنكرة وأخبره بحكم الله فى هذه الجريمة: ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ

(١)، (٢)، (٣) سورة طه: الآية: (٩٦).

أن تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾[1].

وفى هذا الحديث بيان للكيفية التى نسف بها موسى العجل، فقد أمر ببرده بالمبارد، كى يرى بنو إسرائيل تفاهة العجل الذى عبدوه، وتحول العجل إلى مسحوق دقيق كان يُذرى فى النهر الذى كانوا بجانبه، ومن عجيب صنع الله أن كل الذين عبدوا العجل اصفرت وجوههم عندما شربوا من ماء النهر، وأصبحت بلون الذهب.

الطريق إلى بيت المقدس

وفى يوم من الأيام جاء الأمر من الله (جل وعلا) إلى موسى (عليه السلام) أن يأمر بنى إسرائيل أن يجاهدوا فى سبيل الله ويدخلوا بيت المقدس ليحرروه فأخذ موسى (عليه السلام) يفكر كيف يجعل بنى إسرائيل يخرجون للجهاد فى سبيل الله وهم الذين

(١) سورة طه: الآية: (٩٧).

عاشوا على الذل سنوات طويلة.

فما كان منه إلا أنه أخذ يُذكرهم أولاً بنعم الله عليهم حتى يستحيوا أن يردوا أمر الله (جل وعلا).

قال تعالى مُخبرًا عن هذا المشهد المهيب: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾[1].

أي: كلما قُبض نبي قام فيكم نبي من لدن أبيكم إبراهيم إلى من بعده حتى عيسى عليه السلام الذى هو خاتم أنبياء بنى إسرائيل، ثم أوحى الله إلى خاتم الأنبياء من الرسل كافة: محمد بن عبد الله ﷺ.

* **وقوله تعالى:** ﴿ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا ﴾[2] قال ابن عباس: كان الرجل من بنى إسرائيل إذا كان له الزوجة والخادم والدار سُمّى ملكًا.

﴿ وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾[3] يعنى: عالمى زمانكم، فإنهم كانوا أشرف الناس فى زمانهم من

(١)، (٢)، (٣) سورة المائدة: الآية: (٢٠).

اليونان والقبط وسائر أصناف بنى آدم.

ثم بدأ موسى (عليه السلام) يأمرهم بالتكليف فطلب منهم أن يدخلوا الأرض المقدسة - وهى فلسطين - وأخبرهم أن الله سينصرهم على أعدائهم الكافرين الذين فيها، وما عليهم هم إلا أن يقاتلوا فى سبيل الله.

﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ﴾(١) أى: الأرض المطهرة وهى بيت المقدس ﴿ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾(٢) أى التى وعدكم الله إياها أنها وراثة من آمن منكم.

﴿ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾(٣) أى لا تنكلوا عن الجهاد فتخسروا دنياكم وآخرتكم بمخالفتكم لأمر الله (جل وعلا) ولكن اليهود عاشوا على الجبن والذل ولم يعرفوا طريق الشجاعة والرجولة فرفضوا تنفيذ أمر موسى (عليه السلام).

﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ

---

(١)، (٢)، (٣) سورة المائدة: الآية: (٢١).

﴿يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾[1] أي: اعتذروا بأن في هذه البلدة قومًا جبارين أهل قوة هائلة شديدة، فلا نقدر على حربهم، ولا يمكننا الدخول إليها ما داموا فيها، فإن يخرجوا منها دخلناها، وإلا فلا طاقة لنا بهم.

وخرج من بينهم رجلان، منّ الله عليهما بالشجاعة والقوة، وعجبا من موقف القوم الجُبناء، فرسما لهم طريق القتال والنصر: ادخلوا عليهم الباب، وابدءوا أنتم بالهجوم - والنصر لمن هاجم وبدأ الحرب - فإذا فعلتم ذلك فإنكم غالبون. ثم إن الله قد ضمن لكم النصر فتوكلوا عليه واطلبوا النصر منه.

فلم ينفع ذاك فيهم شيئًا ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾[2] وهذا نكول منهم عن الجهاد، ومخالفة لرسولهم عليه السلام.

(1) سورة المائدة: الآية: (22).
(2) سورة المائدة: الآية: (24).

فلما نكل بنو إسرائيل عن القتال، غضب عليهم موسى عليه السلام وقال داعيًا عليهم: ﴿رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي﴾[1] أى: ليس أحد يطيعنى منهم فيمتثل أمر الله ويجيب إلى ما دعوت إليه إلا أنا وأخى هارون ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[2] يعنى: اقض بينى وبينهم.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ﴾[3].

وعاقب الله ذلك الجيل الجبان من اليهود، بأن حرمهم من شرف الشجاعة والجهاد، ولذة الانتصار، والتنعم بدخول الأرض المقدسة. فكتب عليهم أن يتيهوا فى صحراء سيناء أربعين سنة، وهى مدة كافية ليموت ذلك الجيل الخنوع الذليل الجبان. ويظهر بدلهم جيل جديد، ينشأ على الخشونة والهمة والجَلَد، فى جو الصحراء، فيقْدر على قتال الكافرين، ويكتب الله له الانتصار.

(١)، (٢) سورة المائدة: الآية: (٢٥).
(٣) سورة المائدة: الآية: (٢٦).

قال: فإنها محرمة عليهم، أربعين سنة يتيهون فى الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين.

فلما وقعوا فى التيه كان الواحد يسير زمانًا طويلاً ليصل من مكان إلى مكان آخر... وبعد كل هذا الجهد والتعب يجد نفسه قد عاد إلى نفس المكان الذى كان فيه عقابًا له على عصيانه لأمر الله. وظلوا على تلك الحالة أربعين سنة.

وأنزلنا عليكم المن والسلوى

وفى فترة التيه امتن الله على بنى إسرائيل بنعمه التى لا تُعد ولا تُحصى.

فكان من بين ذلك أنه أرسل لهم الغمام ليظللهم من حر الشمس وأكرمهم بالمن والسلوى والصخرة التى تتفجر منها المياه.

وكانت صخرة صماء تُحمل معهم على دابة فإذا

ضربها موسى بعصاه انفجرت من ذلك الحجر اثنتا عشرة عينًا تجرى لكل شعب عين، وغير ذلك من المعجزات التى أيّد الله بها موسى بن عمران... وهناك نزلت التوراة وشُرعت لهم الأحكام[1].

قال تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[2].

﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ ﴾[3] أى: سترناكم بالسحاب من حر الشمس وجعلناه عليكم كالظُّلَّة ﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴾[4] أى: أنعمنا عليكم بأنواع من الطعام والشراب من غير كدٍّ ولا تعب، والمنُّ كان ينزل عليهم مثل العسل فيمزجونه بالماء ثم يشربونه، والسلوى: طير يشبه السمانى لذيذ الطعم ﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾[5] أى: وقلنا لهم كلوا من لذائذ نعم الله ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن

(١) مختصر تفسير ابن كثير (٢/٣٦).
(٢)، (٣)، (٤) سورة البقرة: الآية: (٥٧).
(٥) سورة البقرة: الآية: (٥٧).

كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1] أي: أنهم كفروا هذه النعم الجليلة، وما ظلمونا ولكن ظلموا أنفسهم، لأن وبال العصيان راجع عليهم[2].

* وقال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[3].

يُذكِّر الله سبحانه وتعالى بني إسرائيل بنعمته عليهم بإجابة موسى عليه الصلاةُ والسلام حين استسقى لهم فيسَّر الله لهم الماء.

وأخرجه سبحانه لهم من الحجر وفجَّر لهم منه اثنتي عشرة عينًا لكل سبط من أسباطهم عين قد عرفوها. وقال لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾[4] أي: كلوا من المن والسلوى

---

(1) سورة البقرة: الآية: (57).
(2) صفوة التفاسير (1/ 60).
(3) سورة البقرة: الآية: (60).
(4) سورة البقرة: الآية: (60).

واشربوا من هذا الماء الذى أنبعه الله بلا سعى منكم ولا كدّ، واعبدوا الله الذى سخّر لكم ذلك ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[1] أي: ولا تقابلوا النعم بالعصيان، فتُسلبوها.

أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير

وما زلنا نرى العجب العُجاب من بنى إسرائيل..

وكيف كان صبر نبى الله موسى عليهم.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[2].

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٦٠).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٦١).

يُذكّر الله بنى إسرائيل بنعمته فى إنزاله عليهم المن والسلوى طعامًا طيبًا نافعًا.

ورغم ذلك تضجروا من هذا الرزق وهذا الطعام الشهى الجميل واشتاقوا إلى البصل والثوم والفول والعدس.. وكانت كلها أطعمة مصرية بسيطة جدًا.

فأخذ موسى (عليه السلام) يوضح لهم أنهم بذلك يظلمون أنفسهم لأنهم سيتركون الطعام الشهى ويحنون للأطعمة الرديئة ... وكأنهم يريدون أن يتذكروا أيام الذل والهوان التى عاشوها أيام فرعون.

ولذا قال لهم موسى (عليه السلام): ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [1].

* وقوله تعالى: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ [2] والمعنى: أى اهبطوا مصرًا من الأمصار لا (مصر فرعون) لأن موسى عليه الصلاة والسلام قال لهم: هذا الذى سألتم ليس

---

(١)، (٢) سورة البقرة: الآية: (٦١).

بأمر عـزيز المنال، بل هو كثير في أي بلد دخلتموها وجدتموه، فليس يساوى مع دناءته وكثرته في الأمصار أن أسأل الله فيه[١] .

* وهكذا كان حال بنى إسرائيل في كل زمان ومكان.

وهكذا كانت العقوبات تنزل بهم من كثرة مخالفتهم لأمر الله ولأمر رسول الله موسى (عليه السلام).

* * *

(١) مختصر تفسير ابن كثير (١/ ٦١).

الدروس المستفادة:

(١) أن من توكل على الله كفاه ومن استغاث به نجاه... فقد رأينا كيف نجى الله موسى (عليه السلام) ومن معه من البحر وأغرق فرعون أمام أعينهم.

(٢) أن من طبيعة بني إسرائيل الغدر والخيانة وعدم الوفاء.. فبعد أن أكرمهم الله بنعمة الحرية وأهلك فرعون أمام أعينهم وشق لهم البحر حتى مروا على قوم يعبدون الأصنام فطلبوا من موسى (عليه السلام) أن يجعل لهم صنمًا يعبدونه من دون الله.

(٣) أن هذا الموقف يحتاج إلى حزم وصرامة وشدة حتى لا يعود هؤلاء القوم إلى الشرك مرة أخرى.

(٤) أن الصيام مدرسة عظيمة لإعداد الروح لترتقي إلى أعلى درجات الإيمان والتقوى.. ولذا صام موسى (عليه السلام) أربعين يومًا لتصفو روحه وتقوى عزيمته ويزداد إيمانًا وتقوى ليتهيأ لهذا اللقاء الموعود.

(٥) أن أعظم نعمة فى الآخرة هى النظر إلى وجه الله (جل وعلا) ولذا سأل موسى ربه أن يجعله يفوز برؤيته ولكن موسى (عليه السلام) لم يكن يعلم أن رؤيته لربه فى الدنيا مستحيلة وأنه لن يراه إلا فى الجنة.

(٦) الأنبياء يغضبون كما يغضب البشر ولكنهم لا يغضبون لأنفسهم وإنما يغضبون لله (جل وعلا).. ولذلك غضب موسى (عليه السلام) لما علم أن السامرى صنع لبنى إسرائيل عجلاً ليعبدوه من دون الله (جل وعلا).

(٧) أن المجرم يكون جزاؤه من جنس عمله .. فلقد رأينا كيف أن السامرىَّ لما مسَّ التراب الذى سار عليه فرس جبريل (عليه السلام) ووضعه على الذهب الذى صنع منه العجل الذهبى .. كان جزاؤه أن يعيش وحيدًا منبوذًا فى الدنيا لا يمس أحدًا ولا يمسه أحد.

(٨) أن كل من رفض أن يمتثل لأمر الله فإن الله (عز وجل) يعاقبه فى الدنيا والآخرة .. ولقد رأينا كيف أن بنى إسرائيل لما رفضوا أن يدخلوا الأرض المقدسة ليطهروها من دنس هؤلاء الجبارين الذين احتلوها كتب الله عليهم التيه أربعين سنة يتيهون فى الأرض لا يدرون إلى أين يذهبون ولا كيف يخرجون من التيه .

❊ ❊ ❊

قصة ابنى آدم (قابيل وهابيل)

لما خلق الله آدم (عليه السلام) وعاش فى الجنة وحيدًا ليس معه من يجالسه أو يكلمه، فأحس بالوحدة، فأكرمه الله (عز وجل)، فخلق له حواء من ضلع من أضلاعه لتكون جزءًا منه لا يستغنى عنها .

وهنا جاء الأمر من الله (جل وعلا):

﴿ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾[1].

فسعد آدم (عليه السلام) بأن زوجته سترافقه فى الجنة .

لكن الله نهى آدم وحواء من أن يأكلا من شجرة واحدة حددها لهما (سبحانه وتعالى) فقال تعالى :

(١) سورة البقرة: الآية: (٣٥).

﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[1].

لكن الشيطان وسوس لهما حتى أكلا من هذه الشجرة.

الهبوط إلى الأرض

لما عصى آدم ربه وأكل هو وحواء من الشجرة المحرمة ثم تاب وندم على ما فعل وتاب الله عليه... وهنا جاء الأمر من الله (جل وعلا) بهبوط آدم وحواء من الجنة إلى الأرض التى أعدها الله وهيأها ليعيش فيها آدم وذريته إلى يوم القيامة... فقد كانت فترة وجوده فى الجنة كأنها فترة إعداد وتعليم وتربية وتدريب على طاعة الأمر واجتناب النهى ومقاومة الشهوات.

﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[2].

---

(1) سورة البقرة: الآية: (٣٥).
(2) سورة البقرة: الآية: (٣٦).

* لقد هبطوا جميعًا إلى الأرض.. آدم وزوجه.. وإبليس وقبيله.. هبطوا ليصارع بعضهم بعضًا.. وليعادى بعضهم بعضًا.

وبدأ الصراع على ظهر الأرض

لما أُهبط آدم (عليه السلام) وزوجته حواء من الجنة إلى الأرض كان عليه أن يصبر على هذا الصراع الرهيب الذى يملأ الأرض.

فما ينتهي صراع إلا ويبدأ غيره... فقد كان عليه أن يبذل كل جهده من أجل أن يأكل ويشرب... ثم يأتى صراع آخر مع الوحوش والحيوانات التى تملأ الأرض والتى تُمثل خطرًا كبيرًا عليه وعلى زوجته وأولاده.

بل ولا ننسى منبع الشر الذى كان سببًا فى هبوط آدم وحواء من الجنة.. إنه إبليس اللعين الذى

يوسوس لآدم وزوجته وذريته لكى يُدخلهم النار معه يوم القيامة.

هكذا كان الصراع يحيط به من كل جانب لكن الله كان يحفظه بطاعته وقربه من الله (جل وعلا).

لقاء آدم وحواء (عليهما السلام)

لما هبط آدم من الجنة، نزل إلى الأرض على جبل فى بلاد الهند، أما حواء فقد هبطت على جبل فى أرض الحجاز.

وكان كلٌ واحد منهما يبحث عن الآخر ولا يجده.. واشتد الشوق إلى اللقاء.

* وفى يوم من الأيام أخذ آدم (عليه السلام) يدعو ويبكى ويعلن توبته إلى الله (جل وعلا).. وكذلك فعلت حواء.. فتاب الله عليهما ووعدهما بأن يعودا مرة أخرى إلى الجنة ولكن يوم القيامة.

* وبينما آدم يسير وحيدًا فى هذا الكون الشاسع يأتيه الأمر من الله أن يذهب إلى بيت الله الحرام ليطوف به كما كانت الملائكة تطوف حول عرش الرحمن وتسبحه.

فاستجاب آدم (عليه السلام) لأمر ربه (جل وعلا) وسافر من بلاد الهند إلى مكة المكرمة لزيارة بيت الله الحرام وهو يتمنى أن يطوف حول الكعبة كما كانت ملائكة الرحمن تطوف بالبيت المعمور فى السماء السابعة.

* ولما وصل آدم إلى هناك سريعًا وطاف بالبيت وجلس يستريح... وإذا به يرى ظل إنسان من بعيد.. فاقترب أكثر وأكثر حتى رأى أعظم مفاجأة فى حياته... يا تُرى ما هى؟

لقد رأى حواء على جبل من جبال مكة فتعارفا عليه فسُمى بجبل عرفات، فلما تعارفا وطافا بالبيت، عادا مرة أخرى إلى بلاد الهند.

* وكان جبريل ينزل ليُعلِّم آدم كل شيء.. حتى إنه علمه كيف يزرع ويحصد ويطحن ويخبز ليأكل هو وزوجُه حواء.

الشوق إلى الأولاد

أخذ آدم (عليه السلام) يتذكر النعيم والسعادة التى كان يشعر بها فى الجنة هو وحواء.. والآن أصبحت الحياة قاسية فى الأرض.

وفى لحظة من اللحظات جلس آدم يفكر ويقول فى نفسه: أخشى أن أموت دون أن يكون لى أولاد يحملون همَّ هذا الدين العظيم.

ولكنه تذكَّر أن الله (جل وعلا) وعده أن يكون له ذرية يعمرون الأرض من بعده.

* وتمر الأيام وتحمل حواء.. وفرح آدم فرحًا شديدًا بهذا الحمل... وتمر الأيام وتأتى اللحظة الجميلة التى

تضع فيها حواء حملها وإذا بها تلد توأمًا ففرح آدم بهما وسمى الولد (قابيل) وسمى البنت (إقليمياء) وكانت هذه البنت في غاية الحسن والجمال.

وتغيرت حياة آدم وحواء بعد قدوم قابيل وإقليمياء.

* وبعد أشهر معدودات حملت حواء مرة أخرى وكانت تلد في كل مرة توأمًا... فولدت في المرة الثانية توأمًا ففرح بهما آدم فرحًا شديدًا.. فسمى الولد (هابيل) وسمى البنت (لُبودا) وكانت البنت أقل جمالاً من أختها.

* وكبر الأولاد جميعًا وبدؤوا يساعدون الأبوين آدم وحواء فاختار هابيل رعي الأغنام والماشية ليشربوا من لبنها وليأكلوا من لحمها وليصنعوا من أصوافها ملابس وأغطية.

وأما قابيل فلقد اختار زراعة الأرض وحرثها ليأكل هو وأسرته من حصاد الأرض.

وأما (إقليمياء) و(لبودا) فكانتا تساعدان أمهما حواء في أعمال المنزل.

* ولكى تنتشر ذرية آدم (عليه السلام) ويعمروا الأرض فكان لا بد من الزواج.

فلا بد أن يتزوج الأولاد.. ولا بد أن تتزوج البنات حتى تكثر الذرية ويعمروا الأرض.

وكان فى شرع آدم (عليه السلام) لا يجوز للإبن أن يتزوج أخته التى وُلدت معه فى بطن واحدة ولكن يجوز له أن يتزوج من أخته التى وُلدت قبله أو بعده.. المهم ألا تكون معه فى بطن واحدة.

* وفى يوم من الأيام جاء هابيل يريد أن يتزوج من أخت قابيل... وكانت أجمل من أخت هابيل فوافق آدم (عليه السلام)؛ ولكن قابيل رفض بكل شدة وأراد أن يتزوج من توأمه لأنها كانت أجمل من توأم هابيل.

وأخذ إبليس يزرع الحقد والحسد فى نفس قابيل على أخيه هابيل.

* فقام آدم (عليه السلام) وأمرهما أن يقدما قُربانًا

إلى الله (جل وعلا) فمن تقبل الله قربانه يتزوج أخت قابيل.

* فخرج قابيل إلى زرعه وأخرج بعض الأعواد من أسوأ وأردأ أنواع الزروع وقدمها قُربانًا لله (جل وعلا).

* وأما هابيل فإنه أسرع إلى غنمه واختار كبشًا سمينًا من خيار ماشيته وقدمه قُربانًا لله (جل وعلا).

ووقف الإثنان ينتظران ماذا يحدث فى شوق ولهفة.

فنزلت نار من السماء فأكلت الكبش ولم تأكل قربان قابيل... فلقد تقبل الله قربان هابيل.

* هنا غضب قابيل غضبًا شديدًا؛ وذلك لأن الله تقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربانه .. وامتلأت نفسه بالحقد والحسد وقرر فى لحظة - من نزغات الشيطان - أن يقتل أخاه هابيل.

* وكان هابيل قويًا شديدًا يستطيع أن يدافع عن نفسه بل ويقتل قابيل ولكنه كان يخاف من الله ويعلم يقينًا أنه

لو قتل أخاه فإن الله سيغضب عليه غضبًا شديدًا.

قال تعالى: ﴿واتْلُ عليْهِمْ نبأ ابْنيْ آدم بالْحقِّ إذْ قرَّبا قُرْبانًا فتُقُبِّل منْ أحدهِما ولمْ يُتقبَّلْ من الآخرِ قال لأقْتُلنَّك قال إنَّما يتقبَّلُ اللَّهُ من الْمُتَّقين (٢٧) لئن بسطت إليَّ يدك لتقْتُلني ما أنا بباسطٍ يدي إليْك لأقْتُلك إنِّي أخافُ اللَّه ربَّ الْعالمين﴾[١].

وأراد هابيل أن ينبه أخاه إلى أن جزاء من يقتل أخاه النار، فقال له: ﴿إنِّي أُريدُ أن تبُوء بإثْمي وإثْمك فتكُون منْ أصْحاب النَّار وذلك جزاءُ الظَّالمين﴾[٢].

* وفي هذا الكلام الذي قاله هابيل أكبر دليل على أن آدم (عليه السلام) كان يدعو أولاده إلى الله ويُعلِّمهم الحلال والحرام ويُعرفهم بالجنة والنار والجزاء والحساب ويحذرهم من الوقوع في الظلم؛ لأن الظلم ظلمات يوم القيامة.

* ذكر أهل العلم أن آدم كان مباشرًا لتقريبهما القربان

---

(١) سورة المائدة: الآيتان: (٢٧، ٢٨).

(٢) سورة المائدة: الآية: (٢٩).

والتقبل من هابيل دون قابيل، فقال قابيل لآدم: إنما تقبل منه لأنك دعوت له ولم تدعُ لي، . . . وتوعَّد أخاه فيما بينه وبينه. فلما كان ذات ليلة أبطأ هابيل في الرعي، فبعث آدم أخاه قابيل لينظر ما الذي جعله يتأخر. . فلما ذهب وراءه قال له: تقبل الله منك ولم يتقبل مني.

فقال هابيل: إنما يتقبل الله من المتقين.

فغضب قابيل عندها وضربه بحديدة كانت معه فقتله.

وقيل: إنه إنما قتله بصخرة رماها على رأسه وهو نائم فقتلته.

وقيل: بل خنقه خنقًا شديدًا وعضَّه كما تفعل السباع، فمات. . والله أعلم[١].

(١) قصص الأنبياء/ للحافظ ابن كثير (ص: ٥١، ٥٢) بتصرف.

قابيل يتعلم الدفن من الغراب

ولما قتل قابيل أخاه هابيل، جلس أمامه عاجزًا لا يدرى ماذا يصنع ولا يدرى ماذا يقول لأبيه آدم (عليه السلام).. ولو أنكر أنه هو الذى قتل هابيل فأين يوارى جثته؟

وكانت هذه أول جريمة قتل تُرتكب على وجه الأرض.. ولم يكن أحدٌ على وجه الأرض يعلم شيئًا عن دفن الموتى؛ لأن هذا كان أول ميت على الأرض.

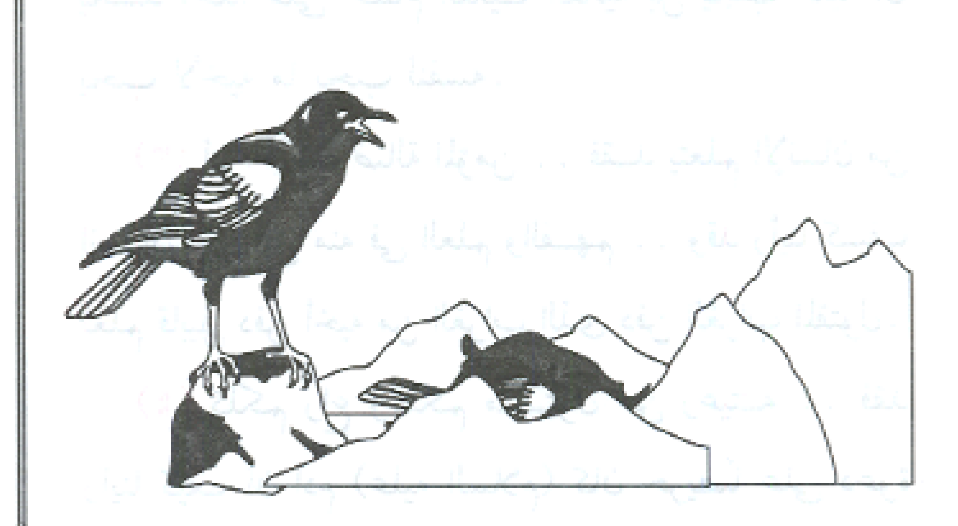
* حمل قابيل جثة هابيل وأخذ يمشى بها فى الأرض لا يدرى أين يذهب، وفجأة أحس بالتعب فجلس يستريح قليلاً.. وبينما هو جالس إذ أرسل الله غرابين يقتتلان فقتل أحدهما الآخر ثم قام الغراب القاتل وأخذ يحفر فى الأرض حفرة كبيرة ثم وضع فيها الغراب المقتول ودفنه وغطاه بالتراب فعلم قابيل

كيف يدفن أخاه هابيل وكان فى تلك اللحظة نادمًا أشد الندم على قتل أخيه هابيل.

فحفر حفرة فى الأرض ودفن أخاه هابيل وهو يبكى حزنًا عليه.

﴿قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾[1].

❊ ❊ ❊



(١) سورة المائدة: الآية: (٣١).

الدروس المستفادة :

(١) أن الحياة كلها تعب وكبد ومشقة ولا بد أن يعلم المسلم أنه لا راحة إلا فى جنة الرحمن (جل وعلا) .

(٢) أن الحسد والأنانية تحمل الإنسان على إيذاء إخوانه والكيد لهم، وقد رأينا ماذا صنع الحسد الذى كان فى قلب قابيل تجاه أخيه .. لقد حمله على أن قتل أخاه.

فالواجب على المسلم أن يرضى بقضاء الله ولا يحسد أحدًا على حطام الدنيا الفانية بل يجب عليه أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

(٣) أن الحكمة ضالة المؤمن .. فقد يتعلم الإنسان من إنسان آخر أقل منه فى العلم والفهم .. وقد رأينا كيف تعلم قابيل دفن أخيه من الغراب الذى دفن الغراب المقتول.

(٤) كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته .. فقد رأينا كيف أن آدم (عليه السلام) كان حريصًا على دعوة أولاده وأحفاده حتى آخر لحظة فى حياته.

قصة المائدة

كان ياما كان .

كان فى سالف الزمان نبى كريم اسمه عيسى ابن مريم (عليه السلام) وكان عيسى (عليه السلام) معجزة من معجزات الله (عز وجل) فقد خلقه الله من أمٍّ بغير أب فكان معجزة فريدة .

وكان طفلاً جميلاً محبوبًا من كل الناس . . . ولما كبر كان شابًّا تقيًا ورعًا . . . وظل هكذا حتى أكرمه الله بنعمة النبوة والرسالة فكان رسولاً كريمًا .

أخذ نبى الله عيسى (عليه السلام) يطوف البلاد ليدعو الناس إلى الله ليوحدوه ويعبدوه فرفض دعوته كثير من الناس . . . وفى المقابل استجاب له بعض الناس من أصحاب القلوب الطاهرة .

* أخذ نبى الله عيسى هؤلاء المؤمنين وأخذ يطوف بهم البلاد ليدعو إلى الله (جل وعلا) . . فكانوا يساعدونه ويشدون أزره ويقاسمونه أفراحه ويخففون عنه أحزانه .

وكانوا يتنقلون معه من قرية إلى قرية ليبلغوا دعوة الله (جل وعلا) .

* وفى يوم من الأيام أشار عليهم نبى الله عيسى (عليه السلام) برأىٍ جميل فقال لبنى إسرائيل : ما رأيكم أن تصوموا لله ثلاثين يومًا ثم تسألوه فيعطيكم ما سألتم فإن أجركم على الله (جل وعلا) .

فصاموا جميعًا ثلاثين يومًا . . . . وكانوا قد وصلوا فى هذا الوقت إلى صحراء جرداء لا زرع فيها ولا ماء فتعبوا من شدة الجوع والعطش . فلما أتموا الصيام قالوا لعيسى (عليه السلام) : لقد صُمنا ثلاثين يومًا ووقع أجرنا على الله فهل لنا أن نطلب شيئًا يا نبى الله . . .

يا ترى ماذا طلبوا؟ طلبوا منه طلبًا عجيبًا فقالوا له:
﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾[1].

ولا تظنوا يا أحبابى أن الحواريين لما قالوا: «هل يستطيع ربك» أنهم كانوا يشكون فى قدرة الله... كلا... وإنما سألوا تلك الآية كما سأل إبراهيم (عليه السلام) ربه من قبل وقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[2].

ولذلك يا حبايبى هناك قراءة لهذه الآية أنهم قالوا لعيسى (عليه السلام): **(هل تستطيعُ ربك)** يعنى: هل تستطيع أن تسأل ربك أن يُنزل علينا مائدة من السماء.

فتعجب عيسى (عليه السلام) وقال لهم: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[3] يعنى: اتقوا الله ولا تسألوا مثل هذه الأشياء حتى لا تكون فتنة لكم وسببًا فى فساد حياتكم لأنكم بعدها ستتركون السعى على الرزق ولكن توكلوا

---

(1) سورة المائدة: الآية: (١١٢).
(2) سورة البقرة: الآية: (٢٦٠).
(3) سورة المائدة: الآية: (١١٢).

على الله فى طلب الرزق وخذوا بالأسباب واعملوا وسوف ييسر الله لكم الرزق الحلال.

فلما سمعوا ذلك من عيسى (عليه السلام) أرادوا أن يوضحوا له أنهم لم يشكُّوا فى قدرة الله أبدًا وإنما أرادوا الطعام لأنهم جوعى منذ أيام ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾[(١)].

وفوق ذلك أرادوا أن تطمئن قلوبهم بأن يزداد يقينهم إذا رأوا تلك المائدة نازلة من السماء فإن هذا سيجعل الإيمان ثابتًا فى قلوبهم أكثر وأكثر وسيزداد إيمانهم برسالة عيسى (عليه السلام) ولذلك ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[(٢)].. أى أنهم إذا نزلت المائدة من السماء فإنهم سيشهدون على أنها آية من عند الله ودليل على صدق نبوة عيسى (عليه السلام) وسيخبرون الناس

(١) سورة المائدة: الآية: (١١٣).
(٢) سورة المائدة: الآية: (١١٣).

بذلك ليؤمنوا برسالة عيسى (عليه السلام).

* فلما رأى عيسى (عليه السلام) إصرارهم على طلب نزول المائدة من السماء وعلم أنهم لم يشكُّوا فى قدرة الله.. دعا الله قائلاً:

اللهمَّ يا مالكَ الملك، ويا مدبر السماوات والأرض، ومتولى شؤون خلقك، ومُسيِّر أمور عبادك ﴿ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾[1].

فاستجاب الله (جل وعلا) دعاء نبيه عيسى (عليه السلام) وأخبره من خلال الوحى أنه سيُنزل عليهم تلك المائدة من السماء ليزدادوا إيمانًا وثباتًا ويقينًا.

﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾[2].

* لقد أخبر الله نبيه عيسى (عليه السلام) بأنه

---

(١) سورة المائدة: الآية: (١١٤).

(٢) سورة المائدة: الآية: (١١٥).

سيُنزل عليهم المائدة لكن ما داموا هم الذين طلبوها فلا بد أن يزدادوا إيمانًا ويقينًا بعد رؤية هذه المعجزة الكبيرة.

فمن رأى هذه المعجزة وكفر بعد ذلك فسوف يعذبه الله عذابًا شديدًا لم يُعذبه أحدًا من أهل زمانهم.

* ووقف عيسى (عليه السلام) والحواريون ينتظرون نزول المائدة.

وبعد وقتٍ قصير رأى عيسى (عليه السلام) ملائكة الرحمن وهم ينزلون من السماء بمائدة كبيرة عليها طعام لا يخطر على قلب بشر وبدأ الملائكة يقتربون أكثر وأكثر ومعهم المائدة حتى وضعوها على الأرض أمام نبي الله عيسى (عليه السلام) والحواريين.

فقام عيسى (عليه السلام) وحمد الله وأثنى عليه ثم قال للحواريين: كلوا من المائدة واشكروا الله على نعمه يزدكم من فضله.

فأكلوا من المائدة واستمتعوا بهذا الطعام الذى نزلت به الملائكة من السماء وشبعوا جميعًا وازداد يقينهم وإيمانهم برسالة نبى الله عيسى (عليه السلام).

❊ وأخذوا بعد ذلك يحدثون الناس من حولهم عن هذه المعجزة الكبيرة فآمن خلقٌ كثير وازداد المؤمنون إيمانًا ويقينًا وثباتًا.

❊ ❊ ❊

الدروس المستفادة:

(١) أن الله (عز وجل) يرسل الأنبياء والمرسلين ليدعو الناس إلى توحيد الله وعبادته من أجل أن يَسعدوا في دنياهم وآخرتهم.

(٢) أن المسلم يعلم أن الله خلقه من أجل أن يعبده ويدعو الناس جميعًا لعبادته فقد قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1] وقد رأينا كيف أن عيسى (عليه السلام) كان يطوف البلدان ليدعو الناس إلى توحيد الله وعبادته.

(٣) أن المسلم لا بد أن يُذكر إخوانه بكثرة الصلاة والصيام والذكر وقراءة القرآن.. ولذلك قال النبي ﷺ: «الرجل على دين خليله» وقال ﷺ: «لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقي».

(٤) أنه يجوز للمسلم أن يسأل الله (جل وعلا) من

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١١٠).

خيرات الدنيا والآخرة.. ويا حبذا لو كان ذلك بعد طاعة يعملها لله (جل وعلا).

(٥) أن المسلم لا ينبغي عليه أن ينتظر نزول مائدة من السماء ولكن عليه أن يأخذ بالأسباب ويسعى لطلب الرزق ويتوكل على الله.

(٦) أن العبد المسلم إذا أنعم الله عليه بنعمة فلا بد أن يستعملها فى طاعة الله وفى الدعوة إلى الله (جل وعلا).

❋ ❋ ❋

قصة المسيح الدجال

في يوم من الأيام جاء الصحابي الجليل تميم الداري (رضي الله عنه) ودخل على النبي ﷺ وحكى له أنه كان في رحلة طويلة وأنه ركب السفينة مع ثلاثين رجلاً.... وبينما هم في تلك الرحلة إذ هاجت الأمواج شهرًا كاملاً وكادوا أن يغرقوا حتى كتب الله لهم النجاة ووصلوا إلى جزيرة في البحر.

فلما نزلوا في تلك الجزيرة وجدوا دابة كثيرة الشعر قد تغطَّى جسمها كله بالشعر حتى لا يدري من يراها أين وجهها من ظهرها.

فسألوها: من أنت؟

وإذا بها تتكلم وتقول: أنا الجسَّاسة.

ثم قالت لهم: تعالوا معي ننطلق إلى هذا القصر فإن

هناك رجلاً ينتظركم وهو فى شوقٍ شديد لرؤيتكم.

قال تميم: فانطلقنا حتى وصلنا إلى القصر فرأينا إنسانًا ضخمًا ما رأينا أحدًا فى مثل ضخامته أبدًا... ورأيناه مربوطًا ومُوثقًا بالحديد فقلنا له: من أنت؟.

فقال: أنا المسيح الدجال.

ثم أخذ يسألهم عن أشياء كثيرة فأجابوه.

ثم قال لهم: إنى قد أوشكت على الخروج من هذا الحبس الذى أنا فيه وإنى إذا خرجت فإنى أسير فى الأرض فلا أدع قرية إلا نزلت فيها إلا مكة والمدينة فهما مُحرمتان علىَّ. كلما أردت أن أدخل وجدت ملكًا يستقبلنى بالسيف يصدنى عنها.

* فلما أخبر تميم الدارى رسول الله ﷺ بهذه القصة قال النبى ﷺ للصحابة: «**ألم أخبركم بخبر المسيح الدجال وقلت لكم مثلما قال لى تميم الدارى**».

* **قال الصحابة:** بلى يا رسول الله.

فتنة الدجال أعظم الفتن

لقد كان النبي ﷺ يحذر الأمة تحذيرًا شديدًا من فتنة الدجال وحتى لا ينساه أحدٌ كان النبي ﷺ يوصي الصحابة والأمة أن يستعيذوا بالله في آخر كل صلاة من فتنة المسيح الدجال.

وما زال النبي ﷺ يحذر من الدجال حتى قال يومًا للصحابة:

«إنه لم يكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله تعالى آدم ﷺ أعظم من فتنة الدجال، وإن الله - عز وجل - لم يبعث نبيًا إلا حذّر أمته الدجال، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارج عليكم لا محالة...».

ثم أخبرهم النبي ﷺ أنه إذا خرج الدجال في زمن النبي ﷺ فإن النبي هو الذي سيتولى الدفاع عن كل مسلم... أما إذا خرج بعد زمن النبي ﷺ فعلى كل مسلم أن يعتصم بالله ويسعى للدفاع عن نفسه.

ثم أخبرهم بأنه يخرج من مكان بين الشام والعراق.

وأخبرهم النبي ﷺ بأن الدجال إذا ظهر فإنه يقول: أنا نبي الله ثم بعدها بفترة يقول: أنا الله...

ثم يُعلق النبي ﷺ على هذا الكلام فيقول: «وإنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا... وإن الدجال أعور وإن ربكم ليس بأعور وإنه مكتوب بين عينيه: كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب، وإن من فتنته أن معه جنة ونارًا، (فناره جنة، وجنته نار)، فمن ابتُلي بناره فليستعذ بالله وليقرأ فواتح الكهف فتكون عليه بردًا وسلامًا كما كانت النار على إبراهيم، وإن من فتنته أن يقول للأعرابي: أرأيت أن (أبعث) لك أباك وأمك أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم، فيمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه، فيقولان: يا بُني اتبعه فإنه ربك... وإن من فتنته أن يُسلَّط على نفس واحدة فيقتلها، فينشرها بالمنشار حتى يُلقى (شِقَّين)، ثم يقول: انظروا إلى عبدي فإني أبعثه الآن، ثم يزعم أن له ربًا غيري

فيبعثه الله فيقول له الخبيث: من ربك؟ فيقول: ربي الله، وأنت عدو الله، أنت الدجال والله ما كنت بعد أشد بصيرة بك مني اليوم».

* وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تُمطر (فتمطر) ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت، وإن من فتنته أن يمر بالحي فيصدقوه، فيأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت حتى تروح مواشيهم (في يومهم) ذلك أسمن ما كانت وأنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطأه وظهر عليه إلا مكة والمدينة، فإنه لا (يأتيهما) من نقب من أنقابها إلا لقيته الملائكة بالسيوف المصلتة فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه، فينفي الخبث منها كما ينفي الكير خبث الحديد، ويُدعى ذلك اليوم يوم الخلاص»[1].

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجه بسند صحيح.

من أين يخرج الدجال؟

يخرج الدجال من جهة المشرق؛ من خُراسان، من يهودية أصبهان، ثم يسير في الأرض، فلا يترك بلدًا إلا دخله؛ إلا مكة والمدينة، فلا يستطيع دخولهما، لأن الملائكة تحرسهما.

وعن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- قال: حدثنا رسول الله ﷺ قال: «الدجال يخرج من أرض بالمشرق؛ يُقالُ لها: خُراسان»[(١)].

وعن أنس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج الدجال من يهودية أصبهان، معه سبعون ألفًا من اليهود»[(٢)].

* * *

(١) رواه الترمذي والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٠٤).
(٢) رواه أحمد وقال ابن حجر: صحيح [فتح الباري (١٣/٣٢٨)].

أعظم الناس شهادة
عند رب العالمين

ثم أخبر النبى ﷺ أصحابه بأعظم الناس شهادة عند رب العالمين.

وهو شاب يسمع عن خروج الدجال فيذهب إليه فيقابله حراس الدجال ويقولون له: إلى أين أنت ذاهب؟

فيقول: إلى الدجال.

فيأخذوه إلى الدجال فإذا رآه هذا الشاب صرخ فى الناس وقال: أيها الناس هذا هو الدجال الذى حذرنا منه النبى ﷺ.

فيأمر الدجال أعوانه فيضربوه ثم يسأله: أما تؤمن بى؟

فيقول الشاب: أنت المسيح الكذاب.

فيأمر الدجال أعوانه فيشقوا هذا الشاب نصفين ثم يمشى الدجال بينهما.. ثم يقول للشاب بعد قتله:

قُم . . . فيقوم سليمًا مُعافًى.

فيسأله الدجال: أتؤمن بى؟

فيقول الشاب: والله ما ازددت فيك إلا بصيرة . . أنت المسيح الكذاب.

ثم يصرخ الشاب ويقول: أيها الناس لا تخافوا فإنه لا يفعل ذلك بعدى بأحدٍ من الناس.

فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل الله رقبة هذا الشاب تنقلب إلى نحاس فلا يستطيع الدجال ذبحه.

فيأخذ بيديه ورجليه ويقذفه فيظن الناس أن الدجال ألقى هذا الشاب فى النار . . . وإنما أُلقى به فى الجنة.

ثم قال النبى ﷺ : «فهذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين».



كم يمكث الدجال فى الأرض؟

ولما سأل الصحابة رسول الله ﷺ عن المدة التى يمكثها الدجال فى الأرض أخبرهم النبى ﷺ «أن الدجال يمكث فى الأرض أربعين يومًا: يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامهم».

* فسألوه عن سرعته عندما ينتقل فى الأرض من مدينة إلى مدينة، فأخبرهم أنه فى سرعة الريح.

* * *

نزول عيسى عليه السلام

بعد أن يأذن الله للدجال بالخروج فيعيث في الأرض فسادًا.

فعند ذلك ينزل عيسى عليه السلام إلى الأرض - بإذن ربه - فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق الشام، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قَطَر، وإذا رفعه تحدر منه جُمان كاللؤلؤ، ولا يحل لكافر يجد ريح نَفَسه إلا مات، ونَفَسُه ينتهي حيث ينتهي طرفه.

ويكون نزوله على الطائفة المنصورة، التي تقاتل على الحق، وتكون مجتمعة لقتال الدجال، فينزل وقت إقامة الصلاة، يصلي خلف أمير تلك الطائفة.



هلاك الدجال

يكون هلاك الدجال على يدي المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام؛ كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة، وذلك أن الدجال يظهر على الأرض كلها إلا مكة والمدينة، ويكثر أتباعه، وتعمُّ فتنته، ولا ينجو منها إلا قلة من المؤمنين، وعند ذلك ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام على المنارة الشرقية بدمشق، ويلتف حوله عبادُ الله المؤمنون، فيسير بهم قاصداً المسيح الدجال، ويكون الدجال عند نزول عيسى متوجهًا نحو بيت المقدس، فيلحق به عيسى عند باب (لُد)[1]، فإذا رآه الدجال؛ ذاب كما يذوب الملح، فيقول له عيسى عليه السلام: «إن لي فيك ضربة لن تفوتني»، فيتداركه عيسى، فيقتله بحربته، وينهزم أتباعه، فيتبعهم المؤمنون، فيقتلونهم، حتى يقول الشجر والحجر: يا

(١) (لد): بلدة في فلسطين قرب بيت المقدس.

مسلم! يا عبد الله! هذا يهودى خلفى، تعال فاقتله؛ إلا الغرقد؛ فإنه من شجر اليهود[1].

كيف نقى أنفسنا من فتنة الدجال؟

إنه ما من نبى إلا وأنذر أمته فتنة الدجال.

وها هو الحبيب ﷺ يحذّر أمته من تلك الفتنة الشديدة، وذلك لأن الدجال خارج فى تلك الأمة لا محالة؛ لأنها آخر الأمم، ورسولنا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين.

* وإليكم جميعًا الوسائل التى تجعلنا ننجو بإذن الله من فتنة الدجال:

أولاً: - الاعتصام بالله - جل وعلا - والتمسك بالإيمان والتعرف على أسماء الله وصفاته الحسنى،

---

(١) النهاية فى الفتن والملاحم (١/١٢٨، ١٢٩).

فنعلم أن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1]، أما الدجال فهو أعور والله ليس بأعور، وأننا لن نرى ربنا حتى نموت، أما الدجال فيراه الناس عند خروجه مؤمنهم وكافرهم.

ثانيًا: التعوذ من فتنة المسيح الدجال، وخاصة في الصلاة بعد التشهد وقبل التسليم.

فعن عائشة زوج النبي ﷺ: أن رسول الله ﷺ كان يدعو في الصلاة: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال...» الحديث[2].

ثالثًا: حفظ آيات من سورة الكهف، فقد أمر النبي ﷺ بقراءة فواتح سورة الكهف على الدجال، وفي بعض الروايات: خواتيمها، وذلك بقراءة عشر آيات من أولها أو آخرها.

قال ﷺ: «من أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف»[3].

---

(١) سورة الشورى: الآية: (١١).

(٢) أخرجه البخاري مع الفتح (٢/ ٣١٧) ومسلم (٥/ ٨٧).

(٣) أخرجه مسلم (١٨/ ٦٥) كتاب الفتن - باب ذكر الدجال.

وقال ﷺ : «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصم من الدجال» [1]، أي من فتنته.

رابعًا: الفرار من الدجال، والابتعاد عنه...، والأفضل سُكنى مكة والمدينة، فقد سبق أن الدجال لا يدخل الحرمين، فينبغى للمسلم إذا خرج الدجال أن يبتعد عنه، وذلك لما معه من الشبهات والخوارق العظيمة التى يجريها الله على يديه فتنة للناس؛ فإنه يأتيه الرجل وهو يظن فى نفسه الإيمان والثبات، فيتبع الدجال.

قال ﷺ : «من سمع بالدجال؛ فلينأ عنه، (أى يبتعد) فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن، فيتبعه مما يُبعث من من الشبهات، أو لما يُبعث به من الشبهات» [2].

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه مسلم (٦/ ٩٢-٩٣) مع شرح النووى.

(٢) رواه أحمد وأبو داود وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٣٠١).

الدروس المستفادة:

(١) أن الله (عز وجل) أخبر النبى ﷺ ببعض الغيبيات... وكان من بينها المسيح الدجال فقد أخبر عنه النبى ﷺ دون أن يراه فلما رآه تميم الدارى وحكى ما رآه كان ذلك موافقًا لما قاله النبى ﷺ.

(٢) أن فتنة المسيح الدجال هى أعظم فتنة فى الدنيا منذ خلق الله آدم (عليه السلام) وإلى يوم القيامة.

(٣) أن كل من كذب على الله فإن نهايته وخيمة ومؤلمة.

(٤) أن النبى ﷺ لم يدع خيرًا إلا وأخبرنا عنه ولم يدع شرًّا إلا وحذرنا منه.. ومن شدة حرص النبى ﷺ على أمته حذرنا من فتنة المسيح الدجال وأخبرنا كيف ننجو من فتنته.



أصحاب السبت

كان من تعليم نبى الله موسى (عليه السلام) أن يتفرغ قومه بنو إسرائيل عن أعمالهم يومًا من كل أسبوع فلا يعملون فيه أى عمل من أعمال الدنيا بل يُفرغون أنفسهم لعبادة الله (جل وعلا). . . وكان ذلك اليوم هو يوم السبت.

* ومرت الأيام. . وما زال بنو إسرائيل على عادتهم يقدسون يوم السبت ويتفرغون فيه لعبادة الله (جل وعلا). . . . ومرت أجيال وراء أجيال ومازالوا جميعًا يقدسون يوم السبت بالعبادة والتقرب إلى الله (جل وعلا).

وفى قرية من قراهم على شاطئ البحر الأحمر يقال لها أيْلَة كان يسكن قوم من سلالة بنى إسرائيل فى زمن

داود عليه السلام، وكان عليهم أن يلتزموا سُنَّة آبائهم وأجدادهم، فيسيروا على عبادة الله في يوم السبت، فكانوا لا يزاولون فيه عملاً من أعمال دنياهم من صيد، أو متاجرة، أو صناعة.

* وكانوا يعيشون على صيد الأسماك والحيتان... فكانت الأسماك والحيتان تغيب طوال الأسبوع ولا تظهر إلا في يوم السبت الذى حرَّم الله فيه الصيد على بنى إسرائيل.. وكان ذلك فتنة لهم وامتحانًا من الله لصبرهم وإيمانهم.

* لكن أكثرهم فشلوا في هذا الاختبار وخالفوا أمر الله (جل وعلا).

فلقد وسوس الشيطان في نفوس طائفة من أهل القرية، وزين لهم اصطياد الأسماك.

ولكن كيف يتحايلون على أمر الله؟ هداهم شيطانهم إلى حيلة شيطانية ماكرة.

وأرشدهم إلى طريقة اصطادوا فيها الأسماك يوم السبت!

لقد احتالوا على اصطيادها في يوم السبت بأن نصبوا الحبال والشباك وحفروا الحُفر التي يجرى معها الماء إلى مصائد قد أعدُّوها إذا دخلها السمك، لا يستطيع أن يخرج منها، ففعلوا ذلك في يوم الجمعة فإذا جاءت الحيتان مسترسلة يوم السبت، عُلِّقت بهذه المصايد فإذا خرج يوم السبت أخذوها.

لقد أقبلوا على الصيد، فاصطادوا كثيرًا بلا تعب ولا عناء، ثم صنعوا به ما شاؤوا، وما اشتهوا من مطبوخ ومشوىّ، وأقبلوا يُشبعون نهمهم، ويملؤُونَ بطونهم.

علم المتقون منهم بما فعل هؤلاء الفساق المستهترون؛ فخرجوا إليهم ووعظوهم، وحذَّروهم، فما زادهم ذلك إلا استهتارًا وإمعانًا فى غيّهم، وانسياقًا فى ضلالهم،

فثارت ثائرة المؤمنين، وحاصروا القرية بسلاحهم، يمنعون هؤلاء المارقين من دخولها؛ لأنهم خارجون عن طاعة الله آثمون فاسقون.

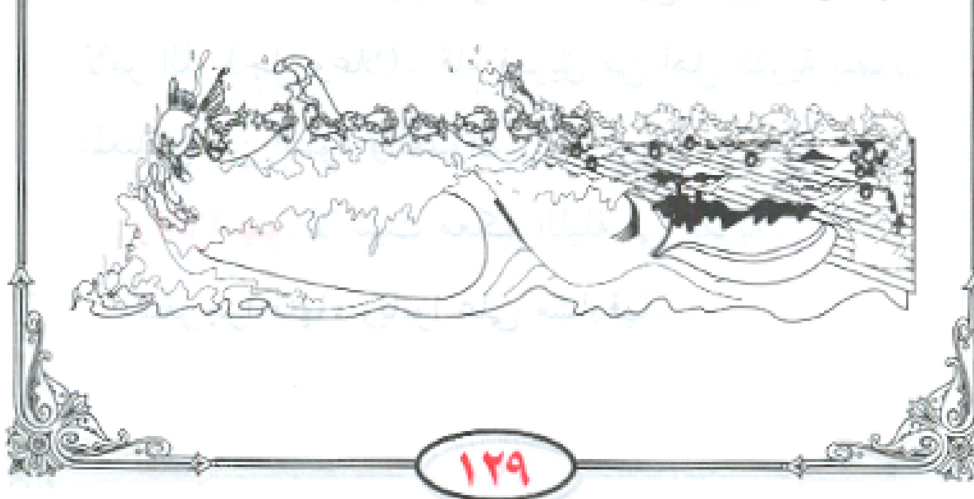
* اشتد ذلك على الفساق، وشقَّ عليهم أن يمتنعوا عن الصيد فى يوم السبت؛ مع كثرة الحيتان فيه، دون غيره من الأيام، فقالوا للمؤمنين منهم: إن القرية لنا ولكم، ولا حق لكم فى دفعنا عنها، والانفراد بها دوننا، ولا أحد يُلزمنا بتركها لكم، إنها موطننا، وموئلنا، ومحطُّ رزقنا، لا سبيل إلى تركها، ولا مفرَّ لنا إلى غيرها، فإنْ صممتم على رأيكم، فلتقاسمونا القرية، ولْنَبْنِ حيطانًا بيننا وبينكم؛ حتى يعيش كُلٌّ منا على ما يشتهى وكما يريد.

ارتضى المؤمنون أن يقاسموهم القرية، وأن يقيموا سدًا يحجبُ عنهم هؤلاء العصاة المخالفين لأمر الله (جل وعلا).

* انفردت كل طائفة، وشُغل الفساق بلهوهم وصيدهم، وحفروا نُهَيْرات تصل البحر بقريتهم، فإذا كانت ليلة السبت سارت الحيتان فيها إلى أبواب دُورهم، فإذا غربت شمس السبت، وهمَّت الحيتان بالرجوع حجزوها بسدود أقاموها تعترض مجرى النُّهَيْرات؛ فلا تملك الحيتان أن تتسرب إلى البحر.

* استمر هؤلاء الفُساق فى لهوهم ومخالفتهم لأمر الله (جل وعلا) وكثرت أموالهم وجهروا بمعصيتهم دون خوف أو إحساس بالذنب.

وانقسم أهل القرية إزاء تصرف الفريق المعتدى إلى فريقين:



الفريق الأول: هم الصالحون الدُّعاة، قاموا بواجبهم في الدعوة، وأنكروا على المتحايلين على أوامر الله تحايلهم وعدوانهم وصيدهم يوم السبت.

الفريق الثاني: هم الساكتون، سكتوا على عُدْوان المعتدين.

وتوجهوا باللوم والإنكار على الصالحين الدُّعاة، بحجة أنه لا فائدة من نصح ووعظ قوم هالكين معذَّبين.

أجاب المصلحون على اللائمين الساكتين، بأنهم يهدفون من الإنكار إلى: الإعذار أمام الله وأداء الواجب، ثم لعل القوم المعتدين يتقون.

* فلما ازداد اصرار هؤلاء الفاسقين على مخالفتهم لأمر الله (جل وعلا)، قام فريق من أهل القرية ينهون المعتدين عن السوء والعدوان.

وقالوا لهم: لا نبيت معكم الليلة في القرية.

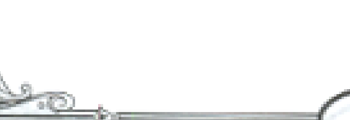
فخرجوا منها، وباتوا على مشارفها.

وفى الصباح: نظروا إلى أهل القرية المعتدين والساكتين، فلم يخرج منهم أحد، ولم يُفتح لهم بيت، فتعجبوا. وبعثوا رجلاً منهم يستطلع الخبر، فنظر فى دار فإذا أهلها قردة، ونظر فى دار أخرى فإذا جميع أهلها قردة. وهكذا باقى البيوت!

فرجع إلى جماعته فأخبرهم، فجاؤوا وفتحوا الأبواب، وإذا جميع أهلها قردة! فجعل الرجل منهم يومئ إلى القرد: أأنت فلان؟ فيومئ القرد برأسه: أن نعم، وهو يبكى.

فقالوا لهم: لقد حذرناكم!

وفتحوا الأبواب، فخرجوا وانطلقوا إلى البرية وماتوا.



* وهكذا تكون دائمًا النهاية المؤلمة لكل من خالف أمر الله (جل وعلا).

الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم لا ينبغى أن ينشغل دائمًا بالسعى وراء الدنيا وشهواتها بل يجب عليه أن يُفرغ وقتًا للعبادة حتى يبارك الله له فى رزقه وأولاده وحتى يفوز فى الدنيا والآخرة.

(٢) أن العبد لابد أن يمتثل أمر الله (جل وعلا) بالسمع والطاعة ولا يتحايل أبدًا من أجل أن يهرب من تنفيذ أوامره.

(٣) أن الله يُملى للعبد إذا عصاه وخالف أمره... ويعطيه فرصة وثانية حتى إذا استمر العبد فى مخالفته أخذه الله أخذ عزيزٍ مقتدر.

(٤) أن الله على كل شيء قدير.. فقد رأينا كيف أن هؤلاء القوم الذين خالفوا أمر الله وتحايلوا عليه.. جعلهم الله قردة خاسئين.

(٥) أن من زعم أن الإنسان أصله قرد فهو كاذب وذلك لأن الله لم يجعل لأى أمّة ممسوخة نسلاً... ولكن الصحيح أن أصل الإنسان هو أبو البشر آدم (عليه السلام).

❋ ❋ ❋

قصة الإسراء والمعراج

حبايبي الحلوين.

قبل أن نبدأ ذكر قصة الإسراء والمعراج فلا بد أن نُكثر من الصلاة على النبي محمد بن عبد الله ﷺ.

وإذا أردنا أن نعرف قصة الإسراء فلا بد أن نبدأ قبل ذلك لنعرف لماذا كانت هذه الرحلة العظيمة التي كانت تكريمًا لشخص النبي ﷺ.

* لقد كانت قريش تؤذي النبي ﷺ وأصحابه إيذاءً شديدًا وكان الأذى يزداد يومًا بعد يوم حتى وصل الأمر إلى أن أجمعت قريش على أن يعملوا مقاطعة عامة مع بني هاشم وبني عبد المطلب وبني عبد مناف فلا يكلموهم ولا يتزوجوا منهم ولا يبيعوا أو يشتروا

منهم حتى يُسلّموا لهم رسول الله ﷺ .. وكتبوا بذلك صحيفة ظالمة وعلقوها فى سقف الكعبة.

وحُبس النبى ﷺ ومن معه من المؤمنين فى شِعب أبى طالب وظلوا محبوسين فى ذلك الشِّعْب ثلاث سنوات بعد أن منعت قريش عنهم الطعام حتى أكلوا ورق الشجر.

موت أبى طالب (عم النبى ﷺ)... وخديجة (رضى الله عنها)

* وبعد نقض هذه الصحيفة الظالمة وخروج النبى ﷺ وأصحابه من الشِّعب بعد ثلاث سنوات كانت الأحزان الشديدة فى انتظار النبى ﷺ .... يا ترى ما الذى حدث؟

لقد مات أبو طالب (عم النبى ﷺ) الذى كان يدافع عنه كثيرًا ويدفع عنه أذى المشركين الظالمين...

وحزن النبى ﷺ حزنًا شديدًا؛ لأن عـمه مات كافرًا قبل أن يُسلم.

ويزداد الحـزن والألم عندما مـاتت خديجـة (رضى الله عنهـا) أم المؤمنـين وزوج رسـول الله ﷺ التى كانت تواسيـه بنفسها ومالها وتُعـينه عند الشدائد فلقد كانت نعم الزوجة الوفية الرحيمة الحنونة.

* وهنا يزداد إيذاء قـريش للنبى ﷺ وأصـحـابه (رضى الله عنهـم) فـيجـلس النبى ﷺ مع نفـسـه ويفكر.. إلـى أين يذهب؟.. ومـاذا يصـنع من أجل نشر دعوة الإسلام؟

فيقرر النبى ﷺ أن يذهب إلى الطائف لعله يجد مكانًا مناسبًا لنشر دعوة الإسلام.

* * *

النبى ﷺ يخرج ليدعو أهل الطائف

ويذهب النبى ﷺ إلى الطائف ماشيًا على قدميه أكثر من تسعين كيلو مترًا ليعرض الإسلام على أهل الطائف فكانوا أسوأ من أهل مكة فقد رفضوا دعوته وسخروا منه ﷺ .

ولم يكتفوا بذلك . . . بل سلطوا عليه الصبيان والنساء ليضربوه بالحجارة حتى سالت الدماء الشريفة من جسد النبى محمد ﷺ . . . وكان زيد بن حارثة (رضى الله عنه) مع النبى ﷺ وكان يحمى النبى ﷺ من الحجارة قدر استطاعته حتى أصيب فى جسده إصابات بالغة .

وأخذ المجرمون يطاردون الرسول ﷺ حتى دخل بستانًا وكان أصحاب البستان فيه فطردوا هؤلاء المجرمين وصرفوهم عن رسول الله ﷺ .

* وجلس النبي ﷺ باكيًا حزينًا على كل ما حدث له . . . وأخذ يتذكر كل ما فعلته قريش معه ومع أصحابه فلجأ إلى الله (جل وعلا) وقام النبي ﷺ وصلى ركعتين ثم دعا بهذا الدعاء المشهور وبتلك الكلمات المؤثرة:

«اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت أرحم الراحمين، وأنت ربُّ المستضعفين، إلى من تكلني إلى عدوٍّ بعيد يتجهمني (١) أم إلى صديق قريب ملَّكته أمري إن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أضاءت له السماوات، وأشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك أو يحل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك».

* * *

(١) يتجهمني: أي يلقاني بالغلظة والوجه الكريه.

إسلام عدّاس

* فلما رآه أصحاب البستان على تلك الحالة رقّت قلوبهم وتحركت رحمة بالنبي ﷺ .... فأرسلوا غلامًا نصرانيًا اسمه عدّاس إلى النبي ﷺ بطبق فيه عنب.

فقطف عدّاس عنبًا ووضعه في طبق ثم جاء إلى النبي ﷺ ووضعه بين يديه وقال له: كُل فلما وضع رسول الله ﷺ فيه يده، قال: بسم الله، ثم أكل، فنظر عداس في وجهه، ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ: «ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس؟ وما دينك؟» قال: نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى.

فقال رسول الله ﷺ: «من قرية الرجل الصالح يونس بن متّى»، فقال له عداس: وما يدرك ما يونس ابن متّى؟ فقال رسول الله ﷺ: «ذاك أخي، كان نبيًا وأنا نبي»،

فأكبَّ عداس على رسول الله ﷺ يُقبل رأسه وقدميه.

فقال صاحب البستان: ويلك يا عدَّاس ما لك تُقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه.

فقال عداس: يا سيدى... ما فى الأرض خير من هذا... لقد أخبرنى هذا الرجل بأمر لا يعلمه إلا نبى.

وأسلم عدَّاس وذاق طعم وحلاوة الإيمان.

* * *

الله يرسل جبريل
وملك الجبال للنبى ﷺ

ولما سار النبى ﷺ مهمومًا حزينًا مما فعله معه أهل الطائف أرسل الله إليه جبريل وملك الجبال (عليهما السلام) فى مكان اسمه قرن الثعالب. . فسلم عليه جبريل وقال: السلام عليك يا رسول الله إن ربك يعلم ما فعله معك هؤلاء الناس وقد أرسل معى ملك الجبال لتأمره بما شئت.

فسلم ملك الجبال على النبى ﷺ وعرض عليه أن يقتل أهل الطائف وذلك بأن يجعلهم بين جبلين ثم يضم الجبلين فيقتلهم.

فرفض النبى ﷺ ذلك رغم كل ما فعلوه معه وقال: «لا تفعل فإنى أرجو من الله أن يُخرج من نسلهم من يعبد الله ويوحده».



إسلام نفرٍ من الجن في وادى نخلة

وفى طريق عودته من الطائف، أقام الرسول ﷺ أيامًا فى وادى نخلة - القريب من مكة - وخلال فترة إقامته هذه بعث الله إليه نفرًا من الجن استمعوا إلى القرآن الكريم، وأسلموا وعادوا إلى قومهم منذرين ومبشرين كما ذكر الله تعالى فى كتابه العزيز: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1].

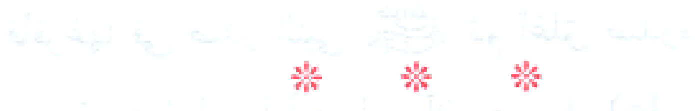
* * *

(١) سورة الأحقاف: الآيات: (٢٩- ٣١).

رحلة الإسراء والمعراج
كانت تكريمًا لشخص النبى ﷺ

وفى ظل هذه الأحزان الشديدة التى تعرض لها النبى ﷺ كان من رحمة الله بالنبى ﷺ أن أكرمه برحلة الإسراء والمعراج لتكون تكريمًا له ﷺ، وتسلية له عما أصابه من المصائب والأحزان ليزداد يقين النبى ﷺ بنجاح دعوته وتبليغ رسالة ربه (جل وعلا) والنصر على أعدائه.

وفى هذه الرحلة أطلعه الله على أشياء عظيمة من ملكوته العظيم حتى امتلأ قلب النبى ﷺ بالنور والرضى والطمأنينة.



رحلة الإسراء
وشق صدر النبي ﷺ

كان النبي ﷺ نائمًا في بيت أم هانئ بنت أبي طالب وكان بيتها عند شِعب أبي طالب.

وفجأة انفتح سقف بيتها ونزل جبريل (عليه السلام) فتعجب النبي ﷺ وسأل جبريل عن سبب نزوله فأخبره جبريل أنه لابد أن يخرج معه الآن إلى المسجد.

فخرج معه النبي ﷺ إلى المسجد وإذا بجبريل (عليه السلام) يشق صدر النبي ﷺ ثم يغسله بماء زمزم ثم جاء بطست من الذهب قد امتلأ حكمة وإيمانًا فأفرغها في صدر النبي ﷺ ثم أغلق صدره.

ونحن نعلم يا أحبابي أن جبريل (عليه السلام) شق صدر النبي ﷺ ثلاث مرات:

المرة الأولى: وهو صغير يلعب مع الغلمان فأخذه

جـبـريل فصـرعـه فـشق صدره واسـتـخـرج القلب واستخرج منه علقـة وقال له: هذا حظ الشيطان منك ثم غسل صدر النبى فى طست من ذهب بماء زمزم ثم أعاد صدره كما كان.

والمرة الثانية: عند بعثة النبى . . . فقـد فعل جبريل معه مثلما فعل فى المرة الأولى لكن زاد فى هذه المرة أن ختم فى ظهر النبى ﷺ خاتم النبوة.

والمرة الثالثة: عند رحلة الإسراء والمعراج.

❋ ❋ ❋

النبى ﷺ يركب البُراق

وبعد أن غسل جبريل صدر النبى ﷺ أتاه بالبُراق .

والبُراق: هو دابة أبيض طويل وهو أكبر من الحمار وأصغر من البغل .

وهو سريع جداً يضع حافره عند آخر شيء يراه ببصره .

فخطوته كبيرة جداً يقطع بها المسافات الطويلة فى وقت قصير .

* فلما أراد النبى ﷺ أن يركب البراق استصعب عليه فلم يتمكن النبى ﷺ من ركوبه . . فقال جبريل للبراق : أتفعل هذا بمحمد ﷺ ؟ فوالله ما ركبك أحدٌ أكرم على الله منه ﷺ .

* وما هى إلا دقائق معدودات حتى وصل النبى ﷺ إلى بيت المقدس ثم ربط جبريل البراق

بالحلقة التى كان يربط بها الأنبياء (صلوات ربى وسلامه عليهم).

ثم دخل النبى ﷺ المسجد وصلى فيه ركعتين.

ثم خرج النبى ﷺ بعد ذلك وإذا بجبريل ينتظره فى الخارج ومعه إناء فيه خمر وإناء آخر فيه لبن.

فنظر جبريل إلى النبى ﷺ وقال له: يا رسول الله: أيهما تختار: الخمر أم اللبن؟

فاختار النبى ﷺ اللبن.

فقال له جبريل (عليه السلام): لقد اخترت الفطرة.

* * *

رحلة المعراج

وبعد أن انتهت رحلة الإسراء بدأت رحلة المعراج فجاء جبريل (عليه السلام) بالمعراج العظيم الذى يصل من الأرض إلى السماء .. وهو السُّلَّمُ الكبير الذى صعد عليه النبى ﷺ فى جزء يسير من الليل إلى السماوات السبع.

ويا لها من رحلة عظيمة يعجز القلم عن وصفها.

فالنبى ﷺ أُسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عُرج به إلى السماوات السبع ثم عاد فى جزء يسير من الليل.



المشاهد التى رآها النبى ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج

لقد رأى النبى ﷺ فى رحلة الإسراء مشهدًا عجيبًا !!!

يا ترى ما هو المشهد الذى رآه النبى ﷺ فى رحلة الإسراء؟

لقد رأى موسى (عليه السلام) وهو يصلى فى قبره.

قال ﷺ : «مررت على موسى ليلة أسرى بى عند الكثيب الأحمر وهو قائم فى قبره يصلى».

* * *

النبى ﷺ يرى الأنبياء ويسلم عليهم

ففى رحلة المعراج لما صعد النبى ﷺ مع جبريل (عليه السلام) إلى السماء الدنيا فقالت الملائكة لجبريل: من هذا الذى معك.

قال جبريل : هذا محمد رسول الله ﷺ .

فرحبت به الملائكة ترحيبًا شديدًا وفرحوا بلقاء النبى ﷺ فرحًا عظيمًا. . . فالنبى ﷺ هو حبيب أهل الأرض والسماء.

صعد النبى ﷺ إلى السماء الأولى فوجد فيها رجلاً وقورًا عن يمينه أُناس كثيرون وعن يساره أُناس كثيرون.

فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر عن شماله بكى.

فسأل النبى ﷺ جبريل (عليه السلام) وقال له: «من هذا الرجل؟».

فقال جبريل: هذا آدم (عليه السلام) وهؤلاء الذين عن يمينه وشماله هم أولاده . . . فالذين عن يمينه هم أهل الجنة .

فإذا نظر إليهم ضحك . . والذين عن شماله هم أهل النار فإذا نظر إليهم بكى.

فاقترب النبى ﷺ من أبينا آدم (عليه السلام) وسلَّم عليه فردَّ عليه السلام وقال له: مرحبًا بالنبى الصالح والإبن الصالح .

* ثم صعد النبى ﷺ إلى السماء الثانية فسألت الملائكة جبريل (عليه السلام): من هذا الذى معك؟

فقال جبريل: هذا محمد رسول الله ﷺ .

ففرحت الملائكة به فرحًا عظيمًا . . . وفتحت له أبواب السماء الثانية .

فلما صعد النبى ﷺ إلى السماء الثانية وجد فيها عيسى ويحيى عليهما السلام، فقال له جبريل عليه

السلام: هذا يحيى وعيسى فسلَّم عليهما فسلم النبى ﷺ عليهما فردّا عليه السلام وقالا له: مرحبًا بالنبى الصالح والأخ الصالح.

* ثم صعد النبى ﷺ إلى السماء الثالثة فسألت الملائكة جبريل (عليه السلام) من هذا الذى معك؟

فقال جبريل: هذا محمد رسول الله ﷺ.

ففرحت الملائكة به فرحًا عظيمًا.. وفتحت له أبواب السماء الثالثة.

فلما صعد النبى ﷺ إلى السماء الثالثة وجد فيها يوسف (عليه السلام).

فقال له جبريل (عليه السلام): هذا يوسف فسلِّم عليه.

فسلم النبى ﷺ عليه فردّ السلام وقال له: مرحبًا بالنبى الصالح والأخ الصالح.

* ثم صعد النبى إلى السماء الرابعة فسألت الملائكة

جبريل (عليه السلام) من هذا الذى معك؟

فقال جبريل: هذا محمد رسول الله ﷺ .

ففرحت الملائكة به فرحًا عظيمًا... وفتحت له أبواب السماء الرابعة فلما صعد النبى ﷺ إلى السماء الرابعة وجد فيها إدريس (عليه السلام) فقال له جبريل (عليه السلام): هذا إدريس فسلّم عليه.

فسلم النبى ﷺ عليه فردّ السلام وقال له: مرحبًا بالنبى الصالح والأخ الصالح.

* ثم صعد النبى ﷺ إلى السماء الخامسة فسألت الملائكة جبريل (عليه السلام): من هذا الذى معك؟

فقال جبريل: هذا محمد رسول الله ﷺ .

ففرحت الملائكة به فرحًا عظيمًا... وفتحت له أبواب السماء الخامسة.

فلما صعد النبى ﷺ إلى السماء الخامسة وجد فيها هارون (عليه السلام).

فقال له جبريل (عليه السلام): هذا هارون فسلِّم عليه.

فسلم النبى ﷺ عليه فردَّ عليه السلام وقال له: مرحبًا بالنبى الصالح والأخ الصالح.

* ثم صعد النبى ﷺ إلى السماء السادسة فسألت الملائكة جبريل (عليه السلام) من هذا الذى معك؟

فقال جبريل: هذا محمد رسول الله ﷺ.

ففرحت الملائكة به فرحًا عظيمًا.. وفتحت له أبواب السماء السادسة.

فلما صعد النبى ﷺ إلى السماء السادسة وجد فيها موسى (عليه السلام).

فقال له جبريل (عليه السلام): هذا موسى فسلِّم عليه.

فسلم النبى ﷺ عليه فردّ السلام وقال له: مرحبًا بالنبى الصالح والأخ الصالح.

فلما جاوزه النبى ﷺ ليصعد إلى السماء السابعة وإذا بنبى الله موسى يبكى فقيل له: ما يُبكيك؟.

قال: أبكى لأن محمدًا ﷺ يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتى.

* ثم صعد النبى إلى السماء السابعة فسألت الملائكة جبريل (عليه السلام): من هذا الذى معك؟

فقال جبريل: هذا محمد رسول الله ﷺ.

ففرحت الملائكة به فرحًا عظيمًا... وفتحت له أبواب السماء السابعة.

فلما صعد النبى ﷺ إلى السماء السابعة وجد فيها إبراهيم(عليه السلام) فقال له جبريل (عليه السلام): هذا إبراهيم فسلِّم عليه.

فسلم النبى ﷺ عليه فردَّ السلام وقال له: مرحبًا بالنبى الصالح والإبن الصالح.

* فرأى النبى ﷺ إبراهيم (عليه السلام) مُسندًا

ظهره إلى البيت المعمور فى السماء السابعة.

فسأل النبى ﷺ جبريل (عليه السلام): ما هذا البيت؟

فقال جبريل: هذا البيت المعمور يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك فإذا خرجوا لم يعودوا إليه... يعنى كل يوم سبعون ألف ملك غير الذين قبلهم.

* * *

النبى ﷺ يرى سدرة المنتهى

ثم رأى النبى ﷺ سدرة المنتهى ووجد أن الثمرة الواحدة فيها مثل الجرَّة الكبيرة التى كانت تُصنع فى قرية هجر فى البحرين... ورأى ورقها مثل آذان الفيلة.

فسأل النبى ﷺ جبريل (عليه السلام): ما هذا.

فقال: هذه سدرة المنتهى.

* ورأى النبى أربعة أنهار: نهران ظاهران ونهران باطنان فسأل النبى ﷺ جبريل (عليه السلام) وقال: «ما هذا؟».

فقال جبريل: أما النهران الباطنان فنهران فى الجنة وأما النهران الظاهران فالنيل والفرات.

* ثم أتى جبريل للنبى ﷺ إناءٌ من خمر وإناءٌ من لبن وإناءٌ من عسل فاختار النبى ﷺ اللبن.

فقال جبريل: هذه هى الفطرة التى أنت عليها وأمتك.

فرض الصلاة على النبى ﷺ وأمته

ثم فُرضت الصلاة على النبى ﷺ وأمته خمسين صلاة كل يوم.

فعاد النبى ﷺ . . . وفى طريق العودة مرَّ النبى ﷺ على موسى (عليه السلام) فسأله موسى وقال: بأى شيء أمرك الله (جل وعلا).

فقال النبى ﷺ : «أمرت بخمسين صلاة كل يوم».

فقال موسى (عليه السلام): إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وإنى والله قد جربت الناس قبلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك.

فعاد النبى ﷺ إلى ربه وسأله التخفيف فوضع الله عنه عشراً فأصبحت أربعين صلاة.

فعاد النبى ﷺ إلى موسى (عليه السلام) فقال له نفس الكلام وقال له: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك.

فعـاد النبى ﷺ إلى ربه وسأله التخفـيف فوضع عنه عشراً فأصبحت ثلاثين صلاة.

وظل النبى ﷺ على تلك الحـالة حتى أصـبحت الصلاة خـمس صلوات... فلما قال له مـوسى (عليه السلام): ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك.

قال له النبى ﷺ : «لقد سـألت ربى حتى اسـتحييت ولكن أرضى وأسلِّم».

فـإذا بالحق (جل وعـلا) يجعلهـا خـمس صلوات ولكن بأجر خمسين صلاة.

❋ ❋ ❋

رؤية النبى ﷺ
لمالك خازن النار والمسيح الدجال

وفى هذه الرحلة المباركة رأى النبى ﷺ أشياءً عجيبة.

وكان من بين تلك الأشياء التى رآها النبى ﷺ أنه رأى المسيح الدجال الذى يظهر فى آخر الزمان.. ووصفه النبى ﷺ لأصحابه وصفًا دقيقًا.

ورأى النبى ﷺ مالكًا خازن النار وطلب جبريل (عليه السلام) من النبى ﷺ أن يسلم على مالك فسلم النبى ﷺ عليه فردَّ عليه السلام.

ولقد وصفه النبى ﷺ لأصحابه وأخبرهم بأنه كريه المنظر.. وذلك ليكون زيادة فى عذاب أهل النار.



رؤية النبى ﷺ للذين يغتابون الناس

وفى هذه الرحلة رأى النبى ﷺ منظرًا عجيبًا...

فلقد رأى النبى ﷺ قومًا لهم أظفار من نحاس يُقطعون بها وجوههم وصدورهم فتعجب النبى ﷺ وسأل جبريل (عليه السلام) وقال له: «من هؤلاء يا جبريل؟».

فقال جبريل: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم.

أى: هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقولون عنهم كلامًا سيئًا فى غيبتهم.



رؤية النبى ﷺ لخطباء أمته الذين يقولون ما لا يفعلون

وفى هذه الـرحلة أيضًـــا رأى النبى ﷺ مـنظرًا عجيبًا.

لقد رأى النبى ﷺ قومًا تُقـرض وتُقطع شفاههم بمقاريض من النار فـسأل جبريل (عليـه السلام) وقال: «من هؤلاء يا جبريل؟».

فقال جبريل: هؤلاء خطباء أمتك الذين كانوا يأمرون الناس بالبـر وينسون أنفسـهم وهم يتلون الكتـاب أفلا يعقلون.

* * *

مرور النبى ﷺ على رائحة ماشطة ابنة فرعون

وفى هذه الرحلة . . . بينما كان النبى ﷺ يصعد مع جبريل (عليه السلام) إلى السماوات السبع إذ مرت عليه رائحة طيبة فتعجب النبى ﷺ .

وسأل جبريل: ما هذا يا جبريل؟

فقال جبريل: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها .

فسأله النبى ﷺ عن قصتها .

فقال جبريل (عليه السلام): هذه امرأة كانت تعمل فى قصر فرعون وكانت وظيفتها أنها ماشطة إبنة فرعون . . فهى التى تربيها وتمشط شعرها وتدبر كل أمورها .

وفى يوم من الأيام كانت هذه الماشطة تمشط شعر إبنة فرعون فسقط منها المشط فمدت يدها وقالت: بسم الله .

فقالت إبنة فرعون: أبى؟!

فقالت الماشطة: إن أباك ليس إلهًا.. ولكنى أقول: بسم الله الذى هو ربى وربك ورب أبيك.

فقالت ابنة فرعون: سأخبر أبى بذلك.

فقالت الماشطة: إفعلى ما شئت.

فذهبت إبنة فرعون لأبيها وأخبرته أن الماشطة تعبد إلهًا غيره فأرسل إليها فرعون وسألها: هل تعبدين إلهًا غيرى؟

فقالت الماشطة: أعبد الله ربى وربك ورب العالمين.

فأمر فرعون ببقرة من نُحاس فأحميت فى النار ثم أمر الجنود والحراس بأن يلقوها هى وأولادها فيها حتى يموتوا جميعًا.

فطلبت من فرعون طلبًا واحدًا.. وهو أن يجمع عظامها وعظام أولادها بعد الموت ويجعلهم جميعًا فى قبر واحد.

فوافق فرعون على ذلك.

وأمر الجنود بالقضاء عليها هى وأولادها.

فبدأوا يأخذون أولادها واحدًا واحدًا ويلقوه فى البقرة النحاسية ليموت أمام أمه.

وهى ترى هذا المشهد المفزع أمام عينيها وتصبر وتحتسب.

إلى أن جاء الدور على طفلها الصغير الذى تُرضعه فأخذوه من على صدرها فكادت أن تُفتن فأنطق الله طفلها الرضيع فقال: يا أمى اقتحمى فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة.

فاقتحمت وألقت بنفسها فى البقرة النحاسية فماتت.

فأكرمها الله (جل وعلا) بأن تحولت رائحة عظامهم بعد الحرق إلى رائحة طيبة شمَّها النبى ﷺ فى رحلة المعراج.

❋ ❋ ❋

النبى ﷺ يرى الجنة والنار

وفى هذه الرحلة المباركة رأى النبى ﷺ الجنة والنار . . . لقد رأى النار . . ورأى بعض مشاهد العذاب لأهل النار . . . ورأى الجنة . . ورأى بعض مشاهد نعيم أهل الجنة .

هبوط النبى ﷺ إلى بيت المقدس

وبعد هذه الرحلة العظيمة عاد النبى ﷺ مع جبريل (عليه السلام) وهبطا مرة أخرى إلى بيت المقدس وهبط معه كل الأنبياء الذين رآهم النبى ﷺ فى السماوات السبع .

ودخلوا جميعًا بيت المقدس فصلى بهم النبى ﷺ إمامًا ليعرف الكون كله أن النبى ﷺ هو سيد الأولين والآخرين .

ثم ركب النبى ﷺ البراق وعاد إلى مكة مرة أخرى .

* وكان وقت هذه الرحلة العظيمة هو جزء يسير من الليل.

قريش تكذب النبى ﷺ

ولما عاد النبى ﷺ إلى مكة وحكى لبعض أصحابه عن تلك الرحلة وصل الخبر لكفار قريش فسخروا من النبى ﷺ وقالوا له: أتزعم أنك أُسرى بك من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عُرِج بك إلى السماء السابعة ثم عُدت مرة أخرى فى جزء يسير من الليل.

فقال النبى ﷺ: «نعم».

فقال أحدهم: فهل تستطيع أن تصف لنا المسجد الأقصى؟

فوافق النبى ﷺ على ذلك.. وبدأ يصف لهم المسجد لكنه لم يستطع أن يُكمل الوصف لأنه رأى

المسجـد ليلاً ولم يكن قـد رأى كل شيء بوضوح . . .
فأمر الله الملائكة فجاءت بالمسجد الأقصى حتى وضعته
أمام النبي ﷺ فـأخذ النبي ﷺ ينظر إليه ويصـفه
لكفار قريش وهم يتعجبون من دقة الوصف رغم أنهم
يعلمون أن النبي ﷺ لم يذهب إلى هناك .

❋ ❋ ❋

موقف أبى بكر الصديق من رحلة الإسراء والمعراج

ولما سمع المشركون عن رحلة الإسراء والمعراج ذهبوا إلى أبى بكر الصديق (رضى الله عنه) وقالوا له: إن محمداً يزعم أنه أسرى به الليلة إلى المسجد الأقصى فى جزء من الليل ونحن نقطع هذه المسافة فى شهر كامل فماذا تقول يا أبا بكر؟

فقال أبو بكر: إن كان النبى ﷺ قال ذلك فقد صدق.. إنى لأصدقه فى خبر السماء أفلا أصدقه فى بيت المقدس.

* فلما رأى النبى ﷺ تكذيب كفار قريش له، قال لجبريل (عليه السلام): «يا جبريل إن قومى لا يصدقونى».

فقال جبريل: يصدقك أبو بكر وهو الصِّدِّيق.



الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم لابد أن يتحمل الأذى من أجل أن يحافظ على دينه فقد رأينا كيف تحمل النبى ﷺ وأصحابه إيذاء كفار قريش من أجل أن يحافظوا على دينهم وإيمانهم.

(٢) أن المسلم لابد أن يُبتلى لكى يرفع الله درجته فى الجنة.

(٣) أن المسلم إذا وجد أن أهل بلده لا يستجيبون لدعوته فعليه أن يبحث عن مكان آخر لدعوته.. ولقد رأينا كيف أن النبى ﷺ لما رأى كفار قريش لا يستجيبون لدعوته خرج ليدعو أهل الطائف.

(٤) أن الله (عز وجل) يكرم عبده بأن يجعله يرى ثمرة دعوته وسط المحن والابتلاءات.

ولقد رأينا كيف أن النبى ﷺ لما أُوذى فى الطائف ودخل البستان فرارًا من إيذاء أهل الطائف

أكرمه الله بأن يُسلم على يديه عداس النصرانى. . . .
بل ويُسلم على يديه جماعة من الجن.

(٥) أن رحلة الإسراء والمعراج كانت تكريمًا لشخص النبى ﷺ وتسلية له عما تعرض له من الإيذاء والابتلاءات.

(٦) أن مقام النبى ﷺ أعلى من مقام كل الأنبياء والمرسلين فهو سيد الأولين والآخرين.

(٧) أن الصلاة من أعظم أركان الإسلام ولذا فرضها الله (جل وعلا) على النبى ﷺ وأمته من فوق سبع سماوات.

(٨) أن ثبات المؤمن على الابتلاءات يرفع قدره عند الله.

ولقد رأينا كيف أن ثبات ماشطة ابنة فرعون كان سببًا فى أن يشم النبى ﷺ رائحتها الطيبة هى وأولادها فى رحلة المعراج.

(٩) أن الواجب على كل مسلم أن يصدق النبى ﷺ فى كل ما أخبر عنه.

ولقد رأينا أبا بكر لما قال: إن كان النبى ﷺ قال ذلك فقد صدق.

* * *

قصة أصحاب الكهف

كان ياما كان .

كان هناك مجموعة من الشباب يعيشون فى إحدى المدن .

وكان حاكم هذه المدينة رجلاً ظالمًا وكافرًا اسمه دقيانوس . . فقد كان يأمر الناس بعبادة الأصنام وبأن يذبحوا ويقدموا القرابين لتلك الأصنام .

وكان إذا رأى أحدًا يعبد الله جل وعلا ولا يعبد الأصنام يعذبه عذابًا شديدًا لدرجة أنه كان إذا رأى رجلاً مؤمنًا كان يضعه فى السجن ويُطلق عليه أسدًا جائعًا ليأكله .

وفى يوم من الأيام خرج أهل هذه المدينة إلى عيد من أعيادهم . . فخرج هؤلاء الفتية معهم ونظروا إلى

قومهم وهم يسجدون ويذبحون للأصنام فألقى الله نور الإيمان فى قلوب هؤلاء الشباب - وكانوا من سادة القوم - فتركوا قومهم فى هذا العيد واعتزلوهم.

فذهب أول واحد منهم وجلس بعيدًا تحت ظل شجرة ثم أتى إليه الثانى فالثالث.. إلى أن اجتمع السبعة.

وكان كُلُّ واحدٍ منهم يكتم إيمانه خوفًا من أصحابه حتى لا يخبر أحدهم هذا الملك الظالم فيجعله طعامًا للأسد.

وفجأة قام واحد منهم وقال: تعلمون والله ما أخرجكم من قومكم إلى هذا المكان إلا شىء فى صدوركم، فتعالوا نتصارح فيما بيننا.

فقال الثانى: والله إنى لأشعر أن قومنا على الباطل.. فكيف نعبد أصنامًا لا تنفع ولا تضر.. مع أن الذى يستحق أن نعبده ونوحده هو الله خالق

السماوات والأرض وما بينهما .

فقال كل واحد منهم: وأنا أوافقك على هذا الرأى .

فتصارحوا وأعلنوا إيمانهم فيما بينهم وصاروا يدًا واحدة وأصبحوا إخوانًا متحابين فى الله جل وعلا .

* واتخذوا لأنفسهم معبدًا يعبدون الله فيه بعيدًا عن قومهم .

ولكن بعد فترة يسيرة عرف قومهم أنهم آمنوا بالله جل وعلا فأخبروا هذا الملك الظالم .

فلما علم الملك بإيمان هؤلاء الشباب أرسل إليهم فجاءوا إليه وهم يخشون أن يفعل بهم كما فعل بمن سبقهم للإيمان بأن جعلهم طعامًا للأسود .

ولكن الله ثبتهم وربط على قلوبهم فقالوا كلمة الحق أمام هذه الحاكم الظالم ودعوه إلى الله جل وعلا .

ولهذا أخبر تعالى عنهم بقوله جل وعلا: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ

قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴾[1] أي: باطلاً وكذبًا وبهتانًا.

* ﴿ هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ﴾[2] أي: هؤلاء أهل بلدنا عبدوا الأصنام تقليدًا من غير حجة ﴿ لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ﴾[3] أي: هلا يأتون على عبادتهم لها ببرهان ظاهر، كأنهم قالوا: إنهم لا يستطيعون أن يأتوا بحجة ظاهرة على عبادتهم للأصنام فهم إذًا كذبة على الله ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾[4] أي: لا أحد أظلم ممن كذب على الله بنسبه الشريك إليه تعالى.

فغضب عليهم الملك، وأمر بنزع لباس الزينة عنهم الذي كان عليهم من زينة قومهم، وهددهم إن لم يعودوا إلى دين قومهم، ثم أجَّلهم لينظروا في أمرهم لعلهم يرجعون، وكان هذا من لطف الله بهم لأنهم

---

(١) سورة الكهف: الآية: (١٤).

(٢)، (٣)، (٤) سورة الكهف: الآية: (١٥).

توصلوا بهذا التأجيل إلى الهرب والفرار بدينهم من الفتنة.

فكَّر أولئك الفتية المؤمنون فى الخطوة التالية، فوجدوها فى العزلة، فقرروا اعتزال قومهم.

إنهم مؤمنون، وقومهم كافرون، ولا مجال لأن يعيشوا معهم.

خرجوا من المدينة إلى الجبال، وقرروا أن يأووا إلى كهف فى جبل.

وطلبوا من الله أن ينشر عليهم فى الكهف من رحمته.

واستجاب الله لهم، فكانت رحمةُ الله عليهم فى الكهف، حيث يسّر الله لهم الأمر، وسخّر لهم الآيات. فأمر الشمس أن لا تمس أجسادهم، حتى لا تؤذيها،... كانت عند الصباح تَميلُ عن أجسادهم، فلا تقع عليها، وكانت عند الغروب تميل عنها كذلك،

فلا تأتيها، وكانوا فى فجوة وسط الكهف.

ومن آيات الله عليهم فى الكهف: أن عيونَهم كانت مفتوحة، فكان الناظر إليهم يحسبهم أيقاظًا ينظرون إليه، مع أنهم نيام راقدون.

وحتى لا تأكل الأرض أجسادهم، كان الله يقلّبهم مرة على اليمين، ومرة على الشمال.

وكان معهم كلبهم الذى صحبهم، حيث جلس على عتبة باب الكهف، وبسط ذراعيه، ونام مثل نومتهم.

وحتى لا يعتدى أحد عليهم وهم رقود، قذف الله فى قلب كل من ينظر إليهم الرعب، بحيث لو اطّلع عليهم، لولّى منهم فرارًا، ولمُلِئَ منهم رعبًا.

وناموا نومتهم الطويلة، حيث بقوا على هذه الصورة ثلاثمائة وتسع سنوات!

* وبعد هذا الزمان الطويل بعثهم الله من نومهم

فقاموا من نومهم وهم يشعرون بتعبٍ شديد فى أجسادهم وأخذوا يتساءلون فيما بينهم عن المدة التى أقاموها فى الغار.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾[1]

أى: قال أحدهم: كم مكثنا فى هذا الكهف؟ فقالوا: مكثنا فيه يومًا أو بعض اليوم.. قال المفسرون: إنهم دخلوا فى الكهف صباحًا وبعثهم الله فى آخر النهار فلما استيقظوا ظنوا أن الشمس قد غربت فقالوا: لبثنا يومًا، ثم رأوها لم تغرب فقالوا أو بعض يوم، وما دروا أنهم ناموا ثلاثمائة وتسع سنين... ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾[2] أى: قال بعضهم، الله أعلم بمدة إقامتنا ولا طائل وراء البحث عنها فخذوا بما هو أهمُّ وأنفع لكم، فنحن الآن جياع ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾[3] أى: فأرسلوا واحدًا منكم إلى المدينة بهذه النقود

---

(١) سورة الكهف: الآية: (١٩).
(٢)، (٣) سورة الكهف: الآية: (١٩).

الفضـية ﴿ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ ﴾[(١)] أى: فليختر لنا أحلَّ وأطيب الطعام فليشترِ لنا منه ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾[(٢)] أى: وليتلطف فى دخول المدينة وشراء الطعام حتى لا يشعر بأمرنا أحد ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ ﴾[(٣)] أى: إن يظفروا يقتلوكـم بالحجارة أو يردوكم إلى دينـهم الباطل ﴿ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴾[(٤)] أى: وإن عدتم إلى دينهم ووافقتموهم على كفـرهم، فلن تفوزوا بخيـر أبدًا، وهكذا يتناجى الفتية فيما بيـنهم خائفين حذرين أن يظهر عليهم الملك الجبـار فيقتلهم أو يـردهم إلى عبادة الأوثان فيـوصون صاحبهم بالتلطف بالدخول وأخذ الحيطة والحذر.

وذهب أحدهم ليُـحضـر لهم الطعام الطيب ومـعه الدراهـم الفضـية التى نُقش عليهـا صورة الملك الظالم دقيانوس.

---

(١)، (٢) سورة الكهف: الآية: (١٩).
(٣)، (٤) سورة الكهف: الآية: (٢٠).

فلما نزل المدينة، تعجب فقد رأى أن شوارع المدينة قد تغيرت وأن البيوت قد تبدلت وأن الناس غير الناس ولم يعرف ما السبب فى ذلك؟

وبعد جهد كبير وصل هذا الشاب إلى المطعم وطلب من البائع طعامًا، فنظر إليه البائع متعجبًا لمنظره.

فلما جهز له الطعام وطلب منه ثمن الطعام، أعطاه الشاب تلك الفلوس الفضية التى كان عليها صورة دقيانوس: فتعجب البائع، وقال له: من أين لك هذا المال؟

فقال الشاب: إنه المال الذى نتعامل به.. وهذه صورة دقيانوس.

فقال البائع: هل أنت مجنون.. إن دقيانوس- عليه لعنة الله - مات منذ أكثر من ثلاثمائة سنة.

فتعجب الشاب وهو يسمع هذا الكلام وأحس بأن

الدماء قد تجمدت فى عروقه، فتجمع الناس حول هذا الشاب وأخذوه إلى ملكهم، فسأله عن شأنه فأخبره بأمره وهو متحير فى حاله وما هو فيه فقام ملك البلد وأهلها.. حتى انتهى بهم إلى الكهف فقال لهم: دعونى أتقدمكم فى الدخول لأعلم أصحابى فدخل،... فيقال: إنهم لا يدرون كيف ذهب فيه، وأخفى الله عليهم خبرهم، ويقال: بل دخلوا عليهم ورأوهم، وسلَّم عليهم الملك واعتنقهم وكان مسلمًا فيما قيل، ففرحوا به وآنسوه بالكلام، ثم ودعوه وسلموا عليه، وعادوا إلى مضاجعهم وتوفاهم الله عز وجل.

فاختلفوا فيهم، وتنازعوا بينهم أمرهم، ماذا يفعلون بهم؟ فمنهم من قال: ابنوا عليهم بنيانًا، ربهم أعلم بهم.

ولكن الحاكمين فيهم قرروا أن يبنوا عليهم مسجدًا.

وهكذا كان، حيث تمَّ بناء المسجد عليهم!

وبذلك طُوِيَت صفحةٌ من صفحات الإيمان والإخلاص والزهد فى الدنيا واللجوء إلى الله، وبقيت قصة أصحاب الكهف، يتناقلها الناس وأصحاب الديانات السماوية، ويقف أمامها المؤمنون؛ ليأخذوا منها دروسًا فى الإيمان والإخلاص والثبات.

* * *

الدروس المستفادة:

(١) أن قصة أصحاب الكهف وإن كانت عجيبة إلا أنها ليست من أعجب آيات الله فإن الله على كل شيء قدير.

(٢) أن الله يصطفي ويختار عباده المؤمنين الذين يُشرفهم بعبادته... وقد رأينا كيف اصطفى الله هؤلاء الفتية ليكونوا من عباده الموحدين.

(٣) أن العبد إذا خشى الفتنة فى دينه فإنه ينبغى عليه أن يكتم إيمانه.

(٤) أن الله هو الذى يربط على قلب العبد ويثبته على الإيمان.

(٥) أن المسلم إذا أحس بأنه سيفقد دينه فى مكانٍ ما فعليه أن يفر بدينه إلى أى مكان آخر، يتمكن فيه من عبادة ربه جل وعلا.

(٦) أن من ضحَّى بنفسه فى سبيل الله وترك أهله

ويلده ليعبد الله فإن الله يتولاه ويحفظه بحفظه.

(٧) أن الهجرة من أجل الفرار بالدِّين خشية الفتنة من سُنن الأنبياء والمرسلين، فقد هاجر أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام، وقد هاجر خاتم الأنبياء والمرسلين نبيُّنا محمد ﷺ، وغيرهما من الأنبياء.

(٨) النهى عن بناء المساجد على القبور، أو إدخال القبور فى المساجد التى تُنسَب إلى الأولياء والصالحين، وما أكثر الأضرحة فى مساجد المسلمين وذلك بعد القرون المفضلة، حيث انتشرت البدع والضلالات والشركيات، وأصبح يطاف بهذه الأضرحة كما يطاف حول الكعبة ويُستغاث بصاحب القبر، ويُنذَر له ويُدعَى من دون الله وغير ذلك من العبادات التى لا تكون إلا لله وحده لا شريك له. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٩) قدرة الله على الخلق والإماتة والبعث... فإن الله على كل شيء قدير.

قصة صاحب الجنتين

حبايبي الحلوين.. هل تعرفون قصة صاحب الجنتين؟

إذا أردتم أن تعرفوا قصة صاحب الجنتين فتعالوا بنا لنرى كيف ذكرها الله عز وجل في كتابه ثم أحكيها لكم لنفهم معاني الآيات.

قال تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ

سِوَاكَ رَجُلاً (٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾[1].

حبايبي الحلوين: هذه القصة التي قرأناها تبين لنا أن أصناف الناس مختلفة.. فمنهم المؤمن ومنهم الكافر.. ومنهم الطائع ومنهم العاصي.

وهذا القصة تعرض لنا نموذجين من الناس... فهي تعرض لنا نموذج الرجل المؤمن. الذي لا يملك من متاع الدنيا شيئًا ومع ذلك فهو يحمد الله على كل شيء ولا يتخلى أبدًا عن دينه ومبادئه وأخلاقه.

(١) سورة الكهف: الآيات: (٣٢-٤٤).

وتعرض لنا نموذج الرجل الكافر الذى أعطاه الله جنتين (أى: بستانين) من أجمل البساتين التى كانت مليئة بالأعشاب وكانت البساتين مُحاطة بأسراب النخل الجميل وكانت الزروع منتشرة بين النخيل فكان المنظر فى غاية الحُسن والجمال... وكانت تلك البساتين تُنتج بإذن الله إنتاجًا وفيرًا فقد كانت من أجمل البساتين... ومع ذلك كان هذا الرجل صاحب الجنتين كافرًا بالله جل وعلا لا يؤمن بالبعث والحساب ولا يشكر الله على أى نعمة من هذه النعم... فيا ترى ما السبب فى ذلك؟ وما هى بداية القصة؟.. تعالوا لنعرف القصة من أولها.

لقد كان هذا الرجل المؤمن فى بداية أمره شريكًا لهذا الكافر ولم يكن يعرف فى بداية أمره أن صاحبه سيكفر بالله جل وعلا، وكانا يمتلكان ثمانية آلاف دينار فاقتسما المال فأصبح كل واحدٍ منهما يمتلك أربعة

آلاف دينار.

فاشترى الرجل الكافر أرضًا بألف دينار.

فقال صاحبه المؤمن: اللهم إن فلانًا قد اشترى أرضًا بألف دينار وإنى اشتريت منك أرضًا فى الجنة بألف دينار... فتصدق بها، ثم إن صاحبه بنى دارًا بألف دينار، فقال المؤمن: اللهم إن فلانًا بنى دارًا بألف دينار وإنى أشترى منك دارًا فى الجنة بألف دينار فتصدق بها، ثم تزوج الكافر امرأة فأنفق عليها ألف دينار، فقال المؤمن: اللهم إن فلانًا تزوج امرأة بألف دينار وإنى أخطب إليك امرأة من نساء الجنة بألف دينار، فتصدّق بألف دينار.

ثم إن الرجل الكافر اشترى خدمًا ومتاعًا بألف دينار.

فقال الرجل المؤمن: اللهم إن صاحبى قد اشترى خدمًا ومتاعًا بألف دينار، وإنى أشترى منك خدمًا

ومتاعًا من الجنة بألف دينار.. فتصدق بألف دينار.

* وكان الرجل الكافر يتاجر بماله فى كل شيء حتى أصبح عنده ثروة كبيرة جعلته يصاب بالكبر والغرور ويزداد كفرًا بالله جل وعلا بدلاً من أن يكون مؤمنًا ويزداد شكرًا لله على إحسانه ونعمه.

* وفى يوم من الأيام احتاج الرجل المؤمن إلى مال.. فخطر على باله أن يذهب لصاحبه الكافر لعله أن يُقرضه بعض المال أو يجعله يعمل عنده مقابل راتب شهرى.

* فجاء إليه وطلب منه أن يستخدمه فى أى عمل حلال.

فقال له صاحبه الكافر: ألم أكن قاسمتك المال نصفين؟

فقال المؤمن: نعم.

فقال الكافر: فماذا صنعت بهذا المال؟

فقال المؤمن: اشتريت به من الله نعيمًا مقيمًا فى الجنة.

فقال الكافر: ما هذا الكلام.. هل تظن أن هناك آخرة وجنة ونارًا.. ما أراك إلا سفيهًا.. ألا ترى ماذا صنعت أنا بمالى حتى أصبح عندى هذه الثروة الكبيرة.

* وأخذ الكافر يتفاخر على المؤمن ويتكبر عليه فقال لصاحبه، وهو يحاوره ويناقشه ويجادله ويتيه عليه: أنا أكثر منك مالاً وأعزُّ نفرًا. وذلك لأنه قاس مظاهر الفضل والتفضيل بالمال والمتاع، ورأى أنه مُقدَّم عند الناس لماله ومتاعه، فهو أكثر أنصارًا، وأعز جاهًا عندهم.

وذهب إلى جنته، ودخلها وهو ظالم لنفسه، مطموس على قلبه لكفره، فظنها دائمة خالدة وأنها هى كل شىء، وأنه ليس هناك بعث ولا قيامة.

* ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ﴾[1] أى بكفره وتمرده

(١) سورة الكهف: الآية: (٣٥).

وتكبره وتجبره وإنكاره المعاد ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا﴾(١) وذلك اغترار منه لما رأى فيها من الزروع والثمار والأشجار والأنهار الجارية فى أرجائها ظن أنها لا تفنى ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف، وذلك لقلة عقله وضعف يقينه بالله، وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها، وكفره بالآخرة، ولهذا قال: ﴿مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا﴾(٢) وذلك لما رأى من اتساع أرضها وكثرة مائها وحسن نبات أشجارها.

ثم قال: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾(٣) فوثق بزهرة الحياة الدنيا الفانية وكذب بوجود الآخرة الباقية الدائمة.

ثم استدرك قائلاً: وحتى ولو كان هناك قيامة وبعث وقامت الساعة وعُدت إلى ربى فإنه سيعطينى خيراً من هذه الجنة لأنه أكرمنى فى الدنيا ولا بد أن يكرمنى فى الآخرة... هذا إن كان هناك قيامة وبعث؟!!!

(١)، (٢) سورة الكهف: الآية: (٣٥).
(٣) سورة الكهف: الآية: (٣٦).

لكن صاحبه المؤمن بقي متمسكًا بميزانه ومنظاره الإيمانيين، ولم تخدعه المظاهر التي يملكها هذا الرجل الغني الكافر، كما أنه لم يضعُف أمامه، ولم يجبن، ولم يسكت، بل حاوره بمنطق المسلم الواثق الثابت البصير.

فقال له وهو يحاوره: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً (٣٧) لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾[١].

ثم أرشده إلى ما كان الأولى به أن يسلكه عند دخول جنته فقال: ﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾[٢] ولهذا يُستحب لكل من أعجبه شيء من ماله أو أهله أو حاله أن يقول كذلك.

* ﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أي: فهلا حين دخلتَ حديقتك وأعجبت بما فيها من الأشجار

---

(١) سورة الكهف: الآيتان: (٣٧، ٣٨).
(٢) سورة الكهف: الآية: (٣٩).

والثمار قلت: هذا من فضل الله، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ﴿لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ أي: لا قدرة لنا على طاعته إلا بتوفيقه ومعونته ﴿إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا﴾ أي: قال المؤمن للكافر: إن كنت ترى أنني أفقر منك وتعتز عليَّ بكثرة مالك وأولادك.

* ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾[1] أي: إني أتوقع من صنع الله تعالى وإحسانه أن يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني جنة خيراً من جنتك لإيماني به، ويسلب عنك نعمته لكفرك به ويخرب بستانك ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ أي: يرسل عليها آفة تجتاحها أو صواعق من السماء تدمرها ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ أي: تصبح الحديقة أرضًا ملساء لا تثبت عليها قدم، جرداء لا نبات فيها ولا شجر ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾[2] أي: يغور ماؤها في

(١) سورة الكهف: الآية: (٤٠).
(٢) سورة الكهف: الآية: (٤١).

الأرض فيتلف كل ما فيها من الزرع والشجر، وحينئذ لا تستطيع طلبه فضلاً عن إعادته وردّه.

* وبالفعل.. حدث ما توقعه المؤمن.

فلقد أرسل الله عز وجل صاعقة مدمرة دمرت كل ما فى البساتين والجنان وزالت النعمة التى كان الكافر يعيش فيها ويتكبر بها على الناس من حوله.

* وندم الكافر أشد الندم.. لكنه ندم فى وقت لا ينفع فيه الندم، لقد ندم على شركه وكفره فقد كان كفره بالله سببًا لتدمير حياته كلها.

فقال وهو يعض أصابع الندم: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾[1].

وعقّب عليها القرآن بأن الكافر خسر وهلك.

ولما وقع به وبجنتيه عذابُ الله وأمره، لم يجد فئة ولا قوة ولا جيشًا ولا حزبًا ينصرونه ويحمونه، ويوقفون

(١) سورة الكهف: الآية: (٤٢).

عنه عذاب الله، ولهذا هلك وخسر وما كان منتصراً.

هنالك الولاية لله الحق، فالفائز والسعيد هو من كان الله معه، موفقًا ومؤيدًا وحافظًا وناصرًا، وهو الذى يحبه الله، ولو لم يمنحه من مظاهر المتاع الدنيوى الزائل شيئًا، يكفى أن الله وهبه إيمانًا ويقينًا وثقة واستعلاءً، وسعادة وأنسًا وراحة. مثل الرجل المؤمن الذى حاور وجادل الرجل الفاجر الكافر.

الدنيا كلها زائلة، وما فيها من متاع ومال وبنين زينةٌ لها، زينةٌ سرعان ما تزول، كما زالت جنتا الرجل الكافر.

والباقيات الصالحات خير عند الله ثوابًا وخيرٌ أملاً، كما حصل للرجل المؤمن البصير.

وما على الناس إلا أن يختاروا أىَّ النموذجين: نموذج الرجل المؤمن البصير، أو نموذج الكافر الفاجر البَطِر المغرور.

لكن عليهم أن يتحملوا نتيجة الاختيار، بعدما عرفوا عاقبة الإيمان، وعاقبة الكفر والبغى والغرور.

الدروس المستفادة:

(١) أنه لا ينبغي لأحد أن يركن إلى الحياة الدنيا ولا يغتر بها ولا يثق بها بل يجعل طاعة الله والتوكل عليه في كل حال نصب عينيه. وليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يديه.

(٢) أن العبد لا ينبغي أن يتكبر على الناس من حوله بسبب أن الله جل وعلا أعطاه من نعمه وأغدق عليه من فضله... فإن الله قادر على أن يمنع عنه كل هذا.

(٣) أن المسلم إذا أنعم الله عليه بنعمة فإنه يستعملها في طاعة الله ولا يستعملها في معصيته أبدًا.

(٤) أن الواجب قبول نصيحة الأخ المشفق وعدم التعالي عليه.

(٥) أن المسلم إذا رأى شيئًا من ماله أو أهله يعجبه فعليه أن يقول: «ما شاء الله لا قوة إلا بالله، اللهم بارك».

(٦) أن الدمار والخذلان هو عاقبة كل من كفر بالله

ولم يشكر الله على نعمه.. وقد رأينا كيف دُمرت بساتين هذا الرجل الكافر بسبب كفره بالله وباليوم الآخر.

(٧) أنه إذا نزل قضاء الله فلا يستطيع أحدٌ من البشر أن يمنعه.

(٨) أن الإنسان قد يندم ولكن بعد فوات الأوان حين لا ينفع الندم.

(٩) أن الولاية لله الحق... فمن كان الله معه فاز في الدنيا والآخرة ومن كان الله عليه فقد خسر دنياه وآخرته.

❊ ❊ ❊

قصة موسى والخضر (عليهما السلام)

قام موسى (عليه السلام) فى يوم من الأيام يخطب فى بنى إسرائيل ليدعوهم إلى الله ويُذكرهم ويرقق قلوبهم بالمواعظ الغالية فكان حديثه شيقًا رائعًا جذب قلوب الناس من حوله.

وبعد أن انتهى من موعظته قام واحد من بنى إسرائيل وسأله: هل هناك على وجه الأرض أحد أعلم منك يا نبى الله؟!

فقال موسى (عليه السلام): لا.

وإذا بجبريل (عليه السلام) ينزل فى تلك اللحظة ليخبر موسى (عليه السلام) بأن الله (عز وجل) يعتب عليه أنه لم يرد العلم إلى الله ويقول: الله أعلم.

ثم أخبره أن الله يقول له: إن عبدًا من عبادى بمكان يقال له: مَجمع البحرين هو أعلم منك يا موسى.

هنا اشتاق موسى (عليه السلام) لرؤية هذا الرجل الذى هو أعلم منه .. واشتاقت نفسه للتزود من العلم، وقال: يا ربِّ كيف أصل إلى هذا الرجل؟ فأمره الله (عز وجل) أن يحمل حوتًا فى مكتل - أى: يحمل سمكة فى سلة - ويسير فى البحر فإذا جاءت اللحظة التى تعود فيها الحياة للحوت ويقفز فى البحر فسوف يجد هناك هذا العبد العالم.

* وانطلق موسى (عليه السلام) بعدما أخذ الحوت فى المكتل وأخذ معه فتاه يوشع بن نون - الذى صار نبيًا بعد موسى (عليه السلام).

وحمل الفتى السَّلة التى فيها الحوت وانطلقا ليبحثا عن هذا الرجل العالم.

وليس لديهم أى علامة على مكان هذا العالم سوى

عودة الحياة للسمكة وهروبها إلى البحر.

* وكان موسى (عليه السلام) عنده عزم وإصرار على أن يصل إلى هذا العالم ولو ظل مسافرًا سنوات طويلة.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾[1].

* المهم أنه وصل موسى (عليه السلام) وفتاه يوشع إلى صخرة كبيرة بجوار البحر وقد تعبا من السفر.. ونام موسى (عليه السلام) وبقي يوشع سهرانًا يحرس نبي الله موسى (عليه السلام).

وفجأة ساقت الرياح موجة عالية على الشاطئ فجاء رذاذ الماء على الحوت فدبَّت فيه الحياة وقفز إلى البحر ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾[2].. وكانت عودة الحياة إلى الحوت وهروبه إلى البحر علامة أعلم الله بها

(١) سورة الكهف: الآية: (٦٠).
(٢) سورة الكهف: الآية: (٦١).

موسى (عليه السلام) لتحديد المكان الذى سيجد فيه هذا العالم الجليل الذى جاءه موسى ليتعلم منه.

* قام موسى (عليه السلام) من نومه ولم يعرف أن الحوت قد دبَّت فيه الحياة وهرب إلى البحر .. ونسى فتاه يوشع أن يخبره بما حدث.

وسار موسى وفتاه ليلتهما ويومهما حتى إذا كانا من الغد قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا فقد شعرت بالتعب الشديد.

وهنا تذكر الفتى تلك اللحظة التى دبت فيها الحياة فى الحوت فهرب إلى البحر وذلك عندما كانا عند الصخرة.. فأخبر موسى بما حدث واعتذر إليه بأن الشيطان هو الذى أنساه أن يذكر له ما حدث رغم غرابة ما حدث أمام يوشع فقد رأى الحوت يشق الماء فيترك علامة على الماء وكأنه يتلوى على الرمال فيترك عليها أثرًا.

* هنا أحسَّ موسى (عليه السلام) بسعادة غامرة عندما علم أن الحوت هرب إلى البحر؛ لأن معنى ذلك أنه قد وصل إلى المكان الذى يريده ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾(١).

وعاد موسى (عليه السلام) وفتاه يبحثان عن المكان الذى هرب فيه الحوت.

وبعد بحث طويل وصل موسى إلى المكان الذى هرب فيه الحوت فى البحر.

وصل هو وفتاه إلى الصخرة التى ناما عندها وهناك وجدا رجلاً مُسجًّى بثوب ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾(٢).

فسلم عليه موسى (عليه السلام).

فقال له الخضر: وهل بأرضك سلام؟.. مَنْ أنت؟

فقال موسى: أنا موسى.

(١) سورة الكهف: الآية: (٦٤).
(٢) سورة الكهف: الآية: (٦٥).

فقال الخضر: موسى نبي بني إسرائيل.. عليك السلام يا نبي بني إسرائيل.

ثم قال له الخضر: وماذا تريد مني يا موسى؟

قال موسى: أتيتك لتعلمني مما عُلمت رشدًا.

فقال الخضر: أما يكفيك أن التوراة بيديك يا موسى؟!

ثم قال له: يا موسى إني على علم من علم الله لا تعلمه أنت .. وأنت على علم من علم الله لا أعلمه أنا.

فقال له موسى: هل أتبعك على أن تُعلِّمني مما عُلِّمت رُشدًا؟

فقال له الخضر: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾[1].

أي: أنك ستجد في تصرفاتي أشياء لا تفهم لها

---

(١) سورة الكهف: الآيتان: (٦٧، ٦٨).

سببًا ولا تدرى لها علّة ولذلك فلن تصبر معى يا موسى.

* فاحتمل موسى تلك الكلمات وعاد يرجوه أن يأذن له بصحبته ليتعلم على يديه، فقال له: ﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾(١).

- وتأمل معى كيف كان تواضع موسى (عليه السلام) للخضر (عليه السلام).

* وهنا اشترط الخضر على موسى (عليهما السلام) شرطًا من أجل أن يكون فى صحبته وهو ألا يسأله عن أى شيء حتى يحدثه هو عنه .. فوافق موسى على هذا الشرط.

﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾(٢).

* وانطلق موسى والخضر يمشيان على ساحل البحر

(١) سورة الكهف: الآية: (٦٩).
(٢) سورة الكهف: الآية: (٧٠).

يتكلمان وفجأة مـرت أمامهما سفينة، فكلمـا أصحابها أن يحملوهما، فـوافق أصحاب السفـينة وبخاصة أنهم عرفوا الخضر (عليه السلام) فحملوهما بغير أجر إكرامًا للخضر.

فلما ركـبا فى السـفينة جاء عـصفـور، فوقع على حرف السفينة، فنقر فى البـحر نقرة أو نقرتين، قال له الخضـر: يا موسى! مـا نقص علمى وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر.

* وبعد أن وصلوا جميعًا إلى الشاطئ فوجئ موسى (عليه السلام) بأن الخضر (عليه السلام) أخذ فأسًا حين غادر الناس السفـينة وأخذ يخرق السفينة فـاقتلع لوحًا من ألواحـها وألقـاه فى البـحر .. فـتعـجب نبى الله موسى (عليه السلام) وقال للخضر (عليه السلام): لقد حـملنا أصحـاب السـفينة بغـيـر أجر وأكـرمونا غـاية الإكـرام، ثم أنت تخرق لهم سـفيـنتهم التى يعـملون

عليها لتغرقهم فى البحر فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

- لقد كان هذا التصرف الذى فعله الخضر عجيبًا من وجهة نظر موسى (عليهما السلام).

* وهنا قام الخضر ليُذكر موسى بالعهد الذى أخذه عليه.

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾(1).

وهنا اعتذر موسى للخضر؛ لأنه فعل ذلك نسيانًا وطلب منه ألا يؤاخذه على ذلك ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾(2). فطلب منه أن يصبر عليه.

* ومرة أخرى يسير موسى مع الخضر (عليهما السلام) فمرا على حديقة يلعب فيها الصبيان.. ولما شبع الأطفال من اللعب وتعبوا جلسوا جانبًا وناموا..

(1) سورة الكهف: الآية: (72).
(2) سورة الكهف: الآية: (73).

وفجأة قام الخضر بقتل غلام منهم فثار موسى وظل يسأل الخضر: ما ذنب هذا الغلام وما جريمته حتى تقتله؟!

فقام الخضر يُذكِّر موسى للمرة الثانية بالعهد الذى أخذه عليه، ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾[1] .

- ويعتذر موسى للمرة الثانية بأنه فعل ذلك نسيانًا وأعطاه العهد بأنه لن يسأله مرة أخرى .. فإذا سأله مرة أخرى فله الحق أن يفارقه هذه المرة.

﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾[2] .

* وللمرة الثالثة والأخيرة يسير موسى مع الخضر (عليهما السلام)، فدخلا قرية كان أهلها على درجة عالية من البُخل .. فلما نفد الطعام الذى معهما طلبا من أهل القرية أن يقدموا لهما طعامًا فرفضوا أن

---

(١) سورة الكهف: الآية: (٧٥).

(٢) سورة الكهف: الآية: (٧٦).

يضيفوهما أو يقدموا لهما طعامًا.. ومرت الساعات عصيبة عليهما بلا طعام ولا شراب.

فجلس موسى والخضر (عليهما السلام) بجوار جدار مائل يكاد أن يسقط وفجأة قام الخضر ليصلح هذا الجدار ويبنيه من جديد.

* فتعجب موسى من فعل الخضر.. كيف يقوم ويبني الجدار في تلك القرية التي بخل أهلها أن يقدموا لهما الطعام والشراب... قال: ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[1].

* وهنا انتهى الأمر.. وكان الفراق بين موسى والخضر (عليهما السلام).

قال الخضر لموسى: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[2].

* لقد حذر الخضر موسى (عليه السلام) من السؤال

(١) سورة الكهف: الآية: (٧٧).
(٢) سورة الكهف: الآية: (٧٨).

عن أى شىء يراه حتى وإن كان أمرًا غريبًا ولكن موسى (عليه السلام) كان لا يتمالك نفسه من السؤال وبخاصة أنه يرى أشياء غريبة.. ولكنه لم يعلم أن الخضر كان لا يفعل أى شىء إلا بوحى من الله (جل وعلا) ولم يكن يفعل أى شىء من تلقاء نفسه.

* وبدأ الخضر يكشف لموسى (عليهما السلام) أسرار تلك الأشياء والأفعال التى كان يتعجب منها.

* فأخبره أولاً عن أمر السفينة التى خرقها رغم أن أصحاب السفينة أكرموهما وحملوهما بدون أجر.. فقد يظن موسى (عليه السلام) أن خرق السفينة مصيبة كبيرة لأصحابها لكن الخضر (عليه السلام) أخبره أنه فعل ذلك لأن الملك الظالم الذى كان يحكم البلاد كان فى هذه الأيام يستولى على كل سفينة سليمة خالية من العيوب، فأراد الخضر أن يخرقها حتى يتركها الملك، ثم يصلحها أصحابها بعد ذلك .. ومن المعلوم أن

إصلاح لوح في السفينة خير من ضياع السفينة كلها . . وبذلك استطاع الخضر أن يكون سببًا في حفظ السفينة من الضياع وبذلك يبقى مصدر رزق هذه الأسرة كما هو فلا يموتون من الجوع ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾[1].

* ثم وضح له السر في قتل هذا الغلام . . فقد يعتبر موسى (عليه السلام) أن قتل الغلام مصيبة كبيرة بالنسبة لوالديه غير أن الخضر (عليه السلام) وضح له أن هذا الغلام طُبع كافرًا وأنه كان سيرهق والديه عندما يكبرا وسيكون عاقًّا لهما وأن موته سيكون رحمة لهما وأن الله (عز وجل) سيرزقهما بدلاً منه غلامًا يرعاهما ويُحسن إليهما في سنّ الشيخوخة والضعف.

---

(١) سورة الكهف: الآية: (٧٩).

﴿ وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾[١].

* ثم وضح السرَّ فى بناء الجدار من غير أن يطلب أجرًا من أهل القرية.

فأخبره أن الجدار الذى بناه بدون أجر كان تحته كنز لغلامين يتيمين فى المدينة وكان الجدار يكاد أن يسقط.. ولو سقط الجدار لظهر الكنز الذى تحته، فأخذه أهل القرية البُخلاء ولم يستطع الغلامان أن يحصلا على كنزهما فلذلك بنى لهما الجدار ليحفظ لهما كنزهما حتى يكبرا فيستخرجا الكنز بإذن الله (جل وعلا).

ولما كان أبوهما صالحًا فقد نفعهما الله بصلاحه فى طفولتهما وضعفهما، فأراد ربُّهما أن يكبرا ويشتد عودهما ويستخرجا كنزهما وهما قادران على حمايته:

(١) سورة الكهف: الآيتان: (٨٠، ٨١).

﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾[1].

* ثم وضح له الخضر أن هذا كله لم يفعله من تلقاء نفسه، وإنما كان ذلك كله بوحي من الله (جل وعلا) .. ولذا قال له: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾[2].

* ثم اختفى هذا العالم العابد الخضر (عليه السلام) بعد أن تعلم منه موسى (عليه السلام) درسين في غاية الأهمية:

(١) تعلم منه ألا يغتر بعلمه، فإنه فوق كل ذي علم عليم.

(٢) تعلم منه ألا يتسرع ولا يتكلم إلا بما يعلم[3].

* * *

---

(١)، (٢) سورة الكهف: الآية: (٨٢).

(٣) قصص الأنبياء للأطفال / محمود المصري (ص: ٥٠٥ - ٥١٧).

الدروس المستفادة:

(١) ينبغي على المسلم أن يُذكر إخوانه بالله فقد قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1] . . . ولقد رأينا كيف وقف موسى (عليه السلام) ليذكر بنى إسرائيل بالله (جل وعلا).

(٢) ينبغى على المسلم أن ينسب العلم إلى الله ولا يقول: أنا أعلم الناس . . . فإنه من تواضع لله رفعه.

(٣) أن المسلم ينبغى عليه أن يحرص على طلب العلم . . . فقد رأينا كيف أن نبى الله موسى (عليه السلام) سافر طلبًا للعلم.

(٤) لابد لطالب العلم أن يتواضع فى طلب العلم وأن يتأدب بين يدى شيخه حتى ينتفع بعلمه.

(٥) أن هناك أشياء كثيرة لا يعلم العبد ما هى

---

(١) سورة الذاريات: الآية: (٥٥).

الحكمـة من ورائهـا لكن الـله (عـز وجل) يعلم . . .
فعلى العبد أن ينفذ أوامر الله دون أن يسأل عن الحكمة
من وراء ذلك .

(٦) أن العبـد قد يُحرم الخيـر بسبب تسرعـه وعدم
صبره .

❋ ❋ ❋

ذو القرنين
ويأجوج ومأجوج

كان يا ما كان.

كان في سالف الزمان ملكٌ مؤمن عادل اسمه (ذو القرنين) وكان ذو القرنين يعيش في زمن نبي الله إبراهيم (عليه السلام) وقد آمن ذو القرنين مع إبراهيم (عليه السلام) وطاف معه حول الكعبة حين بناها .. وقد تعلم الخير الكثير والعلم الوفير من إبراهيم (عليه السلام).

* وكان ذو القرنين يتمنى أن يصبح العالم كله على الإيمان والتوحيد ومن أجل ذلك جهَّز جيشًا كبيرًا ليخرج به ليدعو الناس إلى عبادة الله وتوحيده.. فأكرمه الله (عز وجل) وهيأ له كل الأسباب التي تعينه

على تبليغ هذه الدعوة المباركة.

فطاف ذو القرنين مشارق الأرض ومغاربها وهزم كل الجيوش التى قابلته وحكم الناس بالعدل والرحمة ولم يظلم أحدًا أبدًا حتى ملك الأرض كلها بفضل الله (سبحانه وتعالى) الذى آتاه كل ما يحتاج إليه من التمكين والجنود والآلات الحربية وآلات الحصار وهيأ له كل أسباب النّصر والتمكين.

ونحن نعلم أنه ملك الأرض كلها أربعة: رجلان مؤمنان وهما: نبى الله سليمان (عليه السلام) وذو القرنين رحمه الله.

ورجلان كافران وهما: النمرود وبُختنصر.

وكان من رحمة الله (جل وعلا) بأهل الأرض أن ذا القرنين ملك الأرض بعد النمرود الذى أفسد فى الأرض كثيرًا.. فجاء ذو القرنين فملأ الأرض رحمة وعدلاً وطاف مشارق الأرض ومغاربها ليدعو الناس

إلى عبادة الله وتوحيده.

* واستمر ذو القرنين فى رحلته المباركة لينشر العدل والرحمة بين الناس ويعلمهم الإيمان والتوحيد.

ومن أجل ذلك تعلم كل لغات العالم حتى يستطيع أن يدعو كل شعب بلغته التى يعرفها.. وقد يسَّر الله له أسباب كل شىء: من معرفة اللغات إلى معرفة الطرق والبلاد.. إلى غير ذلك.

* وسار ذو القرنين بجيشه حتى وصل إلى مغرب الشمس... أى أنه وصل إلى أقصى مكان فى الأرض من ناحية المغرب.

فلما وصل إلى هذا المكان نظر ذو القرنين إلى الشمس فرآها وكأنها تغرب فى المحيط الذى أمام عينيه.

ووجد فى هذا المكان قومًا كافرين فدخل عليهم ومكَّنه الله منهم ثم خيَّره بين تعذيب أهل هذه الأرض

أو العفو عنهم ونشر العدل بينهم.

فكان ذو القرنين فى قمة الرحمة والعدل فقال: أما من ظلم واستمر على شركه وكفره بالله (جل وعلا) فسوف نعذبه ثـم إذا مات على كفـره فإن الله سـيعـذبه عذابًا شديدًا .. وأما من آمن واتبعنا على الإيمـان والتوحيد فهذا سيكافئه الله أعظم الجزاء فى الجنة .. وفوق ذلك سنقول له من أمرنا يُسرًا ونُكرمه غاية الإكرام.

وقد يسـألنى أحد أحـبائى: يا عمو مـحمود .. هل كان ذو القرنين نبيًا أم عبدًا صالحًا؟

والجواب يا أحبابى: أنه كان عبدًا صـالحًا وكان الله (عز وجل) يُلهـمه بما يفعل ويـوفقه ويمكنه وييـسر له أسباب النصر والتمكين.

* لقد سار ذو القرنين فى مـشارق الأرض ومغاربها وشاهد عـجائب خلق الله (جل وعـلا) فى هذا الكون الفسيح.

فلقـد كان يسـير فى الأرض ويفـتح البلاد وينشـر الإيمان والتوحيد وكان فى طريـقه يرى البحار الواسعة والجبال الشاهقة والصحراء الفسيحة والمخلوقات العجيبة والمزارع الخضراء والطيور النادرة واللغات المتنوعة.

كـان يـرى كل ذلك خـلال رحـلتـه الطويـلة التى استمرت سنوات وسنوات.

* وبعدما وصل ذو القرنيـن إلى مغرب الشمس بدأ رحلته الثانية الطويلة إلى مـشرق الشمس .. وكان فى طريقه الطويل لا يمر بقـوم إلا نصره الله عليهم وأخذ يدعوهم إلى الإيمان والتوحيـد فمن أطاعه أكرمه ومن أصـر على الكفر أذله واسـتخـدمه فى خـدمة جـيش المؤمنين.

* وظل هكذا حتى وصل إلى المكان الذى تشرق منه الشمس فرأى أمة عجيبة .. ما رأى فى حياته كلها أمة أعجب منهم.

لقد رأى قومًا حفاة عراة ليس لهم بناء ولا بيوت يستظلون فيها من حر الشمس وبرد الريح .. وليس عندهم أشجار ولا جدران وكانوا قد حفروا لأنفسهم سراديب تحت الأرض ليدخلوا فيها حتى تحميهم من حر الشمس .. وأحيانًا يغوصون فى الماء ولا يعملون أى شيء ولا يشتغلون بتحصيل أرزاقهم حتى تغرب الشمس فيخرجون ويبدأون فى العمل.

* فلما جاءهم ذو القرنين أخذ يعلمهم كيف يبنون بيوتًا تحميهم من حر الشمس وتقيهم من برد الريح .. ودعاهم إلى الله (جل وعلا) فآمنوا وامتلأت قلوبهم بلذة الإيمان ونور التوحيد.

* ثم ودَّعهم ذو القرنين وانطلق فى رحلته الثالثة .. فسلك طريقًا ثالثًا بين المشرق والمغرب يوصله إلى جهة الشمال حيث الجبال الشاهقة المرتفعة.

ووصل ذو القرنين إلى منطقة بين جبلين كبيرين

عند بلاد الترك فوجد هناك قومًا متخلفين لا يكادون يعرفون لغةً غير لغتهم . . . وكانت لغتهم غريبة وصعبة حتى أن ذا القرنين لم يستطع أن يفهمهم إلا بواسطة تُرجمان.

وبعدما تكلم معهم ذو القرنين علم أنهم يعيشون مأساة حقيقية وذلك لأنهم يعيشون بالقرب من جبلين متجاورين . . ومن وراء الجبلين تعيش أمة متوحشة وهم قوم يأجوج ومأجوج . . وهم من ذرية يافث بن نوح (عليه السلام) . . وكان لهم أشكال وأحجام عجيبة . . وكانوا كفارًا لا يؤمنون بالله (جل وعلا) . . بل كانوا لصوصًا يعيشون على السلب والنهب والسرقة.

وكان هؤلاء القوم المساكين الذين لقيهم ذو القرنين يعيشون مأساة حقيقية وذلك لأن قوم يأجوج ومأجوج كانوا إذا دخل الليل خرجوا من وراء الجبلين إلى هؤلاء

القـوم فأكلوا زروعـهم وثمـارهم وسرقـوا مـواشيـهم وأغنامهم حـتى أصبح هؤلاء الناس جـوعى لا يجدون طعامًا ولا شرابًا بسبب ما يفعله يأجوج ومأجوج .

* فلما علم ذو القـرنين من الترجمان قـصة هؤلاء القوم قـرر أن يقف بجانبـهم وأن يساعـدهم بشرط أن يؤمنوا بالله (جل وعلا) .

فـآمنوا بالله ووحـدوه وبدأوا يعـرضـون على ذى القرنين عرضًا مُغريًا .

﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾[1] .

إنهم عندما وجدوه فاتحًا قـويًا ، وتوسموا فيه القدرة والصلاح . . عـرضوا عليه أن يقيم لهم سـدًا فى وجه يأجوج ومأجوج الذين يهاجمونهم من وراء الحاجزين ،

(١) سورة الكهف : الآيتان : (٩٤-٩٥) .

ويغيرون عليهم من ذلك الممر، فيعيثون فى أرضهم فسادًا؛ ولا يقدرون هم على دفعهم وصدّهم .. وذلك فى مقابل قدر من المال يجمعونه له من بينهم.

*** زهد ذى القرنين فى المال:**

ردَّ ذو القرنين على عرضهم المادى بعفة وزهد فى الأجرة والمال. وقال لهم: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾[1] لا حاجة لى فى مالكم، فقد آتانى الله خيرًا مما عندكم، ومنحنى من مظاهر التمكين والقوة، ما جعلنى زاهدًا فى مالكم مستعليًا عليه.

إن زهد ذى القرنين فى المال واستعلاءه عليه، يقدِّم لنا صفة من صفات الحاكم الصالح العادل الزاهد، وهو يدعو حكام المسلمين ليقتدوا به فى هذه الصفة.

*** فأعينونى بقوة:**

لما عفَّ ذو القرنين عن أموالهم وزهد فيها، أراد أن

(١) سورة الكهف: الآية: (٩٥).

يتركوا العجز والكسل والإتكالية، وأن يُعلمهم النشاط والعمل والكسب والسعى، فقال لهم: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾[1].

وكأنه يقول: علىَّ القوة المالية الفكرية، وعليكم أنتم القوة المادية العملية، فيجتمع ما عندى مع ما عندكم، وبذلك يتم إنجاز العمل.

❋ وهنا بدأ ذو القرنين يفكر فى أفضل طريقة يستطيع من خلالها أن يسد الطريق على يأجوج ومأجوج فلا يستطيعون بعد ذلك أن يخرجوا على هؤلاء القوم المساكين.

وبعد تفكير عميق رأى ذو القرنين أن أفضل وسيلة هى أن يردم الحاجز الذى بين الجبلين.

وبالفعل أصدر ذو القرنين أمره لهؤلاء القوم بأن يحفروا الأرض التى بين الجبلين حتى يُلقى فيها أساسًا

---

(١) سورة الكهف: الآية: (٩٥).

متينًا ليبنى عليه ذلك السد، فحفروا معه حتى وصلوا إلى مكان عميق ثم بدأ ذو القرنين فى وضع الأساس فى تلك الحفرة فوضع فيها صخورًا ورمالاً ثم طلب من القوم أن يأتوا إليه بقطع النحاس الكبيرة. . وكانت هذه المنطقة غنية بالحديد والنحاس كما أنها غنية بأشجارها وغاباتها ودوابها المختلفة التى تنقل كل هذا من الأماكن البعيدة.

ثم أمرهم بأن يوقدوا نارًا تحت النحاس فلما ذاب النحاس صبَّه فوق الصخور التى فى هذه الحفرة وبذلك أصبح الأساس قويًا متينًا.

* ثم طلب منهم بعد ذلك أن يأتوا إليه بقطع الحديد الكبيرة فلما جاءوا بها أخذها ذو القرنين وبدأ يضعها فوق بعضها البعض . . وما زال يضعها فوق بعضها البعض حتى وصل إلى حافة الجبلين ثم أمرهم بإيقاد النار تحت ذلك الحديد ثم أمر مجموعة أخرى بأن يأتوا

إليه بالنحاس .. فجاءوا بالنحاس فأمرهم بأن يُشعلوا تحته نارًا.

فلما تمَّ صهر الحديد فى الممر، وتم صهر النحاس فى القدور، جاءت المرحلة الأخيرة، من مراحل بناء السد.

فأمرهم بصب النحاس المصهور المُذاب على الحديد المصهور المذاب، فتخلل النحاس وسط الحديد، واختلطا. وصارا معدنًا واحدًا قويًا متينًا. فالحديد أساسًا قوى متين، والنحاس كذلك قوى متين، فكيف إذا صُهرا وجُمع بينهما، وخُلطا معًا؟ إنها تجمع قوة ومتانة كل واحد مع الآخر، فتكون القمة فى المتانة والقوة والجودة.

وترك الحديد مع النحاس حتى جمدا، فصارا سدًا منيعًا عجيبًا مدهشًا.

حقًا إن ذا القرنين يملك قوة وفطنة وإدراكًا وتمكينًا،

وهذا من تمكين الله له، وتعليمه إياه.

لقد هداه الله إلى طريقة فذة عجيبة فى تمتين البناء وتقويته، وبذلك جمع بين الحديد والنحاس.

* عجز يأجوج ومأجوج أمام السد:

لما أتمَّ ذو القرنين بناء السد، جاء يأجوج ومأجوج على عادتهم ليعبروا المضيق ويمارسوا الإفساد، ولكنهم فوجئوا بالسد المنيع المرتفع أمامهم. حاولوا أن يظهروا ويتسلقوا عليه، فلم يستطيعوا، لأنه مبنى من الحديد، والحديد أملس، وإذا لم يكن به مقابض ليمسك بها الشخص، فلا يستطيع أحد أن يتسلقه، وحاولوا أن يهدموه وينقضوه فلم يستطيعوا، لأنه مبنيّ من مادة قوية منيعة، الحديد والنحاس.

* * *

قمة فى التواضع

وهنا نظر ذو القرنين إلى هذا العمل الضخم الذى قام به فلم يشعر بأى شىء من الكبر أو الغرور بل إنه شكَرَ الله على أنه وفقه فى هذا العمل ونسب الفضل كله لله .. وأخبر القوم بأن هذا السد رغم قوته ومتانته فإنه سوف يُدك ويُهدم فى يوم من الأيام بتقدير من الله (عز وجل).

﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾[1].

وبذلك تنتهى هذه الحلقة من سيرة ذى القرنين. النموذج الطيب للحاكم الصالح، يمكنه الله فى الأرض، وييسر له الأسباب؛ فيجتاح الأرض شرقًا وغربًا؛ ولكنه لا يتجبر ولا يتكبر، ولا يطغى ولا يتبطر، ولا يتخذ من الفتوح وسيلة للمكاسب المادية،

(١) سورة الكهف: الآية: (٩٨).

واستغلال الأفراد والجماعات والأوطان، ولا يعامل البلاد المفتوحة معاملة الرقيق، ولا يُسخِّر أهلها فى أغراضه وأطماعه .. إنما ينشر العدل فى كل مكان يحل به، ويساعد المتخلفين، ويدرأ عنهم العدوان دون مقابل، ويستخدم القوة التى يسرها الله له فى التعمير والإصلاح، ودفع العدوان وإحقاق الحق. ثم يُرجع كل خير يحققه اللهُ على يديه إلى رحمة الله وفضل الله.

* * *

كيف كانت نهاية يأجوج ومأجوج

* إن الله (جل وعلا) جعل قبل يوم القيامة علامات تدل على قُرب يوم القيامة .. فكان من بين تلك العلامات: خروج يأجوج ومأجوج .. فهم سيخرجون فى آخر الزمان ولكن متى ذلك؟

لا يعلم هذا إلا الله (جل وعلا).

* ولقد أخبرنا النبى ﷺ عن كيفية خروجهم.

وذلك أنهم يحاولون فى كل يوم أن يهدموا هذا السد.. فيحفرون فى السد كل يوم حتى إذا رأوا شعاع الشمس قال زعيمهم: ارجعوا فستحفرونه غداً.

فيعودون فى اليوم التالى فيجدوه قد عاد كما كان قبل أن يحفروه ولا يزالون على تلك الحالة حتى يأتى الموعد الذى حدده الله لخروجهم فيذهبون إلى السد ويحفرونه حتى إذا رأوا شعاع الشمس قال زعيمهم:

ارجعوا فستحفرونه غدًا إن شاء الله.

وكأن كلمة «إن شاء الله» هي كلمة السر.. فإذا بهم يعودون في اليوم التالي فيجدون السد على هيئته كما تركوه بالأمس فيحفرونه ويخرجون على الناس ويعيثون في الأرض فسادًا.

فلا يتركوا شيئًا من الزروع والحبوب والثمار والماشية والأغنام إلا أكلوه.. بل ويشربون الماء كله فلا يتركون للناس نقطة ماء واحدة.

ويصبح الناس في همٍّ وغمٍّ لا يعلمه إلا الله.

ويكون في هذا الوقت قد نزل نبي الله عيسى عليه السلام وقتل المسيح الدجال وأصبح كل الناس مؤمنين.

وهنا يأمر الله عيسى عليه السلام بأن يأخذ مَن معه من المؤمنين ويتحصنوا في جبل الطور حتى لا يصل إليهم يأجوج ومأجوج.

ويدخل عيسى عليه السلام ومَن معه من المؤمنين

جبل الطور ويُخلصون فى الدعاء واللجوء إلى الله من أجل أن يُخلِّص الأرض من يأجوج ومأجوج.

* وفي تلك اللحظة كانت قبائل يأجوج ومأجوج تدمر كل خيرات الأرض من طعام وشراب وزروع وثمار.

فإذا نظروا حولهم فلم يجدوا أحدًا قالوا: لقد قهرنا أهل الأرض وبقى أهل السماء... فيأخذ كل واحدٍ منهم حربته فيرميها إلى السماء فترجع إليه وفيها آثار الدماء - وهم لم يقتلوا أحدًا من أهل السماء ولكنه فتنة لهم - فيقولون: لقد قهرنا أهل السماء.

وبينما هم على تلك الحالة من الفساد والإفساد والغرور إذ بعث الله عليهم حشرات أو ديدان اسمها (النغف) فتقتلهم جميعًا ولا تترك منهم أحدًا.

وكان من الممكن أن يخسف الله بهم الأرض أو

يُسقط عليهم السماء أو يرسل لهم جبريل عليه السلام فيدمرهم . . . لكنه أرسل عليهم حشرة حقيرة مثلهم لتقضى عليهم.

* وفى هذه الأثناء يقول عيسى عليه السلام أريد رجلاً يحتسب نفسه فى سبيل الله فيخرج ليعرف لنا ماذا حدث ليأجوج ومأجوج.

فيخرج رجل مؤمن وينظر فيجدهم جميعًا موتى وقد أنتنت الأرض من ريحهم فيرجع الرجل ويبشر عيسى عليه السلام وإخوانه المؤمنين فيسجدون شكرًا لله جل وعلا.

ثم يدعو عيسى عليه السلام أن يخلص الله الأرض من جثث هؤلاء المفسدين فيرسل الله طيرًا من السماء فتأخذ جثثهم ثم يرسل الله المطر من السماء فيغسل الأرض ويجعلها فى غاية الحسن والجمال.

* ثم يعيش المسلمون مع عيسى عليه السلام أجمل

حياة فيأمر الله الأرض أن تُخرج بركتها ويأمر السماء أن تُنزل بركتها.

فتجتمع الجماعة من الرجال على الرمانة الواحدة فلا يكملوها وتجتمع الجماعة من الرجال على حليب بقرة واحدة فلا يكملوه... ويكون الأمان قد انتشر فى الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم.. وحتى يلعب الصبيان بالحيات والثعابين فلا تضرهم.

❊ ❊ ❊

عودة إلى ذى القرنين

* ونعود مرة أخرى إلى ذى القرنين.

فإنه لما بلغ مشارق الأرض ومغاربها ونشر التوحيد بين أهل الأرض وساعد هؤلاء القوم على بناء السد.. أحس بأن مهمته قد انتهت وأن أجله قد اقترب فقد مرض مرضًا شديدًا عندما بلغ أرض بابل.

فلما أشفق أن يموت أرسل رسالة إلى أمه وكتب فيها: يا أماه اصنعى طعامًا واجمعى من قدرت عليه ولكن لا يأكل طعامك من أصيب بمصيبة.. واعلمى أن الذى أذهب إليه خير من كل ما أنا فيه.. والسلام.

فلما وصل كتابه صنعت طعامًا، وجمعت الناس، وقالت: لا يأكل هذا مَن أُصيب بمصيبة؛ فلم يأكلوا، فعلمت ما أراد، فقالت: ما يبلغك عنى أنك

وعظتنى فاتعظتُ، وعزيتنى فتعزيت، فعليك السلام حيًا وميتًا.

وهكذا رحل ذو القرنين بعدما ملأ الأرض رحمة وعدلاً ونشر التوحيد والإيمان بين أهل الأرض - رحمه الله رحمة واسعة -.

***

الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم لا بد أن يتبع نبيه وأن يقتدى به.. وقد رأينا كيف أن ذا القرنين اتبع نبى ذلك الزمان وهو إبراهيم عليه السلام وطاف معه حول الكعبة وتعلم على يديه الخير الكثير.

(٢) أن الدعوة فرض على كل مسلم بحسب علمه وقدرته.. وقد رأينا كيف أن ذا القرنين طاف الأرض كلها للدعوة إلى الله جل وعلا.

(٣) أن المسلم إذا أراد أن يدعو قومًا فعليه أن يتعلم لغتهم حتى يستطيع أن يدعوهم.. وقد رأينا كيف أن ذا القرنين تعلم كل اللغات ليطوف الأرض وليدعو إلى الله جل وعلا.

(٤) أن المسلم إذا أعطاه الله القوة فلا ينبغى أن يستخدمها إلا فى الخير.

(٥) أن السفر فيه فوائد كثيرة جدًا.

(٦) أننا لا بُد أن نُعلم الناس أن يبذلوا جهدهم ولا يتواكلوا على الناس من حولهم.

(٧) أن من استطاع أن ينصر أخاه المسلم ويرفع الظلم عنه فلا بد أن يفعل.

(٨) أن المسلم إذا كان يعانى من عدو يؤذيه فعليه أن يأخذ بالأسباب ليمنع ظلم العدو له... ولذلك بنى ذو القرنين السد ليمنع ظلم يأجوج ومأجوج عن هؤلاء القوم المساكين.

(٩) أن المسلم لا بد أن يكون بارعًا فى كل عملٍ يعمله فقد قال النبى ﷺ: «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يُتقنه**»... ولقد رأينا كيف كانت براعة ذى القرنين فى بناء السد.

(١٠) إذا وفق اللهُ عبده المسلم فى أى شىء فلا ينبغى أن يغتر ويتكبر بل عليه أن يشكر الله وينسب الفضل إليه سبحانه وتعالى.

(١١) أنه لن يكون شىء فى هذا الكون إلا بتقدير

الله . . . وقد رأينا كيف أن يأجوج ومأجوج يحفرون في السد حتى يومنا هذا . . ومع ذلك فلن يخرجوا إلا في اليوم الذي قدره الله جل وعلا.

(١٢) أن الدعاء هو العبادة . . ولقد رأينا كيف نجَّى الله نبيه عيسى عليه السلام ومن معه من بطش يأجوج ومأجوج بسبب الدعاء واللجوء إلى الله.

(١٣) أن نهاية الظلم وخيمة . . ولقد رأينا كيف كانت نهاية يأجوج ومأجوج بعد كل هذا الفساد الذي فعلوه في الأرض.

(١٤) أن الأرض إذا انتشر فيها الإيمان فإن الله ينشر فيها الخيرات والبركات . . وسيحدث هذا عند نزول نبي الله عيسى عليه السلام بعد قتل يأجوج ومأجوج.

(١٥) أن المسلم لا بد أن يرضى بقضاء الله . . وقد رأينا كيف أن أم ذي القرنين لما أحست بقُرب أجل ابنها رضيت بقضاء الله جل وعلا.

سليمان (عليه السلام) وبلقيس والهدهد

كان ياما كان.

كان في سالف الزمان نبيٌّ كريم اسمه سليمان بن داود (عليهما السلام) وقف هذا النبي الكريم يومًا ودعا دعوة لم يدعُ بها نبي من قبله ولا بعده.

وقف وقال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾(1).

فأعطاه الله مُلكًا لم يُعطه لأحدٍ من البشر وسخَّر له أشياء لم يُسخرها لأحدٍ من البشر.

لقد علَّمه الله لغة الطيور والحيوانات وأعطاه من كل شيء.. وهو الذي اعترف بذلك فقال (عليه السلام):

---

(1) سورة ص: الآية: (35).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾[1] أي من كل ما يحتاج الملك إليه من العدد والآلات والجنود والجيوش والجماعات من الجن والإنس والطيور والوحوش والشياطين.

* وسخَّر الله له الريح .. وسخَّر له الجن.

قال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾[3].

بل إن الله (جل وعلا) أذاب له النحاس فكان يجري كأنه عين ماء متدفقة من الأرض فكان يصنع منه ما يشاء.

---

(١) سورة النمل: الآية: (١٦).

(٢) سورة ص: الآيات: (٣٦-٣٨).

(٣) سورة الأنبياء: الآية: (٨٢).

بل وأعطاه جيشًا من الجن والإنس والطير.

قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ﴾[1].

* وآتاه العلم والحكمة.

* فكان هذا كله مُلك سليمان (عليه السلام).

* وفى يوم من الأيام خرجت تلك الجيوش والجماعات من الجن والإنس والطيور والوحوش.

خرجت كلها فى صفوف متناسقة ووقفوا جميعًا ينتظرون خروج نبى الله سليمان (عليه السلام).

وبعد وقت قصير خرج سليمان (عليه السلام) ورأى هذه المملكة العظيمة فتذكر هذا الدعاء الجميل ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[2]... وكيف أن الله استجاب دعاءه وأعطاه ذلك المُلك.

---

(١) سورة النمل: الآية: (١٧).
(٢) سورة ص: الآية: (٣٥).

* نعم.. إنه يفهم لغة الطير ويحدثها ويأمرها فتطيع أمره ويأمر الريح أن تنقله فى أى وقت وإلى أى مكان فتطيعه وتذهب به من الشام إلى العراق فى الصباح وتعود به قبل الظهر.

ويأمر الجن فيبنون له القصور ويصنعون له المحاريب والقدور الكبيرة.

ومنهم من يغوص فى الأعماق ليأتوا إليه باللؤلؤ والكنوز والجواهر والأشياء النفيسة.

إنه مُلك كبير وعظيم.

* أخذ سليمان (عليه السلام) ينظر إلى هذا المُلك ويحمد الله حمدًا كبيرًا على كل هذا.

* وفى هذا اليوم خرج سليمان (عليه السلام) وسط هذه الحشود العظيمة من الطير والإنس والجن فمروا على وادى النمل.

وإذا به يسمع صوت نملة تقول للنمل من حولها: ﴿يَا

أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾[1].

فتبسم سليمان (عليه السلام) ضاحكًا من قولها وقال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[2].

* ووقف سليمان (عليه السلام) هو وجنوده حتى دخل جيش النمل إلى مساكنه ثم بدأ بعد ذلك في التحرك ليكمل رحلته هو وجنوده.

* وبعد فترة أحس سليمان (عليه السلام) هو وجنوده بالعطش فنظر فوجد مكانًا فيه نبات فعلم أنه يوجد ماء قريب من هذا المكان.

فأمر جنوده بالوقوف في هذا المكان وأخذ يبحث عن الهدهد.. وذلك لأن الهدهد هو الكائن الوحيد

(١) سورة النمل: الآية: (١٨).
(٢) سورة النمل: الآية: (١٩).

الذى يستطيع أن يدلهم على أماكن الماء الموجودة تحت الأرض... لأن الله (عز وجل) أعطاه القدرة على رؤية المياه الموجودة تحت الأرض.

* وهنا نادى سليمان (عليه السلام) على الطيور وسألهم قائلاً: ﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾[1].

قالت الطيور كلها: لا ندرى أين هو يا نبى الله.

فغضب سليمان (عليه السلام) وقال: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾[2] أى: حُجة قوية توضح عُذره فى الغياب.

* ثم نادى سليمان (عليه السلام) على الطيور وقال لهم: أحضروا الهدهد.

وبعد دقائق معدودات حضر الهدهد من نفسه...

وكان الهدهد فى قمة الذكاء ولذلك فإنه لما عاد وعلم

(١) سورة النمل: الآية: (٢٠).
(٢) سورة النمل: الآية: (٢١).

أن سليمان (عليه السلام) مُغضبًا بدأ حديثه معه بمفاجأة تجعله ينسى غيابه وتضمن له أن يُنصت لكلامه.

فلما سأله سليمان (عليه السلام): أين كنت؟

قال الهدهد: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾[1] أي: اطلعت على ما لم تطلع عليه أنت ولا جنودك ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[2] أي: بخبر صدق حق يقين،... وسبأ هم ملوك اليمن... ثم قال: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾[3] وهي بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ.

﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾[4] أي: ما يحتاج إليه الملك المتمكن ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[5] هائل مزخرف بالذهب وأنواع الجواهر واللآلئ تجلس عليه، ولها ستمائة امرأة يقمن بخدمتها.

* ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[6].

---

(١) سورة النمل: الآية: (٢٢).

(٢)، (٣) سورة النمل: الآية: (٢٢).

(٤)، (٥) سورة النمل: الآية: (٢٣).

(٦) سورة النمل: الآية: (٢٤).

أي: وجدتهم جميعًا مجوسًا يعبدون الشمس ويتركون عبادة الواحد الأحد ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾[1].

أي: حسَّن لهم إبليس عبادة الشمس وسجودهم لها من دون الله ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ﴾[2].

* ثم تعجب الهدهد وانتفض وهو يقول: ﴿أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[3].

* نعم.. لقد تعجب الهدهد.. كيف لبشر أن يسجد للشمس ولا يسجد لفاطر السماوات والأرض (جل جلاله).

* فتعجب نبي الله سليمان (عليه السلام) واندهش من كلام الهدهد ولم يتسرع في تصديقه أو تكذيبه ولكنه قال: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[4].

---

(١)، (٢) سورة النمل: الآية: (٢٤).

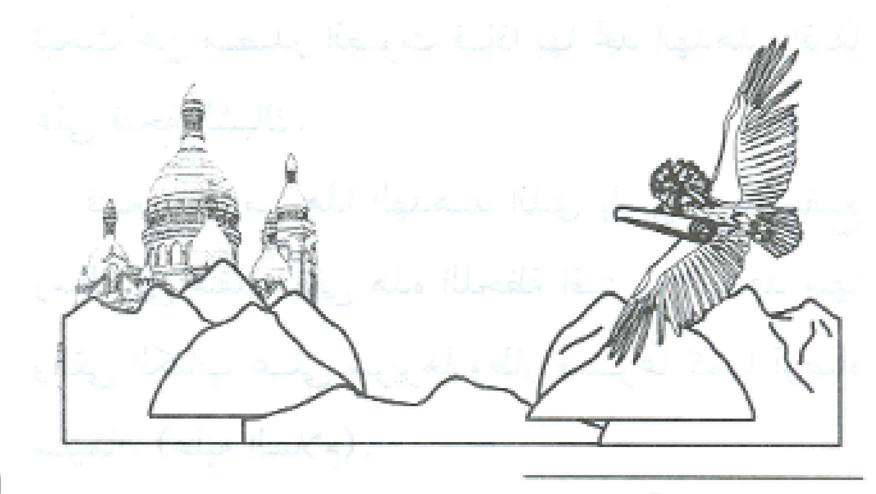
(٣) سورة النمل: الآيتان: (٢٥-٢٦).

(٤) سورة النمل: الآية: (٢٧).

* في هذا الوقت ذهب الهدهد ليبحث لهم عن الماء لكي يشربوا.. فلما وجد مكان الماء أشار إليهم فحفروا فوجدوا الماء وشربوا.

ثم عـاد الهدهد مـرة أخرى إلـى نبي الله سليمـان (عليه السلام) فوجده قد كتب كتابًا (أي رسالة) وعلقه على منقار الهدهد وألبسـه تاجًا ثم أمره أن يذهب بهذا الكتاب إلى بلقيس ملكة سبأ.

قال له: ﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾[1].



(١) سورة النمل: الآية: (٢٨).

الهدهد يذهب بكتاب سليمان (عليه السلام)

* طار الهدهد مرة أخرى متوجهًا إلى بلقيس ملكة سبأ لكى يعطيها رسالة سليمان (عليه السلام).

* وفى هذا الوقت كانت بلقيس تعقد اجتماعاتها مع الوزراء وأهل مشورتها... وبعد تعب اليوم الطويل أحست بلقيس أنها بحاجة إلى الراحة فانصرفت إلى حجرتها وألقت بنفسها على سريرها لتستريح.

وإذا بها تسمع صوتًا غريبًا فى حجرتها فأخذت تبحث عن مصدر الصوت فإذا بها تجد الهدهد واقفًا على فتحة الشباك.

فتعجبت من هذا الهدهد الذى يلبس تاجًا ويضع رسالة فى منقاره وفى هذه اللحظة اقترب الهدهد منها وألقى الكتاب على سريرها وطار مسرعًا كما أوصاه سليمان (عليه السلام).

فبادرت بلقيس وأخذت الكتاب فوجدته مختومًا بختم الملوك فتعجبت وقالت: كتاب مختوم بختم الملوك يرسله صاحبه مع هدهد صغير... يا ترى من هذا الملك؟!!

بلقيس تستشير وزراءها وأكابر دولتها

لما وصل كتاب سليمان (عليه السلام) إلى بلقيس ملكة سبأ قررت بلقيس عقد جلسة طارئة مع وزرائها وأكابر دولتها لترى رأيهم فى هذا الكتاب وماذا تصنع.

جلست بلقيس على عرشها المزخرف بالذهب والجواهر واللآلئ وجلس حولها أكابر قومها وفتحت لهم كتاب سليمان (عليه السلام) وهى فى غاية الخوف والاضطراب وقرأت عليهم مضمون الكتاب.

﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾(١).

هذا هو نص خطاب الملك سليمان عليه السلام لملكة سبأ..

إنه يأمرها فى خطابه أن تأتيه ومن معها مسلمين، هكذا مباشرة،... إنه يتجاوز أمر عبادتهم للشمس، ولا يناقشهم فى فساد عقيدتهم، ولا يحاول إقناعهم بشيء الآن، إنما يأمر فحسب، أليس مؤيدًا بقوة تسند الحق الذى يؤمن به؟ بلى. عليه إذن أن يأمرهم بالتسليم .. وفورًا.

كان هذا كله واضحًا من لهجة الخطاب القصيرة القوية المهذبة فى نفس الوقت..

طرحت الملكة على رؤساء قومها الرسالة، وكانت

---

(١) سورة النمل: الآيات: (٢٩- ٣١).

عاقلة تشاورهم فى جميع الأمور: ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾(١) .

كان رد فعل الملأ وهم رؤساء قومها التحدى، أثارت الرسالة بلهجتها القوية المهذبة غرور القوم، وإحساسهم بالقوة، أدركوا أن هناك من يتحداهم ويلوح لهم بالحرب والهزيمة ويطالبهم بقبول شروطه قبل وقوع الحرب والهزيمة.

﴿ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾(٢) .

اغتروا بقوتهم وظنوا أن الأمر تحدٍّ للقوة والاستطاعة، وظنوا أن هذا ما تسألهم عنه؛ فطمأنوها أن بأسهم شديد..

أراد رؤساء قومها أن يقولوا: نحن على استعداد للحرب، . . . ومن العجب أن تجد المرأة تستشيرهم،

---

(١) سورة النمل: الآية: (٣٢).

(٢) سورة النمل: الآية: (٣٣).

ولكنك تجد من تعوَّد الخضوع والذل والمهانة لا يستطيع أن يُحكّم رأيه، فإنهم في النهاية يقولون: ﴿وَالأَمْرُ إِلَيْكِ﴾[1]، ﴿مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾[2].

ويبدو أن الملكة كانت أكثر حكمة من رؤساء قومها، فإن رسالة سليمان أثارت تفكيرها أكثر مما استنفرتها للحرب.

فكرت الملكة طويلاً في رسالة سليمان عليه السلام، كان اسمه مجهولاً لديها، لم تسمع به من قبل، وبالتالي كانت تجهل كل شيء عن قوته، ربما يكون قويًا إلى الحد الذي يستطيع فيه غزو مملكتها وهزيمتها.

ونظرت الملكة حولها فرأت ضعف من حولها حتى آثروا الذل: ﴿وَالأَمْرُ إِلَيْكِ﴾[3] ﴿مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾[4]، ورأت كذلك تقدم شعبها وثرائه، وخشيت على هذا الثراء والتقدم والترف الذي تعيش ويعيشون فيه من الغزو، ورجّحت الحكمة في نفسها على التهور، وقررت أن

---

(١)، (٢)، (٣)، (٤) سورة النمل: الآية: (٣٣).

تلجأ إلى اللين، وترسل إليه بهدية، فإن قَبِلَ الهدية فهو ملك يريد ثروات الدنيا، وكأنها كانت تريد أن تمتحن سليمان وتعرف مراده.

وقدرت فى نفسها أنه ربما يكون طامعًا قد سمع عن ثراء المملكة فطمع فيها، فحدثت نفسها بأن تهادنه وتشترى السلام منه بهدية،... قدرت فى نفسها أيضًا أن إرسالها بهدية إليه، سيُمكِّن رسلها الذين يحملون الهدية من دخول مملكته، وسيكون رسلها عيونًا فى مملكته، يرجعون بأخبار قومه وجيشه، وفى ضوء هذه المعلومات، سيكون تقدير موقفها الحقيقى منه ممكنًا.

أخفت الملكة ما يدور فى نفسها، وحدثت رؤساء قومها بأنها ترى استكشاف نيات الملك سليمان، عن طريق إرسال هدية إليه،... انتصرت الملكة للرأى الذى يقضى بالانتظار والترقب، وأقنعت رؤساء قومها

ينبذ فكرة الحرب مؤقتًا؛ لأن الملوك إذا دخلوا قرية انقلبت أوضاعها وصار رؤساؤها هم أكثر من فيها تعرضًا للهوان والذل.

واقتنع رؤساء قومها حين لوَّحت الملكة بما يتهددهم من أخطار: ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾(١)(٢).

❋ ❋ ❋

(١) سورة النمل: الآية: (٣٤، ٣٥).
(٢) ابن الإسلام (ص: ٢٥٥، ٢٥٦).

وصول رسل بلقيس
بهدية سليمان (عليه السلام)

وأرسلت بلقيس رسلها بهدية قيّمة إلى سليمان (عليه السلام) وجاءت الأخبار إلى سليمان (عليه السلام) بأن بلقيس قد أرسلت إليه رسلها بهدية قيمة فعلم سليمان (عليه السلام) بذكائه وفطنته أن هذه الملكة أرسلت رجالها ليعرفوا مدى قوته وقوة جيشه الذى معه لينقلوا تلك الأخبار إلى بلقيس فتقرر بعدها موقفها بشأنه إذا كانت ستأتى مسلمة أم أنها ستحاربه.

وهكذا لا يستطيع إنسان مهما بلغت درجة ذكائه أن يغلب نبيًا من الأنبياء فهم جميعًا أصحاب فطنة وذكاء ومعهم فوق ذلك الوحى الإلهى.

* وعلى الفور نادى سليمان (عليه السلام) على أفراد الجيش ليجتمع ويحتشد فيكون سببًا فى إلقاء

الرعب فى قلوبهم.

* ودخل رسل بلقيس ومعهم الهدية القيمة وسط غابة كثيفة من الجيش المدجج بالسلاح .. ونظروا إلى مملكة سليمان (عليه السلام) فعلموا أن مُلك بلقيس لا يساوى شيئًا أمام مُلك سليمان (عليه السلام) حتى إنهم لما رأوا ذلك احتقروا هدية بلقيس وفكروا أن يرجعوا بها مرة أخرى مع أنها هدية ثمينة.

* بل فوجئوا بأن فى الجيش نمورًا وأسودًا وطيورًا وأدركوا أنهم أمام جيش لا يستطيع أى جيش أن يقف أو يصمد أمامه.

* بل والأعجب من ذلك أنهم وجدوا فى طريقهم إلى نبى الله سليمان (عليه السلام) جدارًا من الذهب والفضة بناه الجن بأمر من سليمان (عليه السلام).

ورأوا أطباقًا من ذهب قد امتلأت مسكًا طيب الرائحة ورأوا أطباقًا أخرى من الياقوت الأحمر قد

امتلأت بماء الورد وإذا بالطيور الصغيرة تأتى وتتمرغ فى هذا المسك ثم فى مـاء الورد وتطير فى القـصر لتـملأه بهذه الرائحة العطرية الطيبة.

* فلما دخلوا على سليمان (عليه السلام) وجدوه مبتسمًا بشوشًا فاطمأنت قلوبهم وارتاحت نفوسهم.

* وفى تلك اللحظة قامـوا وقدموا لسليمـان (عليه السلام) هدية الملكة بلقيس على استحياء شديد.

* ثم أخبـروه بأنهم يرفضون الخضـوع له والدخول فى الإسلام ولكنهم أيضًا لا يريدون القتال، وأن هذه الهدية علامة صلح بينهم وأنهم يودون أن يقبلها.

* فنظر سليمـان (عليـه السـلام) إلى هذه الهـدية بغضب وقال: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾[1].

﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾[2] أتقدمـون لى هذا العرض التـافه الرخيص؟ ﴿فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم﴾[3] لقد آتانى من

(١)، (٢)، (٣) سورة النمل: الآية: (٣٦).

المال خيراً مما لديكم ولقد آتانى ما هو خير من المال على الإطلاق: العلم والنبوة، وتسخير الجن والطير، فما عاد شيء من عرض الأرض يفرحنى ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾[1] وتهشون لهذا النوع من القيم الرخيصة التى تعنى أهل الأرض، الذين لا يتصلون بالله.

ثم يتبع هذا الاستنكار بالتهديد: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾[2] بالهدية وانتظروا المصير المرهوب: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾[3][4].

أى: فلأبعثن إليهم بجنود لا يستطيعون دفاعهم ولا نزالهم ولا ممانعتهم ولا قتالهم ولأخرجنهم من بلدهم وحوزتهم ومعاملتهم ودولتهم أذلة ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[5] عليهم الصغار والعار والدمار.

* * *

---

(١) سورة النمل: الآية: (٣٦).
(٢)، (٣) سورة النمل: الآية: (٣٧).
(٤) الظلال (٥/ ٢٦٤٠).
(٥) سورة النمل: الآية: (٣٧).

إحضار عرش بلقيس

فلما رجعت إليها الرسل بما قال سليمان قالت: قد والله عرفت ما هذا بملك، وما لنا به من طاقة وما نصنع بمكابرته شيئًا... وبعثت إليه: إنى قادمة إليك بملوك قومى لأنظر ما أمرك وما تدعونا إليه من دينك ثم أمرت بسرير ملكها الذى كانت تجلس عليه وكان من ذهب ولؤلؤ وزبرجد فجُعل فى سبعة أبيات بعضها فى بعض وأوصت بحفظه ثم ذهبت إلى سليمان فى اثنى عشر ألفًا، - قيل: من ملوك اليمن - وكانت الجن تأتى لسليمان بأخبار بلقيس كل يوم وليلة حتى إذا قربت جمع مَن عنده من الجن والإنس فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[1] فكره أن يأخذه بعد إسلامهم قبل أن تحرم عليه دماؤهم وأموالهم ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾[2] أى: مارد منهم ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ

(١) سورة النمل: الآية: (٣٨).
(٢) سورة النمل: الآية: (٣٩).

أن تقوم من مقامك ﴾[1] أي: من مجلسك أي من أول النهار إلى أن تزول الشمس ﴿ وإني عليه لقوي أمين ﴾[2] أي: قوي على حمله أمين على ما فيه من الجواهر. . .

فأراد سليمان أعجل من ذلك إظهاراً لعظمة ما وهب الله له من الملك وما سخر له من الجنود الذي لم يعط أحد من قبله ولا يكون لأحد من بعد، وليتخذ ذلك حُجة على نبوته عند بلقيس وقومها لأن الإتيان بعرشها كما هو من بلادها قبل أن يقدموا عليه أمر خارق عظيم لاسيما وقد حجبته بالأغلاق والأقفال والحفظة ﴿ قال الذي عنده علم من الكتاب ﴾[3] وهو آصف كاتب سليمان وكان صديقًا يعلم اسم الله الأعظم ﴿ أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ﴾[4] فلم يشعر سليمان إلا وعرشها يُحمل بين يديه[5] .

---

(١)، (٢) سورة النمل: الآية: (٣٩).

(٣) سورة النمل: الآية: (٤٠).

(٤) سورة النمل: الآية: (٤٠).

(٥) مختصر تفسير ابن كثير (٣/ ٣٦٤ - ٣٦٥).

﴿ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ ﴾[1] أي: فلما رأى عرش بلقيس مستقرًا عنده في هذه المدة القريبة من بلاد اليمن إلى بيت المقدس في طرفة عين ﴿ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾[2] أي: هذا من فضل الله عليَّ وفضله على عباده ليختبرهم على الشكر أو خلافه ﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾[3] أي: إنما يعود نفع ذلك عليه ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾[4] أي: غني عن شكر الشاكرين ولا يتضرر بكفر الكافرين[5].

❊ ❊ ❊

---

(١)، (٢)، (٣)، (٤) سورة النمل: الآية: (٤٠).

(٥) قصص الأنبياء (ص: ٥٥٦).

من تواضع لله رفعه الله (جل وعلا)

لقد كانت المسافة بين مجلس سليمان (عليه السلام) فى فلسطين وبين عرش ملكة سبأ فى اليمن تُقدر بآلاف الأميال ومع ذلك جيء بالعرش فى غمضة عين.. فيا تُرى كيف كان رد فعل نبى الله سليمان (عليه السلام).

إنه لم يفرح بقدرته ولم يشمخ بهذا الإنجاز الكبير وإنما تواضع لربه (جل وعلا) ونسب الفضل إليه (جل جلاله) وشكره على تلك النعمة العظيمة.

﴿ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾[1].

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة النمل: الآية: (٤٠).

مفاجأة ضخمة لبلقيس

نظر سليمان (عليه السلام) إلى عرش بلقيس ثم أمر بتغيير بعض معالمه وإجراء بعض التعديلات عليه ليمتحن بلقيس حين تأتي ويرى هل ستعرف عرشها أم أنها لن تستطيع أن تعرفه بعد إجراء تلك التعديلات.

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ ﴾[1].

وقفت بلقيس تنظر وتتأمل عرشها بعد إجراء هذه التعديلات عليه وهي مترددة في أن تقول هو عرشها أو تقول: ليس هو عرشها.

فكانت في غاية الذكاء فردت ردًا ذكيًا ﴿ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾[2].

وهذا من فطنتها وغزارة فهمها، لأنها استبعدت أن يكون عرشها لأنها تركته وراءها بأرض اليمن، ولم

---

(١)، (٢) سورة النمل: الآية: (٤٢).

تكن تعلم أن أحـدًا يقـدر على هذا الصنع العـجـيب الغريب.

قال الله تعالى إخبارًا عن سليمان وقومه: ﴿ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾[1] أي: ومنعها عـبادة الشمس التى كانت تسجـد لها هى وقومها من دون الـله اتباعًا لدين آبائهم وأسلافهم لا لدلـيل قادهم إلى ذلك ولا حداهم على ذلك[2].

وها هى تعلن إسلامها لرب العالمين

وأمـر سليمـان جنوده أن يبنوا قـصـرًا رائعًـا يُبهـر الأبصار ويُذهب الـعقول لتـعرف بلقيـس أن مُلكها لا يساوى أى شيء أمام مُلك سليمان المؤيَّد من الله (جل وعلا).

(١) سورة النمل: الآيتان: (٤٢، ٤٣).

(٢) قصص الأنبياء (ص: ٥٥٦) بتصرف.

اختار سليمان (عليه السلام) مكانًا رائعًا على البحر وأمر جنوده ببناء القصر في هذا المكان بحيث يقع معظم القصر داخل مياه البحر.

وأمر أن تكون أرضية القصر من الزجاج الصلب الشفاف بحيث يسير السائر فوقه فيرى الأسماك ودواب البحر تسير وتسبح تحت قدميه.

* وتم بناء القصر بإتقان عجيب حتى أن السائر فوق الزجاج لم يعرف أنه زجاج.

* فلما جاءت بلقيس أمرت بدخول الصرح وسليمان جالس على سريره فيه ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1][2].

* لقد كانت المفاجأة قصرًا من البلور، أقيمت أرضيته فوق الماء. وظهر كأنه لُجة - ماء كثير - فلما

(١) سورة النمل: الآية: (٤٤).
(٢) قصص الأنبياء (ص: ٥٥٦).

قيل لها: ادخلى الصرح، حسبت أنها ستخوض تلك اللجة، فكشفت عن ساقيها؟ فلما تمت المفاجأة كشف لها سليمان عن سرها: ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِن قَوَارِيرَ﴾!

أي: قصر مُملَّس من زجاج شفاف.

ووقفت الملكة مدهوشة أمام هذه العجائب التى تُعجز البشر، وتدل على أن سليمان مُسخَّر له قوى أكبر من طاقة البشر، فرجعت إلى الله، وناجته معترفة بظلمها لنفسها فيما سلف من عبادة غيره. معلنة إسلامها ﴿مَعَ سُلَيْمَانَ﴾[1] لا لسليمان. ولكن ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2].

لقد اهتدى قلبها واستنار. فعرفت أن الإسلام لله ليس استسلامًا لأحد من خلقه، ولو كان هو سليمان النبى الملك صاحب هذه المعجزات... إنما الإسلام إسلام لله رب العالمين. ومصاحبة للمؤمنين به والداعين إلى طريقه على سنة المساواة .. ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ

---

(١)، (٢) سورة النمل: الآية: (٤٤).

سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[(١)].

وسجَّل السياق القرآني هذه اللفتة وأبرزها، للكشف عن طبيعة الإيمان بالله، والإسلام له، فهي العزة التي ترفع المغلوبين إلى صف الغالبين، بل التي يصبح فيها الغالب والمغلوب أخوين في الله، لا غالب منهما ولا مغلوب وهما أخوان في الله رب العالمين .. على قدم المساواة[(٢)].

* لقد وقفت منبهرة أمام أرضية القصر البلورية الشفافة التي تسبح تحتها الأسماك.

اعترفت بلقيس بظلمها لنفسها وأسلمت ﴿مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[(٣)]، وتابعها قومها على الإسلام.

أدركت أنها تواجه أعظم ملوك الأرض، وأحد أنبياء الله الكرام، وهكذا قادها الإنبهار إلى تحطيم الغرور وإلى الاستسلام لله رب العالمين.

---

(١) سورة النمل: الآية: (٤٤).
(٢) الظلال (٥/ ٢٦٤٣).
(٣) سورة النمل: الآية: (٤٤).

الدروس المستفادة:

(١) أن صلاح الآباء يرثه الأبناء فقد ورث سليمان من أبيه داود (عليهما السلام) العلم والحكمة والفهم والدين.

(٢) أن العبد إذا أنعم الله عليه بنعمة فلا بد أن يستعملها فى طاعة الله وأن يشكر الله عليها .. فأهل الشكر فى مزيد.

(٣) أن العبد المسلم إذا دعا لنفسه فلا بد أن يحرص كل الحرص على الدعاء لوالديه .. وذلك من كمال البر بالوالدين.

(٤) أن المسلم لا بد أن يتحرك لنُصرة دين الله ولدعوة الناس إلى الله (جل وعلا) فها هو الهدهد تحرك لنُصرة دين الله فهل أنت أقل مكانة من الهدهد.

(٥) أن المسلم لا يعاقب أحدًا إلا بعد أن يسمع

عـذره فلعله يكون معـذوراً فـلا ينبغى أن يظلمـه . .
ولقد رأينا كـيف أن سليمان (عليه السـلام) لم يعاقب
الهدهد على غيابه وانتظر حتـى يسمع منه فلما استمع
إليه عذره .

(٦) أن الأنبياء لا يعلمون الغيب على الإطلاق وإنما
يعرفون بعض الغيبيات التى يُطلعهم الله عليها .

فعلى الرغم من أن المسـافة التى كانت بين سليـمان
(عليه السلام) وبلقيس ملكة سبأ (قصيرة) ومع ذلك لم
يعلم بخبرها وخبر قومها إلا من الهدهد . . مع أن الله
سخر له الجن والريح .

فهذا دليل واضح على أن الأنبياء - عليهم السلام -
لا يعلمـون الغيب فكيف يزعم أُناسٌ أن الولى الـفلانى
يعلم الغيب؟!! - والله وحده هو الذى يعلم أولياءه - .

فعلم الغيب لا يعلمه إلا الله (جل وعلا) كما قال
تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ

ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾[1]، بل قالت الملائكة: ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾[2].

(٧) أنه لا بد من دعوة الأمم الكافرة قبل محاربتها ولذلك أرسل سليمان (عليه السلام) كتابه إلى بلقيس ملكة سبأ ليدعوها هي وقومها إلى الإسلام ولم يذهب بجيشه لمحاربتها لأن الأصل هو الدعوة وليس الحرب.

(٨) أن الشورى بين الناس تجعل الرأي صائبًا سديدًا وهذا من بركة الألفة والتعاون على البر والتقوى .. وقد أمر الله (جل وعلا) سيد ولد آدم محمد بن عبد الله ﷺ فقال له: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾[3].

---

(١) سورة الجن: الآيات: (٢٦ - ٢٨).
(٢) سورة البقرة: الآية: (٣٢).
(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٥٩).

(٩) أنه قد يوجد فى النساء امرأة أعقل وأفضل من كثير من الرجال .. ولقد رأينا كيف كانت بلقيس امرأة عاقلة بل كانت أعقل من وزرائها وأكابر قومها الذين كانوا يظنون أن الحل فى المواجهة والقتال.

(١٠) أن الملوك - فى الغالب - إذا تمكنوا من بلدٍ أفسدوا فيها وجعلوا ملوكها أذل الناس.

(١١) أن المسلم لا يتاجر بدينه ولا يقبل الرشوة أبدًا.. فقد رأينا كيف أن سليمان (عليه السلام) رفض هدية بلقيس لأنها كانت فى مقابل السكوت على المنكر الأكبر الذى ترتكبه هى وقومها وهو عبادتهم للشمس من دون الله (جل وعلا).

(١٢) أن الله أعطى الجن قدرات فائقة فى سرعة الانتقال والتشكُّل فى صور مختلفة لكنهم مع ذلك لا يعلمون الغيب ولا يملكون لإنسان نفعًا ولا ضرًّا.

(١٣) أن المسلم إذا حدث له أمر يحبه فلا بد أن ينسب الفضل لله (جل وعلا) ولا يغتر أو يصيبه شيء من الكبر والغرور .. فقد رأينا سليمان (عليه السلام) لما جيء له بالعرش ﴿قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾[١].

(١٤) أن هدف المسلم هو تعبيد الناس لرب الناس ولذلك لما أسلمت بلقيس وقومها فرح بذلك سليمان (عليه السلام).

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة النمل: الآية: (٤٠).

قصة أم موسى (عليه السلام)

وتعالوا بنا لنعرف قصة أم نبى الله موسى (عليه السلام).

كان أهل مصر فى أيام الفراعنة يعبدون الأصنام زمانًا طويلاً.

فلما جاء نبى الله يوسف (عليه السلام) إلى مصر وأصبح عزيز مصر لسنوات طويلة وكان يدعو الناس إلى التوحيد وإلى عبادة الله (جل وعلا) فآمن أهل مصر.

* وبعد ذلك أرسل يوسف إلى أبيه يعقوب (عليهما السلام) وإلى أهله وقرابته فجاءوا من فلسطين وعاشوا فى مصر واختلطوا بالمصريين فتعلم المصريون منهم

التوحيد وعاشوا زمانًا طويلاً على الإيمان والتوحيد.

* ولكن بعد وفـاة يوسف (عليه السـلام) عاد أهل مصر إلى الشرك مرة أخرى وأما بقية أبناء يعقوب (وهو إسرائيل) فقد عاشوا فى مصر.

وتكاثر أبناء إسرائيل وتزايد عددهم وأصبحوا من أمهر الناس فى كل أنواع الحرف والصناعات حتى اعتمد عليهم المصريون.

* وجـاء فى تلك الفترة ملك جبار حَكَم مصر وكـان المصريون يعبدونه - وهو فرعون المذكور فى القرآن.

* * *

إن فرعون علا فى الأرض

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ﴾[1].

أي: تجبَّر وعتا وطغى وبغى، وآثر الحياة الدنيا، وأعرض عن طاعة الرب الأعلى، وجعل أهلها شيعًا، أى: قسم رعيته إلى أقسام، وفِرق وأنواع، يستضعف طائفة منهم، هم شعب بنى إسرائيل الذين هم من سلالة نبى الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله. وكانوا إذ ذاك خيار أهل الأرض.

وقد سلط عليهم هذا الملك الظالم الغاشم الكافر الفاجر يستعبدهم ويستخدمهم فى أخس الصنائع والحِرف وأردئها وأدناها ومع هذا ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[2][3].

---

(١) سورة القصص: الآية: (٤).
(٢) سورة القصص: الآية: (٤).
(٣) قصص الأنبياء (ص: ٣٣٨).

علم أن هلاك مُلكه
على يد غلام من بنى إسرائيل

وكان هذا الملك الجبار يفعل كل هذا فى بنى إسرائيل لأن بنى إسرائيل كانوا يذكرون فيما بينهم أنه سيخرج من بنى إسرائيل غلام يكون هلاك ملك مصر على يديه فوصل هذا الخبر لفرعون فأحس أن هناك خطرًا على عرشه ومُلكه من وجود بنى إسرائيل فى مصر.

ولم يكن يستطيع أن يطردهم؛ لأن عددهم كان يزيد على مئات الألوف فلو طردهم لتحالفوا مع أعدائه ضده وفى ذلك خطر يهدد مُلكه فى مصر.

فابتكر طريقة جهنمية للقضاء على بنى إسرائيل وهى أن يُسخرهم فى الأعمال الشاقة الخطيرة من ناحية.. ومن ناحية أخرى قرر أن يذبح كل طفل ذكر يولد فى بنى إسرائيل ويترك الإناث حتى لا يتكاثر

الرجـال وبذلك تضـعف قوتهم وينـقص عدد الذكـور ويزداد عدد الإناث.

إنها العناية الإلهية

ولكن القبط (أهل مصـر) قالوا لفرعون: لو أنك قتلت كل ذكـور بنى إسـرائيل فـإننا لن نجـد بعـد ذلك من يخدمنا ويقوم بتلك الأعمال الشاقة... فأصدر فرعون قرارًا جـديدًا بأن يقتل الأطفـال الذكور عـامًا ويتـركوا عامًا.

فحـملت أم موسى (عليه السلام) بهـارون فى العام الذى لا يُقتل فـيه الذكور وولدته علانيـة بلا خوف.. فلما كان العام الذى يُقتل فيه الذكور ولُد موسى (عليه السلام) فخافت عليه من القتل فكانت تُرضعه فى السر واتخذت له تابوتًا فـربطته فى حـبل وكانت دارها على النيل مباشرة فكانت تُرضعه فإذا خافت عليه وضعته فى

ذلك التابوت (الصندوق الخشبى) وأرسلته فى البحر وهى تمسك بطرف الحبل حتى لا يضيع منها.

لا تخافى ولا تحزنى

فى ظل هذا الجو المشحون بالخوف وُلد موسى (عليه السلام) .. فكانت أمه فى غاية الخوف عليه لا تدرى ماذا تصنع إلى أن جاء الأمر من الله (جل وعلا).

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾[1].

* إن جنود فرعون ينتشرون فى كل مكان ولو رأوا موسى (عليه السلام) لقتلوه فى التو واللحظة.

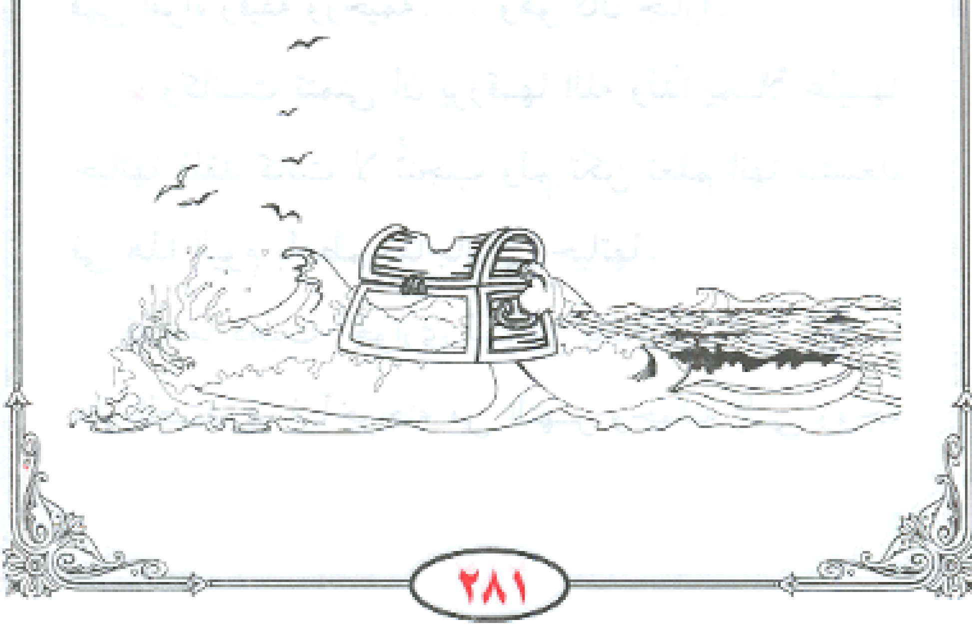
* وهنا قامت أم موسى لتمتثل أمر الله (جل وعلا) فأخذت موسى وأرضعته ثم ألقته فى هذا الصندوق

(١) سورة القصص: الآية: (٧).

الخشبى وكلها يقين وثقة فى الله أنه سيرد إليها ولدها مرة أخرى.

ألقت أم موسى الصندوق فى النهر وفيه موسى (عليه السلام) .. وهى تعلم أن الله (عز وجل) أرحم بموسى منها.

* سقط الصندوق فى الماء.. وجاء الأمر من الخالق (جل وعلا) لماء النيل أن يحمل هذا الصندوق بكل رحمة وحنان؛ لأن هذا الطفل الرضيع سيكون بعد ذلك رسولاً من أولى العزم الخمسة.



وكـمـا أمـر الله النار أن تكون بردًا وسـلامًـا على إبراهيم فكذلك أمر النيل أن يحمل مـوسى بكل رحمة ورفق وهدوء حتى يوصله إلى قصر فرعون.

موسى (عليه السلام) يصل إلى قصر فرعون

ووصل الصندوق إلى الشاطئ أمام قصر فرعون.

وفي تلك اللحـظة كـانت زوجـة فـرعـون تمشى فى حديقة قصرها الكبيـر. وكانت تختلف تمامًا عن فرعون فهي امرأة رقيقة ورحيمة... وهو كان جبارًا.

* وكانـت تتمنى أن يرزقـها الله ولدًا يمـلأ عليـها حياتها فلقد كانت لا تُنجب ولم تكن تعلم أنها ستسعد فى هذا اليوم بأعظم مفاجأة فى حياتها.

فعندما ذهبت الجوارى ليـأتين بالماء من النهر وجدن هذا الصندوق فـأخرجنه من النهـر وحملنه إلـى زوجة



فرعـون ففتـحت الصندوق وما إن رأت مـوسى (عليه السلام) حتى أحـسـت بحبه يملأ قلبـها .. ولا عجب فى ذلك فـقد قال تعـالى عن موسى (عليـه السـلام): ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾(١). فـلا يستطيـع إنسان على وجـه الأرض أن يراه ولا يحـبـه؛ لأن الله ألقى عليـه محبة منه.

* أمسكت زوجة فرعون بموسى (عليه السلام) وهى فى غـاية السـعـادة والسـرور وذهبت به إلى فـرعـون

---

(١) سورة طه: الآية: (٣٩).

فسألها: من أين جاء هذا الطفل الرضيع؟ فأخبرته بالقصة كلها فقال لها: لا بد من ذبحه فإنه من ذكور بني إسرائيل... وهذا العام هو عام الذبح.

صرخت زوجته وهي تضم موسى إلى صدرها أكثر: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾[1] تذكر فرعون عدم قدرة زوجته على الإنجاب، فاستجاب لرغبتها وسمح لها أن تربي هذا الطفل في قصره.

❊ ❊ ❊

---

(1) سورة القصص: الآية: (9).

أم موسى (عليه السلام) تبكى لفراقه

وفى تلك الفترة كانت أم موسى (عليه السلام) على الرغم من ثقتها فى وعد الله (جل وعلا) بأن يرد إليها ابنها إلا أنها كانت تبكى لفراق طفلها الرضيع لكن الله برحمته ثبتها وربط على قلبها وألهمها الصبر والثبات.

الله (جل وعلا) يرد موسى إلى أمه

بعد ساعات معدودات بدأ موسى (عليه السلام) فى البكاء من شدة الجوع فأمرت زوجة فرعون بإحضار المراضع فجاءت مرضعة من القصر وأخذت موسى لتُرضعه فرفض أن يرضع منها .. فأمرت زوجة فرعون بإحضار مرضعة ثانية وثالثة وعاشرة وهو يرفض فى

كل مرة أن يرضع... فاحتارت زوجة فرعون وخافت عليه أن يموت.

* وفى تلك اللحظة كانت أم موسى فى بيتها تبكى على فراق طفلها وكاد قلبها أن يذوب حزنًا وكمدًا على فراق إبنها حتى كادت أن تذهب إلى قصر فرعون لتخبرهم بأنها أمه.. لولا أن الله ربط على قلبها فهدأت وسكنت نفسها واطمأنت.

* لكنها أمرت أخت موسى (عليه السلام) وقالت لها: اذهبى بكل هدوء وحذر إلى مكان قريب من قصر فرعون وحاولى أن تعرفى أخبار موسى واحذرى أن يشعر أحدٌ بك.

* وهنا ذهبت أخت موسى بكل حذر وهدوء لتعلم ما الذى حدث، وهناك سمعت بكاء موسى فسألت بعض الحرس فأخبروها بأن هذا الطفل يرفض كل المراضع.. فقالت أخت موسى لحرس فرعون: هل

أدلكم على أهل بيت يُرضعونه ويكفلونه ويهتمون بأمره على أكمل وجه؟

ففرحوا بذلك وذهبوا ليخبروا زوجة فرعون التى جاءت وهى فى قمة سعادتها وطلبت منها أن تذهب فورًا لتُحضر المرضعة.

* عادت أخت موسى إلى أمها لتبشرها بهذه البشرى الغالية وأحضرت أمها معها إلى قصر فرعون.

واستأذنت الحرس فأذنوا لها ودخلوا إلى قصر فرعون.

وجاءت زوجة فرعون وقدمت موسى إلى أمه وقالت لها: أرضعيه.

فقامت أمه لتُرضعه فرضع منها... وهنا تهلل وجه زوجة فرعون وقالت: خذيه عندك فى البيت وأرضعيه حتى تفطميه ثم أعيديه إلينا بعد ذلك

وسنعطيك على ذلك أجراً عظيماً .. فوافقت أم موسى على ذلك.

* عادت أم موسى تحمل طفلها الحبيب وهي لا تصدق نفسها .. يكاد قلبها أن يطير من شدة الفرح.

* وهكذا ردَّ الله (جل وعلا) موسى لأمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون.



موسى (عليه السلام) يتربى فى قصر فرعون

وبعدما أتمت أم موسى رضاعته ذهبت به إلى زوجة فرعـون وأسلمـته لهـا فكان من أحب الناس إلى قلب زوجة فـرعون . . وليس هذا فحـسب بل كان كل من يراه لا بد أن يحبه؛ لأن الله (عز وجل) قال: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾[1] .

* عاش موسى (عليه السلام) فى قـصر فرعون حتى كبر . . وكـان بيت فرعون يضم أعظم خبـراء فى التربية والتدريس؛ لأن مصر فى هذا الوقت كانت أكبر دولة فى الأرض وكان فرعون أقوى ملك فى الأرض.

فـشاء الله أن يتلقى مـوسى (عليـه السلام) أفـضل أنواع التدريس والتربيـة وأن يتم ذلك كله فى بيت عدو الله فرعون.

---

(١) سورة طه: الآية: (٣٩).

الدروس المستفادة:

(١) أن لكل بداية نهاية .. ولكن نهاية الظلم دائمًا تكون وخيمة، فها هو فرعون الذى علا فى الأرض وطغى وقال: أنا ربكم الأعلى سترى كيف كانت نهايته.

(٢) أنه لا يحدث شىء فى هذا الكون إلا بمشيئة الله (جل وعلا) .. فها هو موسى (عليه السلام) يولد فى العام الذى يقتل فيه فرعون كل مولود ذكر من بنى إسرائيل ولكن الله نجاه وجعل التابوت يصل إلى قصر فرعون وألقى محبته فى قلب امرأة فرعون ليتربى موسى فى قصر فرعون.

(٣) لقد ورد ذكر أم موسى وأخته ولم يرد ذكر أبيه؛ لأن الدور الكبير قامت به الأم المباركة .. وهذا يوضح منزلة الأم ودورها العظيم فى تربية أولادها.

(٤) أن الآلهة الباطلة لا تنفع ولا تضر .. فها هو

فرعون الذى كان يدعى الألوهية ويقول: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾(١) عجز أن يجعل زوجته تحمل بولد.

(٥) أن من أطاع الله (جل وعـلا) فإن الله يكرمـه فى الدنيا والآخرة .. فها هى أم موسى لما أطاعت أمر ربها وألقت موسى فى النهر ثبتها الله وربط على قلبها وأعاد إليها ولدها.

❋ ❋ ❋

(١) سورة القصص: الآية: (٣٨).

قصة قارون

كان ياما كان.

كان هناك رجل من بنى إسرائيل اسمه قارون.

وكان هناك قرابة تربطه بنبى الله موسى (عليه السلام)... فهو ابن عمه.

وكان فى بداية أمره عالمًا وعابدًا فى صومعته.

وظل على تلك الحالة زمانًا إلى أن أغواه الشيطان بترك العبادة والإقبال على الدنيا وزينتها.

أصبح قارون مقبلاً على الدنيا.. فكثر ماله وزادت كنوزه فانشغل بها وبالمحافظة عليها وأخذ يفكر كل يوم كيف يُنمِّى ثروته حتى أصبح عنده ثروة لا تخطر على قلب بشر حتى أن مفاتيح الخزائن التى كان يملكها لا يستطيع الرجال الأقوياء أن يحملوها فكيف بالكنوز

التي في تلك الخزائن.

وذكروا أنه لما كثر مال قارون، وأوجب الله الزكاة على بني إسرائيل، جاء قارون إلى موسى عليه السلام واتفق معه أن يدفع له الزكاة: عن كل ألف دينار دينارًا، وعن كل ألف درهم درهمًا، وعن كل ألف شاة شاة وهكذا.

ولما رجع قارون إلى بيته، وحسب الزكاة الواجبة عليه، وجدها قد بلغت مبلغًا عظيمًا. فلم تسمح له نفسه بإخراج هذه الزكاة. فمكر بموسى عليه السلام.

فاتفق قارون مع جماعة من المنافقين على أن يتآمروا على نبي الله موسى (عليه السلام).

فأمرهم قارون بأن يأتوا بامرأة سيئة من بغايا بني إسرائيل لتفتري على موسى (عليه السلام) وتزعم أنه فعل بها الفاحشة.

فجاءوا بها وعرض عليها قارون ألف دينار ذهبي

على أن تخرج أمام الناس وتزعم أن موسى (عليه السلام) قد فعل بها الفاحشة.

فلما كان الغد، جمع قارون بني إسرائيل.

ثم أتى موسى وقال له: إن بني إسرائيل قد اجتمعوا لك، ينتظرون خروجك. فاخرج إليهم لتعظهم وتُذكرهم.

فخرج إليهم موسى عليه السلام، فخطبهم قائلاً: يا بني إسرائيل: من سرق قطعنا يده، ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة، ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مائة جلدة، وإن كانت له زوجة رجمناه حتى يموت.

فقال له قارون: وإن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا!.

فقال قارون: إن بني إسرائيل يزعمون أنك فعلت الفاحشة مع فلانة.

قال موسى: أنا؟ قال: نعم!.

قال موسى: ادعوها، فإن قالت بهذا، فهو كما قالت.

* فلما جاءت ووقفت أمام الناس قال لها موسى (عليه السلام):

أسألك بالذى أنزل التوراة وفلق البحر وخلق الكون.. هل أنا فعلت بكِ الفاحشة؟!!!

فلما نظرت المرأة إلى نبى الله موسى (عليه السلام) استحيت من هيبة منظره ووقاره وقالت: لا والله ما فعلت شيئًا من ذلك ولكن قارون جعل لى ألف دينار ذهبى على أن أقول للناس إنك فعلت الفاحشة معى.

فلما قالت هذا الكلام فُضح قارون ووضع رأسه فى الأرض وسكت الناس جميعًا وخجلوا من أنفسهم أن يقال مثل هذا الكلام البذىء فى حق نبى كريم من أنبياء الله (جل وعلا).

فخرَّ موسى ساجدًا لله يبكى، ويقول: يا رب إن

عدوك هذا قد آذاني، وسبَّني وأراد فضيحتي، اللهم إن كنتُ رسولك فاغضب لي وسلِّطني عليه.

فأوحى الله إليه: ارفع رأسك. وأْمُر الأرض بما شئتَ، تطعْك.

فقال موسى: يا بني إسرائيل، إن الله قد بعثني إلى قارون، كما بعثني إلى فرعون، فمن كان معه فليلبث مكانه، ومن كان معي فليعتزل عنه.

فاعتزلوا عن قارون، ولم يبق معه إلا رجلان.

ثم قال موسى: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى كعابهم. ثم أخذتهم إلى جنوبهم.

ثم أخذتهم إلى أعناقهم، وقارون وصاحباه يتضرعون إلى موسى عليه السلام، ويناشدونه بالله وبالرحم.

ثم قال موسى: يا أرض خذيهم، فانطبقت الأرض عليهم.

وإن الله يخسف بقارون وصاحبيه كل يوم قامة، وإنه يجلجل بهم فيها، لا يبلغون قعرها إلى يوم القيامة».

* ولقد ذكر الله (عز وجل) قصة قارون في كتابه فقال (جل وعلا):

﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا

بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1].

❋ ❋ ❋

(١) سورة القصص: الآيات: (٧٦-٨٣).

الدروس المستفادة:

(١) أن الإنسان لا ينبغى أن يغترَّ بعبادته لأنه من الممكن أن ينتكس فى أى لحظة إن لم يثبته الله (عز وجل).

(٢) أن كثرة المال ليست دليلاً على حب الله للعبد... فقد يعطى الله عبده مالاً كثيرًا وهو لا يحبه.. وقد يحرم غيره وهو يحبه.

(٣) أن المسلم إذا رزقه الله بالمال فلابد أن يُخرج منه زكاته وأن يستعمل هذا المال فى طاعة الله (جل وعلا).

(٤) أنه يحرم على المسلم أن يتهم أحدًا فى عِرضه فكيف بمن يتهم نبيًا أو صحابيًا.

(٥) أن العبد إذا جاءه خبر يُفرحه أو كشف الله عنه كربًا فينبغى أن يسجد شكرًا لله (جل وعلا).

(٦) أن لكل ظالم نهاية... ولقد رأينا كيف صنع الله بقارون عقابًا له على ظلمه وبغيه.

❊ ❊ ❊

لقمان الحكيم

كان ياما كان.

كان هناك رجل حكيم اسمه لقمان.

وكان لقمان (رحمه الله) عبدًا حبشيًا.. وقيل إنه كان من بلاد النوبة فى جنوب مصر... وكان نجارًا يكسب من عمل يده.

وكان رجلاً بسيطًا لكن الله رفع قدره بالحكمة.

حتى سأله رجل: ما الذى جعلك تصل إلى هذه المنزلة والمكانة بين الناس فقال له: لأنى لا أتكلم إلا صدقًا، وأغض بصرى عن الحرام، وأكف لسانى عن الحرام وأحفظ فرجى وأكرم ضيفى وأحفظ جارى وأفى بعهدى فذلك هو السبب - بعد فضل الله - فى بلوغ هذه المنزلة.

* ونظر إليه رجل آخر متعجبًا لبلوغه هذه المنزلة فقال له لقمان: إن كنت تراني غليظ الشفتين فإنه يخرج من بينهما كلامٌ رقيق وإن كنت تراني أسود اللون فقلبي أبيض.

* **وفي يوم من الأيام قال له مولاه:** اذبح لنا هذه الشاة، فذبحها قال: أخرج أطيب مضغتين فيها، فأخرج اللسان والقلب، ثم مكث ما شاء الله.

ثم قال: اذبح لنا هذه الشاة، فذبحها، فقال: أخرج أخبث مضغتين فيها، فأخرج اللسان والقلب.

فقال له مولاه: أمرتك أن تُخرج أطيب مضغتين فيها فأخرجتهما وأمرتك أن تخرج أخبث مضغتين فيها فأخرجتهما فقال لقمان: إنه ليس من شيء أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا.



من وصايا لقمان

* وكان لقمان حكيمًا لا ينطق لسانه إلا بالحكمة والكلام الطيب وكان له قدر ومكانة عظيمة عند الله (جل وعلا).

وأكبر دليل على ذلك أن الله (جل وعلا) خلَّد ذكره في القرآن.. بل وجعل سورة من سور القرآن باسمه.. وهي سورة لقمان.

* وفي هذه السورة ذكر الله (عز وجل) بعض وصايا لقمان لابنه وهي وصايا عظيمة تُعتبر منهجًا تربويًا لأولادنا وبناتنا.

* فتعالوا بنا لنتعايش مع هذه الوصايا.

قال تعالى مُخبرًا عن وصايا لقمان الغالية:

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ

بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير (١٤) وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون (١٥) يا بنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير (١٦) يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور (١٧) ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور (١٨) واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾(١) .

قال تعالى: ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ أى والله لقد أعطينا لقمان الحكمة وهى الإصابة فى القول، والسداد فى الرأى، والنطق بما يوافق الحق .

﴿أن اشكر لله﴾ أى وقلنا له: اشكر الله على إنعامه

---

(١) سورة لقمان: الآيات: (١٢- ١٩).

وإفضاله عليك حيث خصَّك بالحكمة وجعلها على لسانك ﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾ أى ومن يشكر ربه فثواب شكره راجع لنفسه، وفائدته إنما تعود عليه؛ لأن الله تعالى لا ينفعه شكر من شكر، ولا يضره كفر من كفر؛ ولهذا قال بعده: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ أى ومن جحد نعمة الله فإنما أساء إلى نفسه؛ لأن الله مُستغنٍ عن العباد، محمودٌ على كل حال، مستحقٌ للحمد لذاته وصفاته.

وهنا يخبر تعالى عن وصية لقمان لابنه.

أوصاه أولاً بأن يعبد الله وحده لا شريك له ثم قال محذرًا له ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ أى هو أظلم الظلم.

❋ ❋ ❋

ووصينا الإنسان بوالديه

ثم قرن بوصية ابنه بعبادة الله وحده، البرّ بالوالدين وقال ههنا: ﴿ووَصَّيْنَا الإنسَانَ بِوالدَيْه حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي ضعفًا على ضعف، وقوله: ﴿وفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ أي تربيته وإرضاعه بعد وضعه في عامين.

﴿أَنِ اشْكُرْ لِي ولِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ أي فإني سأجزيك على ذلك أوفر الجزاء[1].

لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

قوله تعالى: ﴿وإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا﴾ أي وإن بذلا جهدهما، وأقصى ما في وسعهما، ليحملاك على الكفر والإشراك بالله فلا تطعهما، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير (٣/ ٤٥٣).

﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ أي وصاحبهما في الحياة الدنيا بالمعروف والإحسان إليهما -ولو كانا مشركين- لأن كفرهما بالله لا يستدعي ضياع المتاعب التي تحمَّلاها في تربية الولد، ولا التنكر بالجميل ﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ أي واسلك طريق من رجع إلى الله بالتوحيد والطاعة والعمل الصالح ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي مرجع الخلق إلى الله فيجازيهم على أعمالهم.

الله لطيفٌ خبير

قوله تعالى: ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾(١).

هذه وصايا نافعة قد حكاها الله سبحانه عن لقمان

(١) سورة لقمان: الآية: (١٦).

الحكيم ليمتثلها الناس ويقتدوا بها، فقال: ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ أي أن المظلمة أو الخطيئة لو كانت مثقال حبة خردل ﴿ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ أي يُحضرها يوم القيامة، ويجازى عليهما إن خيرًا فخير أو شرًا فشر. . . كقوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[(١)] ومهما كانت الذرة خافية أي غائبة في أرجاء السماوات والأرض، يأت بها من لا تخفى عليه خافية فيها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ أي لطيف العلم بالأشياء مهما تضاءل أو دقَّ. وخبير بكل شيء.

* * *

(١) سورة الزلزلة: الآيتان: (٧، ٨).

هذا هو طريق العقيدة المرسوم

﴿ يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾[1].

* ﴿ يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ ﴾ أى أدّها بجميع واجباتها من حدودها وأوقاتها وركوعها وسجودها وطمأنينتها وخشوعها وما شرع فيها واجتنب ما ينهى عنه فيها. ثم قال: ﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ أى بجهدك وطاقتك أى إن استطعت باليد فباليد وإلا فبلسانك فإن لم تستطع فبقلبك ثم أمره بالصبر فقال: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ﴾ وذلك أن الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر فى مظنة أن يُعادَى ويُنال منه ولكن له العاقبة ولهذا أمره بالصبر على ذلك... ومعلوم أن عاقبة الصبر الفرج وقوله: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ التى لا بد منها ولا محيد عنها.

(١) سورة لقمان: الآية: (١٧).

أدب الداعية إلى الله تعالى

ويستطرد لقمان فى وصيته التى يحكيها القرآن هنا إلى أدب الداعية إلى الله.

فالدعوة إلى الخير لا تجيز التعالى على الناس؛ والتطاول عليهم باسم قيادتهم إلى الخير، ومن باب أولى يكون التعالى والتطاول بغير دعوة إلى الخير أقبح وأرذل.

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[(١)].

والصعر داء يصيب الإبل فيلوى أعناقها. والأسلوب القرآنى يختار هذا التعبير للتنفير من الحركة المشابهة للصعر. حركة الكبر والازدراء، وإمالة الخد للناس فى تعالٍ واستكبار.

---

(١) سورة لقمان: الآيتان: (١٨، ١٩).

* وقوله: ﴿ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾ ينهاه عن التبختر فى المشية على وجه العظمة والفخر على الناس.

واقصد فى مشيك
واغضض من صوتك

وقوله تعالى: ﴿واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾[1].

* فإنه لما نهاه عن الاختيال فى المشى أمره بالقصد فيه فإنه لا بد له أن يمشى فنهاه عن الشر وأمره بالخير فقال واقصد فى مشيك أى لا تتباطأ إبطاءً مفرطًا ولا تسرع إسراعًا مفرطًا ولكن بين ذلك.

* ثم قال: ﴿واغضض من صوتك﴾ يعنى إذا تكلمت لا تتكلف رفع صوتك فإن أرفع الأصوات وأنكرها صوت الحمير.

(١) سورة لقمان: الآية: (١٩).

* والغض من الصوت فيه أدب وثقة بالنفس واطمئنان إلى صدق الحديث وقوله. وما يزعق أو يغلظ فى الخطاب إلا سيىء الأدب، أو شاكٌ فى قيمة قوله، أو قيمة شخصه؛ يحاول إخفاء هذا الشك بالحدة والغلظة والزعاق!

باقة عطرة
من حكمه ومواعظه

وأخيراً نختم حديثنا عن هذا العبد الصالح (الذى خلَّد الله ذكره فى القرآن) بباقة عطرة من حكمه ومواعظه.

* قال لقمان عليه السلام لابنه: يا بنى إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيه تقوى الله عز وجل، وحشوها الإيمان بالله تعالى، وشراعها التوكل على الله عز وجل، لعلك تنجو.

* **وقال لقمان لابنه:** يا بنى بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعًا، ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعًا.

* **وعن عبيد بن عمير قال:** قال لقمان لابنه وهو يعظه: «يا بنى اختر المجالس على عينك فإذا رأيت المجلس يُذكر فيه الله عز وجل، فاجلس معهم فإنك إن تك عالمًا ينفعك علمك، وإن تك غبيًّا يعلموك، وإن يطلع الله عليهم برحمة تصيبك معهم. يا بنى لا تجلس فى المجلس الذى لا يُذكر الله فيه فإنك إن تك عالمًا لا ينفعك علمك، وإن تك غبيًّا يزيدوك غباءً، وإن يطلع الله إليهم بعد ذلك بسخط يصيبك معهم».

* **وعن مالك بن دينار قال.** قال لقمان لابنه: «يا بنى اتخذ طاعة الله تجارة تأتك الأرباح من غير تجارة».

* وهكذا يجب على كل من استرعاه الله رعية أن يتعهدهم بالتربية والرعاية والنُصح فقد قال (جل وعلا):

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾(١) .

وقال ﷺ : «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته فالإمام راعٍ وهومسؤول عن رعيته والرجل راعٍ فى أهله وهو مسؤول عن رعيته...».

* فأسأل الله (جل وعلا) أن يبارك فى أولاد المسلمين وأن يجعلهم من عباده الصالحين وأن يصنعهم على عينه ويستعملهم لنُصرة دينه.

* * *

(١) سورة التحريم: الآية: (٦).

الدروس المستفادة:

(١) أن قيمة العبد لا تتوقف على اللون والحسب والنسب وإنما قيمة العبد بإيمانه وتقواه ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[١] فلقد كان لقمان أسودًا ومع ذلك آتاه الله الحكمة وخلَّد ذكره في القرآن.

(٢) أن من صفات المسلم أنه صادق ووفي وأنه يغض بصره عن الحرام ويكفُّ لسانه عن الحرام ويحفظ جيرانه ويكرم ضيوفه ويحب الناس من حوله ويكرمهم.

(٣) أن المسلم لابد أن يربي أولاده على الإيمان والتقوى... فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[٢] وقال النبي ﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته».

ولقد رأينا كيف أن لقمان أوصى ابنه وصاياه الغالية التي ذكرها الله (جل وعلا) في سورة لقمان.

---

(١) سورة الحجرات: الآية: (١٣).
(٢) سورة التحريم: الآية: (٦).

قصة قوم سبأ

كان يا ما كان.

كان هناك رجل في بلاد اليمن اسمه (سبأ)، وكان أول من مَلَك اليمن.. وكان اسمه الحقيقي «عبد بن يشجُب»، وسُمِّي «سبأ» لأنه أول ملك من العرب سبى أعداءه.

* وكانت بلاد سبأ في نِعم كثيرة غامرة، فقد أعطاهم الله جل وعلا من كل شيء وأغدق عليهم من كل النعم.

فأقاموا حضارة متقدمة من أعظم الحضارات في هذا الوقت.

وكان لهم وادٍ عظيم تأتيه السيول الكثيرة من كل مكان فأنشأوا سدًا منيعًا عند مدينة (مأرب).. سُمِّي

ذلك السد بسدِّ مأرب وكان ذلك السد بين جبلين.

وأخذوا يتحكمون في مياه السد في ري أراضيهم وبساتينهم التي كانت عن يمين ذلك الوادي وشماله حتى تمكنوا من إنشاء الجنات والبساتين التي امتلأت عن آخرها بالأشجار والثمار والفواكه والخضروات حتى كانت المرأة تضع مكتل على رأسها وتمر وسط تلك الجنات فيمتلئ مكتلها بالفاكهة والخضروات دون أن تقطف شيئًا من على الأشجار وذلك لكثرتها ونُضجها.

ولم يكن ببلدهم شيء من الذباب أو البعوض أو البراغيث، أو شيء من الهوام، وذلك لاعتدال الهواء، وصحة المزاج وعناية الله بهم ليعبدوه ويوحدوه.

وفوق كل ذلك فقد وعدهم الله جل وعلا إن شكروه أن يغفر لهم ويرحمهم.. ولهذا قال: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾(١).

---

(١) سورة سبأ: الآية: (١٥).

* **ومن النعم التى أنعم الله بها عليهم:** أن الله لما علم احتياجهم فى تجارتهم ومكاسبهم إلى أن يذهبوا إلى الأرض المباركة هيأ الله لهم الأسباب التى تجعلهم يسافرون إليها فى أمن وأمان ويُسر وسهولة.

- **والأرض المباركة:** قيل: هى أرض الشام، وقيل: هى أرض صنعاء.

فكانت القرى متواصلة بحيث يسافر الرجل فلا يشعر بوحشة ولا خوف لأن القرى كلها كانت بجوار بعضها من كثرة أشجارها وزروعها وثمارها بحيث يسافر المسافر فلا يحتاج إلى أن يحمل الماء أو الطعام فإنه لا ينزل فى مكان إلا وجد الطعام والشراب والثمرات وكان يَقيل فى قرية ويبيت فى أخرى ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (١٨) فَقَالُوا رَبَّنَا

باعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[1].

* فأعرضوا عن المُنعم، وعن عبادته، وبطروا النعمة، وملُّوها، حتى إنهم طلبوا وتمنوا، أن تتباعد أسفارهم بين تلك القرى التي كان السير فيها متيسرًا.

* «وظلموا أنفسهم» بكفرهم بالله وبنعمته، فعاقبهم الله تعالى بهذه النعمة، التي أطغتهم، فأبادها عليهم.

وكان من ملوكهم «بلقيس» التي جرت لها قصة مع نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام، انتهت بإسلامها لله، ودخولها في دينه، كما أشارت إلى ذلك سورة «النمل».

لكن أهل «سبأ» بعد موت بلقيس، كفروا بالله،

(١) سورة سبأ: الآيتان: (١٨-١٩).

وأشركوا به، وبطروا وبغوا وطغوا. فحقَّت عليهم سنَّة الله، وأوقع الله بهم العذاب. حيث دمَّر الله «سد مأرب» وأرسل عليهم ما كان وراءه من ماء، فكان سيلاً عظيمًا مدمرًا، سمَّاه القرآن «سيل العَرِم». أغرق الجنات والبساتين، وأهلك الأشجار والثمار، وأزال الله عنهم تلك النعم، بسبب ما كسبوا.

* * *

كيف كان إهلاكهم؟

أما عن تفاصيل إهلاكهم فقد ذكرها المؤرخون فقالوا: إن سبب تدمير السد إن الله عز وجل لما رأى أن أهل سبأ قد كفروا به وبغوا ولم يشكروه على نعمه، سلط عليهم الفأر وأخذت تنخر فى السد.

فقام أهل سبأ وجعلوا على كل مكان من السد هرًا (أى: قطًا) للحراسة.

فلما جاء موعد الهلاك تغلبت الفئران على القطط ونخروا فى السد ليهدموه.

فشاهد ذلك أحد زعمائهم وهو (عمرو بن عامر) فأيقن بقرب الهلاك.

فجلس يفكر فى وسيلة يستطيع من خلالها أن يحصل على ثمن أراضيه وأملاكه فدعا ابن أخيه وقال له: إذا جلست الليلة فى نادى القوم فاتتنى وقل لى أمام الناس: لماذا لا تعطينى مالى؟ فإنى

سأقول لك: ليس عندى مال لك، ولا ترك أبوك شيئًا، وإنك لكاذب. فإذا أنا كذّبتك فكذّبنى، واردد علىَّ ما قلت لك، فإذا فعلتَ ذلك فإنّى سأشتمك، فاشتمنى. فإذا شتمتنى لطمتك، فإذا أنا لطمتك فقم إلىَّ فالطمنى.

فقال له ابن أخيه: ما كنتُ لأستقبلك يا عم بذلك! فقال له: بلى افعل فإني أريد بها صلاحَك وصلاح أهل بيتك، فقال الفتى: نعم.

فجاء فقال ما أمره به عمه حتى لطمه، فتناوله الفتى فلطمه! فقال الرجل: يا بنى فلان: ألطَم فيكم؟. . . مستحيل أن أسكن فى بلد لطمنى فيه فلان أبدًا. من يشترى منى دورى وأرضى وعقارى. فلما عرفوا منه الجد اشتروا منه كل ما يملك.

ولما صار المال معه وجهّز نفسه وأهله للخروج والسفر، نادى قومه وقال لهم: أى قوم: إن العذاب قد

أظلكم، وزوال أمركم قد اقترب.

فمن أراد منكم دارًا جديدًا، وجملاً شديدًا، وسفرًا، فليلحق بعُمان. ومن أراد منكم الخمر والخمير والعصير فليلحق ببُصرى.

ومن أراد منكم النخل والنخيل فليلحق بيثرب (المدينة المنورة فيما بعد) فخرج بعضهم وتفرقوا فى البلاد.. فمنهم من ذهب إلى عُمان ومنهم من ذهب إلى بُصرى ومنهم من ذهب إلى يثرب (وهم الأوس والخزرج).

أما «سبأ» فإن الله أرسل عليها «السيل» حيث تمكنت الفئران من هدم «سد مأرب» فاجتاحت مياهُ «سيل العرم» ما يملكونه من جنات، وأتلفت أشجارهم ومزروعاتهم.

وبادت تلك الحضارة وزالت وانقرضت، بسبب كفرهم وبطرهم، ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا

عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [1].

فبدلاً من تلك الجنات والثمرات والفواكه بدلنا تلك النعمة إلى رديء الثمار والأشجار، فقال تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾.

والخمط: هو الثمر المر، وقيل: هو البشع الذى لا يؤكل، والأثل: شجر يشبه الطرفاء من شجر البادية لا ثمر له.

والسدر: هو شجر النبق وكان أجود هذه الأشجار.

* فلما أصابهم ما أصابهم، تفرقوا وتمزقوا، بعد ما كانوا مجتمعين، وجعلهم الله أحاديث يتحدث بهم الناس فى مجالسهم، وكان يُضرب بهم المثل

---

(١) سورة سبأ: الآيتان: (١٦-١٧).

فيقال: «تفرقوا أيدي سبأ» فكل أحد يتحدث بما جرى بهم.

ولكن لا ينتفع بالعبرة فيهم إلا من قال الله فيهم: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾[1] صبَّار على المكاره والشدائد، يتحملها لوجه الله، ولا يتسخطها بل يصبر عليها، شكور لنعمة الله تعالى يُقر بها، ويعترف، ويثني على من أولاها، ويصرفها في طاعته.

ولقد ذكر الله جل وعلا قصة سبأ في سورة سماها بسورة سبأ، فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (15) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (16) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (17) وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا

---

(1) سورة سبأ: الآية: (19).

السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (١٨) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (١٩) وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾(١).

❋ ❋ ❋

(١) سورة سبأ: الآيات: (١٥-٢١).

الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم إذا أنعم الله عليه بنعمة فلا بد أن يشكر الله على تلك النعمة فإن الله يحب العبد الوفى الذى لا ينسى فضل ربه أبداً.

(٢) أن شكر النعمة يكون بأن يشكر العبد ربه بقلبه ولسانه وجوارحه وأن يستعمل تلك النعمة فى طاعته.

(٣) أن العبد لا يسأل الله زوال النعمة فقد تصادف ساعة إجابة فتزول النعمة.

(٤) أن من كفر بنعم الله فإن الله يعاقبه بزوال النعم.

(٥) أن عاقبة الكفر نزول العذاب فى الدنيا والتعرض لعذاب الله فى الآخرة.



أصحاب القرية

كان ياما كان.

كان هناك في إحدى القرى ملك ظالم كافر بالله (جل وعلا).

قد جعل نفسه إلهًا من دون الله وأمر شعبه أن يعبدوه وأن يتخذوه إلهًا ففعلوا.

وكان هذا الملك له جنود وأعوان، ينتشرون بين الرعية فإذا علموا أن هناك رجلاً آمن بالله (جل وعلا) أخبروا الملك فأمر بسجنه، ثم قتله أمام الناس ليكون عِبرة لمن أراد أن يؤمن بالله (جل وعلا).

وظل الناس يعيشون في هذا الجو المرعب لا يستطيع واحد منهم أن يُعلن إيمانه بالله وإلا فسوف يكون مصيره السجن، ثم القتل.

* وفى يوم من الأيام أراد الله (جل وعلا) الخير الكبير لأهل هذه القرية، فأرسل إليهم رسولين كريمين هما: بولس ويوحنا (عليهما السلام) وكان لا بد أن يبحثا عن طريقة للدخول على أهل هذه القرية من أجل دعوتهم إلى الله دون أن يصطدما مع الملك من أول لحظة.

ودخل بولس ويوحنا (عليهما السلام) إلى هذه القرية لتبدأ رحلة الدعوة إلى الله (جل وعلا) فى هذه القرية التى كان أهلها يعبدون ملكها من دون الله.

وبينما هما يسيران فى شوارع تلك القرية؛ إذ لقيهما رجل يرعى الغنم يقال له: «حبيب النجار» فجلسا معه وأخذا يكلمانه عن الله (جل وعلا) وعظمته وقدرته وآياته فى الكون وأخبراه أن الله خلق الناس ليعبدوه ويوحدوه.. فآمن حبيب النجار.

* وبينما هو يسير معهما؛ إذ أخبراه أن معجزتهما هي شفاء المرضى وكان حبيب النجار عنده ابن مصاب بالجنون، فقام بولس ويوحنا (عليهما السلام) فمسحاه، فقام صحيحًا معافى من الجنون.

* علم كثير من أهل القرية بأن ابن حبيب النجار قد شُفى على يد هذين الرجلين ولم يعلم الناس أنهما من الأنبياء.

* وانتشر خبرهما.. وأصبح الناس يأتون إليهما من أجل التداوى والشفاء... وقد جعلهما الله (جل وعلا) سببًا فى شفاء كثير من الناس.

* وكانا إذا جاءهما مريض يريد الشفاء يعرضا عليه الإيمان بالله بعد أن يعالجاه (بفضل الله جل وعلا).

فسمع بهما هذا الملك الظالم بعد أن وصله خبرهما عن طريق العيون والجواسيس وعلم أنهما يدعوان

الناس إلى عبادة الله (جل وعلا) فأرسل إليهما فجيء بهما ووقفا أمام الملك.

وطُلب منهما أن يسجدا للملك كما كان يفعل الناس أمام هذا الملك الظالم فرفضا أن يسجدا.

فقال الملك: لماذا لم تسجدا لي؟

فقال بولس ويوحنا (عليهما السلام): لأننا لا نسجد إلا لله (جل وعلا).

فقال الملك: فأنا الله ولا يوجد في الكون إله غيري.

فقالا له: بل أنت عبدٌ ضعيف... والله هو فاطر السماوات والأرض.

فصرخ الملك في الجنود وقال لهم: ضعوهما في السجن إلى أن يحين موعد قتلهما.

ودخل بولس ويوحنا (عليهما السلام) السجن وانشغلا أيضًا في السجن بالدعوة إلى الله (جل وعلا).

* وعلم أهل القـرية بخبر الرسـولين ومع ذلك لم يتحركوا؛ لأنهم رضـوا بالكفر وظلوا يعبدون الملك من دون الله (جل وعلا).

* وفى تلك الأثناء أرسل الله إلى أهل هذه الـقرية رسولاً ثالثًا وهو شمعون (عليه السلام).

جاء شـمعون (عليـه السلام) ودخل القرية ليـدعو الناس إلى عـبادة الله وتوحيـده فلقيـه حبيـب النجار الذى آمن على يد بولس ويوحنا (عليهما السلام) فقال لشمـعون (عليـه السلام): احذر من أهـل هذه القرية فإن شيـمتهم الغدر والخيـانة.. واحذر من الملك فإنه ظالم كافر.

فـدخل شمـعون إلى القـرية على أنه أحد الأغنيـاء حتى استطاع أن يتـعرف على بعض الوزراء الذين كانوا سبـبًا فى أن يتعـرف على الملك وأن يجلس معـه حتى صار واحدًا من جُلسـائه دون أن يعرف الملك أنه رسول

من عند الله (جل وعلا).

وكان الملك يحبه ويحكى له أدقَّ أسراره وتفاصيل حياته.

وفى يوم من الأيام حكى له الملك قصة بولس ويوحنا (عليهما السلام) وكيف أنه لما علم أنهما يدعوان الناس إلى عبادة الله وضعهما فى السجن إلى أن يأمر بقتلهما.

فقال له شمعون (عليه السلام): ما رأيك فى أن تأتى بهذين الرجلين وأناظرهما أمامك لنعلم إن كانا صادقين أو كاذبين.

فأمر الملك الحرس بإحضارهما... فجىء بهما ووقفا أمام الملك وأمام شمعون (عليه السلام).

فسألهما شمعون وكأنه لا يعرفهما: سمعت أنكما تشفيان المرضى.

فقالا له: نحن لا نشفى أحداً ولكن الله هو الشافى.

فقال شمعون: أنتما تعبدان إلهًا غير هذا الملك.

فقالا له: نعم.. نعبد الله فاطر السماوات والأرض.

فقال شمعون: ما برهانكما على دينكما؟ قالا: نبرئ الأكمه والأبرص.

فجاؤوا لهما بغلام أكمه، ممسوح العينين، مَوضعُ عينيه كالجبهة. فدعوَا الله، فانشق موضعُ البصر، وعاد الغلام بصيرًا.

فعجب الملك مما رأى.

وقال: ها هُهنا غلام مات منذ سبعة أيام ولم أدفنْه حتى يجيء أبوه، فهل يحييه ربكما؟ قالا: نعم.

فدعوَا الله علانية، ودعا شمعون ربه سرًا، فأحيا الله الميت، وقام يخاطب الناس وقال لهم: إنى مِتُّ منذ سبعة أيام، ووُجدتُ مشركًا، وأُدخلتُ فى سبعة من أودية النار، فأحذركم ما أنتم فيه، فآمنوا بالله (جل وعلا).

* فأراد شمعون (عليه السلام) أن يسخر من الملك وأن يبين له بالأدلة أنه على ضلال مبين؛ لأنه يزعم أنه إله من دون الله.

فقال شمعون لهما: لقد رأيت ما صنعتما ولكن الملك يقول إنه إله وأنه يشفى المرضى ويرد للأعمى بصره.

فأمر شمعون فجيء برجل أعمى وطلب شمعون من الملك أن يرد عليه بصره، فوقف الملك حائرًا عاجزًا لا يدرى، ماذا يصنع.

فقام بولس ويوحنا (عليهما السلام) وقالا للرجل: عُدْ بصيرًا بإذن الله فعاد بصيرًا.

وهنا قال شمعون للملك: أيها الملك.. لقد ظهر عجزك وفقرك ورأيت كيف أن الله أكرمنا بهذه المعجزات لتعلم أن الله على كل شيء قدير... فنحن الثلاثة رسل من عند الله، فآمِن بالله فهو خير لك فى

الدنيا والآخرة.

غضب الملك غضبًا شديدًا ولم يؤمن بل ازداد كفرًا وعنادًا.

وأمر بوضع الرسل الثلاثة فى السجن وأعلن أنه سيتم قتلهم غدًا أمام قصر الملك.

* وتجمَّع أهل القرية فى اليوم التالى ليشهدوا قتل الرسل الثلاثة أمام قصر الملك.

فنادى عليهم الرسل: أيها الناس.. آمنوا بالله (جل وعلا) فنحن رسل الله إليكم جئنا لندعوكم إلى عبادة الله وتوحيده.

فقال أهل القرية: نحن نتشاءم منكم ومن دعوتكم وسوف نقتلكم ونرجمكم بالحجارة.

فقال الرسل: إنكم قوم مسرفون... فقد كفرتم بالله وعبدتم رجلاً ضعيفًا، لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا.. لقد أسرفتم فى الكفر.

فأخذ أهل القرية يصرخون ويطالبون الملك بقتل الرسل من أجل أن يرضى الملك عنهم ويعلم أنهم يؤيدونه فى الكفر.

* وفى وسط هذا الموقف العصيب يأتى رجل من أقصا المدينة (وهو حبيب النجار).. جاء يسعى وينادى على أهل القرية ويقول: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾[1].

ثم نظر إلى الرسل وقال لهم: ﴿إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾[2] أى: اسمعوا ما أقول لتشهدوا لى يوم القيامة أنى آمنت بالله وحده واتبعتكم فلما قال ذلك للرسل قام عليه قومه فقتلوه.

---

(١) سورة يس: الآيات: (٢٠-٢٤).
(٢) سورة يس: الآية: (٢٥).

قيل: وطئوا عليه بأرجلهم، حتى خرجت أمعاؤه من دُبره حتى مات.

وقيل: إنهم كانوا يرجمونه بالحجارة، وهو يقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

فقتلوه وقتلوا الرسل الثلاثة.

وقيل: إنهم لما أرادوا قتل حبيب النجار، رفعه الله إلى السماء، وأدخله إلى الجنة.

﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾[1] أي: فلما مات قال الله له: ادخل الجنة مع الشهداء الأبرار، جزاءً على صدق إيمانك وفوزك بالشهادة.

﴿قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾[2] أي: فلما دخل الجنة وعاين ما أكرمه الله بها لإيمانه وصبره تمنى أن يعلم قومه بحاله؛ ليعلموا

---

(١) سورة يس: الآية: (٢٦).

(٢) سورة يس: الآيتان: (٢٦، ٢٧).

حُسن مآله . . . أى : يا ليتهم يعلمون بالسبب الذى من أجله غفر لى ذنوبى، وأكرمنى بدخول جنات النعيم .

أما أهل القرية، فقد جاءهم جبريل بالصيحة، فأهلكهم جميعًا .

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ (٢٨) إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾[١] .

يخبر تعالى أنه انتقم من قومه بعد قتلهم إياه غضبًا منه تبارك وتعالى عليهم؛ لأنهم كذَّبوا رسله وقتلوا وليه ويذكر عز وجل أنه ما أنزل عليهم من أجل إهلاكهم جندًا من الملائكة بل الأمر كان أيسر من ذلك .

﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ أى : فصاح عليهم - جبريل عليه السلام - صيحة واحدة ﴿ فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ عن آخرهم لم تبق بهم روح تتردد فى جسد .

(١) سورة يس : الآيتان : (٢٨، ٢٩).

* قال المفسرون: بعث الله إليهم جبريل عليه السلام فأخذ بعضادتى الباب الذى لبلدهم، ثم صاح بهم صيحة واحدة فإذا هم خامدون، أى: قد أخمدت أصواتهم، وسكنت حركاتهم، ولم يبق منهم عين تطرف.

يا حسرة على العباد

قال تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[1].

أى: يا حسرتهم على أنفسهم وندامتهم يوم القيامة إذا عاينوا العذاب كيف ضيعوا أمر الله تعالى وفرطوا فى جنبه ولكن لا تنفعهم إذ ذاك الحسرات فسوف يلقون العذاب الأليم؛ لأنهم: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أى: يكذبونه ويسخرون منه ويجحدون ما أرسل به من الحق.

---

(١) سورة يس: الآية: (٣٠).

ثم قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[1] أي: ألم يتعظوا بمن أهلك قبلهم من المكذبين بالرسل كيف لم يكن لهم إلى الدنيا رجعة، فكيف هم يعودون. . .؟!

﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[2] وإن جميع الأمم الماضية والآتية ستحضر للحساب بين يدى الله جل وعلا فيجازيهم بأعمالهم خيرها وشرها.

* وهكذا تكون نهاية كل من كفر بالله (جل وعلا).

* وفى ختام القصة تعالوا بنا لنتعايش مع القصة كلها من خلال آيات القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ (١٤) قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن

(١) سورة يس: الآية: (٣١).
(٢) سورة يس: الآية: (٣٢).

شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ (١٥) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (١٧) قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨) قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (١٩) وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٢٤) إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٥) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧) وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ (٢٨) إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (٢٩) يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٠) أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ (٣١) وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾(١).

---

(١) سورة يس: الآيات (١٣-٣٢).

الدروس المستفادة :

(١) أن الله إذا أراد خيرًا بأهل قرية أرسل إليه من يدعوهم إلى الله (جل وعلا) ليعبدوه ويوحدوه.

(٢) أن الدعوة الرحيمة تعطى ثمرتها فى أسرع وقت.

(٣) أن الله (عز وجل) يؤيد رسله بالمعجزات من أجل أن يعرف الناس قدرهم ويستجيبوا لدعوتهم.

(٤) أن الداعية الذكى هو الذى يعرف كيف يدخل إلى قلوب الناس من أجل أن يأخذ بأيديهم إلى مرضاة الله (جل وعلا).

(٥) أن الداعية قد يُبتلى بسبب دعوته، فعليه أن يصبر ويحتسب.

(٦) أن المسلم لابد أن يقول كلمة الحق وأن ينصر

أخاه المسلم ولا يتركه لمن يظلمه... فلقد رأينا كيف أن حبيبًا النجار جاء من أقصا المدينة لنُصرة المرسلين.

(٧) أن عاقبة الأمم الكافرة وخيمة في الدنيا والآخرة.

❋ ❋ ❋

مؤمن آل فرعون

كان ياما كان.

كان نبي الله موسى (عليه السلام) يدعو الناس جميعًا إلى توحيد الله وعبادته.. وجاءه الأمر من الله (جل وعلا) أن يذهب إلى فرعون ليدعوه إلى توحيد الله وعبادته فرفض فرعون؛ لأنه كان يعتبر نفسه إلهًا من دون الله.

ولم يكتفِ فرعون بذلك بل قرر أن يقتل نبي الله موسى (عليه السلام).

* فلما أصر فرعون على قتل موسى (عليه السلام) ما كان من نبي الله موسى إلا أن التجأ إلى الله (جل وعلا) ليحميه من بطش فرعون. ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾[1].

---

(1) سورة غافر: الآية: (٢٧).

* وبينما كان فرعون يجلس في ديوانه مع الملأ والحاشية يدبرون لقتل موسى (عليه السلام) وإذا بالحق (جل وعلا) يُقيض لنبيه موسى (عليه السلام) رجلاً صالحًا مؤمنًا يكتم إيمانه فدافع عن موسى أشد الدفاع فقال في اجتماعه مع فرعون وحاشيته:

* إن موسى لم يقل أكثر من أن الله ربه، وجاء بعد ذلك بالأدلة الواضحة على كونه رسولاً، وهناك احتمالان لا ثالث لهما: أن يكون موسى كاذبًا، أو يكون صادقًا، فإذا كان كاذبًا ﴿فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾(١)، وهو لم يقل ولم يفعل ما يستوجب قتله، وإذا كان صادقًا وقتلناه، فما هو الضمان لنجاتنا من العذاب الذي يعدنا به؟

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ

---

(١) سورة غافر: الآية: (٢٨).

كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِى يَعِدُكُمْ﴾[1] .

وهذا الرجل هو ابن عم فرعون، وكان يكتم إيمانه من قومه خوفًا منهم على نفسه.

* والمقصود أن هذا الرجل كان يكتم إيمانه، فلما همَّ فرعون - لعنه الله - بقتل موسى عليه السلام، وعزم على ذلك وشاور ملأه فيه خاف هذا المؤمن على موسى، فتلطَّف فى ردِّ فرعون بكلام جمع فيه الترغيب والترهيب.

* ثم وضح لهم هذا الرجل المؤمن أنهم اليوم فى مركز الحكم والقوة ولكن إذا كان موسى نبيًّا فقتلتموه فمن ينصركم من عذاب الله وبأسه وعقابه إذا نزل بكم فقد يزول مُلككم إذا قتلتم موسى فإنه ما من دولة تعرضت للدين إلا كان ذلك سببًا فى زوال مُلكهم.

(١) سورة غافر: الآية: (٢٨).

* كانت كلمات هذا الرجل المؤمن مُقنعة جداً.. وخصوصاً أنه لا أحد يعلم بإيمانه فهو فى الظاهر يتكلم هذا الكلام خوفًا على فرعون ومُلكه.. ولكنه فى الحقيقة رجل مؤمن يدافع عن نبى الله موسى (عليه السلام).

وها هو يخوفهم بيوم الأحزاب

وما زال الرجل المؤمن يحذرهم من بأس الله تعالى فى الدنيا والآخرة: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾(١).

* ثم يطرق على قلوبهم طرقة أخرى، وهو يُذكرهم بيوم آخر من أيام الله. يوم القيامة. يوم التنادى: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ

(١) سورة غافر: الآيتان: (٣٠، ٣١).

مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾(١) .

وفي ذلك اليوم ينادى الملائكة الذين يحشرون الناس للموقف . . وينادى أصحاب الأعراف على أصحاب الجنة وأصحاب النار . . وينادى أصحاب الجنة أصحاب النار، وأصحاب النار أصحاب الجنة . . فالتنادى واقع في صور شتَّى . وتسميته ﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾ تلقى عليه ظل التصايح وتناوح الأصوات من هنا ومن هناك، وتصور يوم زحام وخصام . . وتتفق كذلك مع قول الرجل المؤمن .

﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾(٢) . . وقد يكون ذلك عند فرارهم من هول جهنم، أو محاولتهم الفرار . . ولا عاصم يومئذٍ ولات حين فرار .

وصورة الفزع والفرار هى أولى الصور هنا

---

(١) سورة غافر: الآيتان: (٣٢ ، ٣٣).

(٢) سورة غافر: الآية: (٣٣).

للمستكبرين المتجبرين في الأرض، أصحاب الجاه والسلطان!

﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾(١) . . ولعل فيها إشارة خفية إلى قولة فرعون: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾(٢) . . وتلميحًا بأن الهدى هدى الله . . وأن من أضله الله فلا هادي له والله يعلم من حال الناس وحقيقتهم من يستحق الهدى ومن يستحق الضلال(٣).

* * *

(١) سورة غافر: الآية: (٣٣).
(٢) سورة غافر: الآية: (٢٩).
(٣) الظلال (٥/ ٣٠٨٠).

وكذلك زين لفرعون سوء عمله

وعلى الرغم من هذه الجولة الضخمة التي أخذ الرجل المؤمن قلوبهم بها؛ فقد ظل فرعون في ضلاله، مُصراً على التنكر للحق؛ ولكنه تظاهر بأنه آخذ في التحقق من دعوى موسى، ويبدو أن منطق الرجل المؤمن وحجته كانت من شدة الوقع بحيث لم يستطع فرعون ومن معه تجاهلها. فاتخذ فرعون لنفسه مهرباً جديداً: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾[1] يا هامان ابن لي بناءً عالياً لعلي أبلغ به أسباب السماوات، لأنظر وأبحث عن إله موسى هناك ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾.. هكذا يموه فرعون

(١) سورة غافر: الآيتان: (٣٦، ٣٧).

الطاغية ويحاور ويداور، كى لا يواجه الحق جهرة، ولا يعترف بدعوة الوحدانية التى تهز عرشه، وتهدد الأساطير التى قام عليها ملكه.

وإن الآخرة هى دار القرار

وأمام هذه المراوغة، وهذا الاستهتار، وهذا الإصرار ألقى الرجل المؤمن كلمته الأخيرة مدوية صريحة، بعدما دعا القوم إلى اتباعه فى الطريق إلى الله، وهو طريق الرشاد. وكشف لهم عن قيمة هذه الحياة الزائلة، وشوَّقهم إلى نعيم الحياة الباقية، وحذرهم عذاب الآخرة، وبيَّن لهم ما فى عقيدة الشرك من زيف ومن بُطلان[1].

* قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِى آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِىَ دَارُ

(١) الظلال (٥/ ٣٠٨٢).

الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(١).

ويا قوم ما لى أدعوكم إلى النجاة وتدعوننى إلى النار

* ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾(٢)

أي: ما لى أدعوكم إلى الإيمان الموصل إلى الجنان، وتدعوننى إلى الكفر الموصل إلى النار؟ والاستفهام للتعجب كأنه يقول: أنا أتعجب من حالكم هذه، أدعوكم إلى النجاة والخير، وتدعوننى إلى النار والشر؟ ثم وضح ذلك بقوله: ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾(٣) أي: تدعوننى للكفر بالله، وأن أعبد

---

(١) سورة غافر: الآيات: (٣٨ - ٤٠).

(٢) سورة غافر: الآية: (٤١).

(٣) سورة غافر: الآية: (٤٢).

ما ليس لى علمٌ بربوبيته، وما ليس بإله كفرعون ﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾(١)، أى: وأنا أدعوكم إلى عبادة الله الواحد الأحد، العزيز الذى لا يُغلب، الغفار لذنوب العباد ﴿لا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾(٢) أى: حقًّا أنما تدعوننى لعبادته ﴿لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ﴾(٣) أى: لا يصلح أن يُعبد لأنه لا يستجيب لنداء داعيه، ولا يقدر على تفريج كُربته لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ﴾(٤) أى: وأن مرجعنا إلى الله وحده فيجازى كلاًّ بعمله ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾(٥) أى: وأن المسرفين فى الضلال والطغيان سيُخلَّدون فى النار.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة غافر: الآية: (٤٢).

(٢)، (٣)، (٤)، (٥) سورة غافر: الآية: (٤٣).

فستذكرون ما أقول لكم

* ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾(١) أي: فستذكرون صدق كلامي عندما يحل بكم العذاب، . . . وهو تهديد ووعيد ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾(٢) أي: أتوكل على الله، وأسلم أمري إليه . . وهذا يدل على أنهم هددوه وأرادوا قتله ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾(٣) أي: مُطلع على أعمالهم، لا تخفى عليه خافية من أحوالهم ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾(٤) أي: فنجاه الله من شدائد مكرهم، ومن أنواع العذاب الذي أرادوا إلحاقه به ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾(٥) أي: ونزل بفرعون وجماعته أسوأ العذاب، وهو الغرق في الدنيا، والحرق في الآخرة، ثم فسَّره بقوله: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾(٦) أي: النار يُحرقون بها صباحًا ومساءً . .

---

(١)، (٢)، (٣) سورة غافر: الآية: (٤٤).
(٤)، (٥) سورة غافر: الآية: (٤٥).
(٦) سورة غافر: الآية: (٤٦).

والمراد بالنار هنا نـار القبـر وعـذابهم فى القبـور بدليل قوله بعده ﴿ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾[(١)] أى: ويوم القيامـة يقال للملائكة: أدخلوا فـرعون وقـومه نار جـهنم التى هى أشد من عـذاب الدنيا[(٢)].

❋ ❋ ❋

(١) سورة غافر: الآية: (٤٦).

(٢) كتاب (قصص الأنبياء للأطفال) - محمود المصرى (ص: ٤٣٦ - ٤٤٤).

الدروس المستفادة :

(١) أن المسلم لابد أن يحقق العبودية لله (جل وعلا) وأن يدعو الناس من حوله إلى توحيد الله وعبادته .

(٢) أن المؤمن لا بد أن يقول كلمة الحق ولا يخشى في الله لومة لائم . . وقد رأينا مؤمن آل فرعون كيف بذل النصيحة خالصة لوجه الله ولم يخشَ من بطش فرعون وجبروته .

(٣) أنه لا بد للظالم من نهاية تجعله عبرة لمن يعتبر . . ولقد رأينا كيف كان هلاك فرعون عبرة إلى يوم القيامة لكل من بغى وتكبر وادَّعى أنه إله من دون الله .

(٤) أن الحياة الحقيقية وأن النعيم الحقيقي لن يكون في الدنيا وإنما يكون في الجنة .

* * *

قصة برصيصا العابد

كان ياما كان..

كان فى بنى إسرائيل رجل عابد اسمه برصيصا.

وكان يُضرب به المثل فى الزهد والورع والعبادة فقد فرغ نفسه للعبادة فى صومعته.

* وكان الناس يحبونه ويثقون فيه ثقة عمياء.

وفى يوم من الأيام كان هناك ثلاثة من الإخوة أرادوا أن يخرجوا فى رحلة تجارية طويلة وأرادوا أن يتركوا أختهم فى مكان أمين.

فأخذوا يتشاورون فى هذه المسألة الخطيرة إلى أن هداهم تفكيرهم إلى أن يتركوا أختهم عند هذا الرجل العابد الزاهد برصيصا فهو الوحيد الذى يؤتَمن على أختهم التى بلغت سن الزواج.

وذهب الثلاثة إلى صومعة برصيصا فعرضوا عليه الأمر، فرفض أولاً بحجة أنه رجل عابد لا يملك الوقت لرعاية أختهم، وأنها سوف تشغله عن عبادته .

والشيء الذى لم يعرفه الإخوة أن برصيصا رَجلٌ إيمانه ضعيف .. . ذلك أنه اغتّر بإيمانه وظنّ أنه لا قدرة للشيطان عليه، ونسي المغرور أن أول درجات سلم الصعود إلى النهاية هو الغرور حيث يفتح قلبه للشيطان .

واستطاع الشيطان أن يوسوس (لبرصيصا) فقال:

- إنه عمل خير لهؤلاء المساكين، فوافِق على طلبهم، وانشغل بصلاتك وعبادتك بعيدًا عنها .

فوافق المغرور على طلب (إبليس) واشترط على الإخوة أن يبنوا لأختهم كُوخًا قريبًا من صومعته لتسكن أختهم فيه فلا يراها ولا تراه، فوافق الإخوة .

وهكذا دقّ برصيصا المسمار الأول فى نعشه دون أن يدرى.

كان برصيصا يحمل الطعام إلى كوخ الفتاة كل يوم ولكن يتركه فى منتصف الطريق ثم يعود، وتأتى هى فتأخذ طعامها كل يومٍ، ولا زال هذا فعله كل يوم.

وللشيطان فى حيله ومكره أسلوب لا يتغير فهو يفتح أبواب الخير من أجل باب واحدٍ من الشر.

لقد وسوس إلى برصيصا فقال له:

- مسكينة تلك الفتاة، تضع لها الطعام فى منتصف الطريق وتعود، فلعل كلبًا أو قطًا، أو أحدًا آخر من الناس يأخذ الطعام فتبيت وهى جائعة دون أن تدرى.

وفكر (برصيصا) فى أمر هذه الفتاة وانشغل عن صلاته وعبادته فى تلك الليلة حتى قرر أن يصل إلى باب الكوخ ويضع الطعام على الباب ثم يعود حتى لا ينظر إليها ولا تنظر إليه.

وقام في الصباح فحمل الطعام إلى باب الكوخ ثم طرق الباب وانصرف إلى صومعته يعبد الله ولا زال شيطانه معه يوسوس له، ويدبر له أمرًا آخر، فراح يصوِّر هذه الفتاة في خياله، فيراها ويتخيلها جميلة صغيرة، وهو الرجل الذي انعزل عن الناس من أجل العبادة زمنًا طويلاً.

وسرعان ما استغفر ربه وعاد إلى عبادته لكن بقلبٍ آخر غير ذلك القلب الذي كان يعرفه، فلقد شاركته الفتاة قلبه دون أن يراها أو تراه.

وقام برصيصا في يومه التالي فوضع الطعام ثم انصرف، ودخل في عبادته وصلاته، ولكنّ شيئًا ما قطع صلاته وعبادته:

- إنه يضع الطعام أمام باب الكوخ ثم يمشي، فما أدراه أن الفتاة تأخذ الطعام، فلعلها أن تكون يومًا من الأيام مريضة أو مُتعَبة تحتاج إلى طبيب أو دواء، . . .

فعقد العزم على أن يضع الطعام ثم يراقبها من بعيد وهى تأخذه حتى يطمئن قلبه.

ولم يَدْرِ بخلده ولا بعقله أن هذه هى وسوسة شيطانه الذى تغلّب عليه.

❋ ❋ ❋

يا لها من رائعة جميلة، أجمل بكثير مما تخيلتها!!

كانت هذه كلمات برصيصا حين رأى الفتاة لأول مرة منذ أن سكنت الكوخ المجاور له، وها هى الآن قد تعلق بها قلبه حتى عاد إلى صومعته لا يفكر إلا فيها، فأينما ذهب طاردته بوجهها، وكلما أراد الدخول إلى العبادة إذا بها تظهر فى عقله، فتشغله عن عبادة ربه والصلاة له، وما كان هذا إلا من فعل شيطانه.

واستجاب برصيصا لوسوسة شيطانه، ولو استعان بالله عليه فقال:

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لأعانه الله ولطرد

شيطانه بعيدًا عنه، لكنه استجاب لكل كلمة راح يوسوس له بها.

- إنك عابد منعت نفسك عن لذَّات الدنيا، فما ضرك لو ارتكبت خطأ ثم تُبْتَ إلى الله بعد ذلك، سيغفر الله لك يا برصيصا.

وحاول برصيصا التخلص من هذه الأفكار إلا أنه عاد ليذكر جميلة الكوخ التى رآها ففكرّ فيها حتى مضت ليلته دون صلاة، وعزم على أن يكلمها وتكلمه.

وما أن جاء يومه التالى حتى طرق بابها فلما ظهرت بوجهها حتى احمرّ وجهه وارتبك فقال: جئت أسأل عن حالك فلعلك بخير.

فقالت: بخير يا سيدى، فهل تدخل قليلاً؟

وسريعًا ما خجل برصيصا من نفسه، فقال: لا إنما جئت أسأل عن حالك، ثم انصرف وعادت أمواج الأفكار العالية تغرق عقله وقلبه حتى صار وحيدًا فى

ميدان الفكرة، ولأنه وحيد ليس معه من يعينه على الطاعة فقد تمكن منه الشيطان، فالشيطان ذئب الإنسان، وهو من الواحد أقرب منه إلى الإثنين أو الثلاثة، وما أسهل مهمة الشيطان حين يكون الإنسان وحده.

لقد صوّرها الشيطان فى أحلامه ومنامه، وراح صوتها يرن فى أذنه، وصورتها ووجهها لا يفارق عينيه، فقام فزعًا من نومه يتمنى لو كلمها وكلمته مرة أخرى.

وفتح (برصيصا) قلبه وعقله لشيطانه، فدخل هذه المرة إلى كوخ الفتاة، فكلمها فكلمته وأعجبها وأعجبته حتى كانت الفاحشة التى نتج عنها الثمرة الحرام فى بطن هذه الفتاة.

وعصى برصيصا ربه فى نفس المكان الذى عبده فيه... فيا للعجب!!



وجد الشيطان (برصيصا) فريسة سهلة أمامه، فبعد أن ولدت الفتاة غلامًا من حرامٍ وسوس لبرصيصا فقال له:

- إذا أتى إخوة الفتاة وعلموا بأمر الغلام فسيقتلونك!!

ففكّر العابد الأبله[١] في أمره فهداه شيطانه إلى حيلة أخرى، فقتل الطفل الصغير حتى لا يشك أحدٌ في أمره.

وعندما عاد إلى صومعته حدثه شيطانه مرة أخرى فقال:

- لعلّ الفتاة أن تخبر أهلها بما حدث فقد حزنت لأنك قتلت طفلها.

وفكّر برصيصا، ودبّر، وقدَّر وفكَر ثم أطاع شيطانه فقال في نفسه:

---

(١) الأبله: ضعيف العقل.

- من يقتل مرة يقتل ألف مرة سأقتلها هي الأخرى.

وطلب من الفتاة الخروج معه فخرجت فذبحها ثم دفنها بجوار طفلها، وعاد إلى صومعته يحاول أن يتوب إلى الله، ولكن هيهات فلقد فعل ما لم يفعله الشيطان نفسه؟!

وعاد الإخوة فجاءوا إلى (برصيصا) وهو يدّعي العبادة فسألوه عن أختهم فقال:

- ماتت فدفنتها، . . . ثم أراهم قبرها.

وهكذا كذب، وقتل، وارتكب الفاحشة.

وعاد الشيطان هذه المرة إلى الإخوة الثلاثة، فجاءهم في نومهم على هيئة رجلٍ مسافر فسلّم عليهم ثم قال لهم:

- إن أختكم دفنها برصيصا بعد أن ذبحها مع وليد لها من الفاحشة.

ثم دلهم على قبرها. . . وأفاق الإخوة الثلاثة فإذا بهم قد رأوا نفس الحُلْم فعزموا على الذهاب إلى قبر أختهم، ففتحوا القبر فوجدوا أختهم مذبوحة ومعها طفلها فأخذوا برصيصا إلى حاكم البلاد ليحكم فيه فأمر بإيداعه السجن حتى يُقْتَل جزاءً له على فِعْلَته، وسُجن العابد (برصيصا)، وفى الصباح جُهِزت المشنقة، وجلس برصيصا فى انتظار قتله، فجاءه الشيطان فَرِحًا مسرورًا يقول له:

- أتدرى من أنا؟

فقال: لا.

قال: أنا شيطانك الذى أضللتك وأغويتك حتى أوقعتك فى الفاحشة، وجعلتك تقتل الفتاة، وأرشدت إخوتها إلى قبرها، فأطعنى حتى أنقذك من القتل.

قال: ماذا أفعل.

قال: اسجد لى.

وبدلاً من أن يتوب (برصيصا) إلى ربه سجد لشيطانه، فمات وهو يسجد له، فكان من أهل النار فصاح الشيطان: إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين... وما خاف الشيطان من الله يومًا ولكنه يسخر من هذا الأحمق.

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾(١)(٢).

❊ ❊ ❊

(١) سورة الحشر: الآية: (١٦، ١٧).
(٢) قصص القرآن / أ. حامد أحمد (ص: ٣١٨ - ٣٣٠) بتصرف.

الدروس المستفادة:

(١) أن الناس يحبون الصالحين الذين يعبدون الله (جل وعلا).

ولقد رأينا كيف كان الناس يحبون (برصيصا) العابد ويثقون فيه.

(٢) أن الشيطان لا يطلب من العبد أن يفعل المعاصي الكبيرة مرة واحدة وإنما يتدرج مع العبد حتى يوصله إلى أكبر الكبائر.

ولذلك حذرنا الله منه وقال: ﴿وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾[1].

(٣) أن المعصية الواحدة قد تجر العبد إلى معصية ثانية وثالثة... وعاشرة، ولقد رأينا كيف أن برصيصا لما نظر إلى الفتاة وفُتن بها ووقع في الفاحشة ثم قتل ولدها ثم قتلها ثم وقع في الشرك بأن سجد للشيطان

---

(١) سورة البقرة: الآية: (١٦٨).

من دون الله (جل وعلا).

(٤) أن الشـــيطان يفـــرح إذا أوقع المسلم فى أى مـعـصـيـة... بل ويسخـر منه ويستـهزئ به بعـد المعصية.

❊ ❊ ❊

أصحاب الجنة

حبايبى الحلوين.

تعالوا بنا لنتعرف سويًا على قصة أصحاب الجنة.

ولكن قبل أن نعرف قصتهم تعالوا لنرى كيف ذكرها الله فى كتابه.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا

كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾[1] .

إن هذه القصة لا يكاد يخلو من مثلها زمان ولا مكان فهى تتكرر فى كل يوم . . . إنها قصة الحرص على الدنيا وزينتها الفانية وعدم الإحساس بآلام الفقراء واليتامى والمساكين الذين أوجب الله لهم الحق فى هذا المال الذى يجمعه الأغنياء ليعيش المجتمع المسلم فى وئام ومحبة وليخرج الغل والحقد والحسد من قلوب الفقراء على الأغنياء . . . فإن الغنى إذا أخرج زكاة ماله وأعطاها للفقير فإن هذا الفقير بدلاً من أن يحسده ويحقد عليه فإنه يدعو الله له أن يوسع عليه وأن يبارك له فى ماله .

❊ ❊ ❊

(١) سورة القلم : الآيات : (١٧-٣٣).

* والآن.. هيا بنا لنعرف قصة أصحاب الجنة.

كان ياما كان.

كان هناك رجل صالح يعيش فى قرية بالقرب من صنعاء باليمن.

وكان هذا الرجل يمتلك بستانًا جميلاً يحتوى على أجمل أنواع النخيل والزروع والثمار.

وكان هذا الرجل يعرف حق الله فى ماله... فكان لا يبخل أبدًا على أحدٍ ولا يرد سائلاً أو فقيرًا أو يتيمًا.. بل كان يعطى كل من يسأله.. وكان يُخرج الزكاة فى يوم الحصاد فلا يحرم أحدًا من الفقراء والمساكين من فضل الله الذى أعطاه إياه.

فكانت النتيجة أن الله بارك له فى هذا البستان فكان يُخرج الخير الكثير من الثمرات.. وكانت ثمراته من أطيب ثمرات البساتين التى فى تلك القرية.

وكان الفقراء والمساكين يدعون له دائمًا بالنماء

والبركة لأنه كان رحيمًا بهم كريمًا معهم.

فكان هذا الرجل الصالح يعيش حياة سعيدة.. فعنده ما يكفيه.. وفوق ذلك فهو لا يحرم أحدًا من خير الله جل وعلا.

لكن كان هناك من يعترض على الخير الذى يفعله هذا الرجل الصالح... يا ترى من هم؟

إنهم أبناؤه.. فقد كانوا يعترضون عليه كثيراً فى أمر الزكاة والصدقات التى يدفعها للفقراء والمساكين فكان يحزن لذلك ويدعو لهم بالهداية.

وفى يوم من الأيام اجتمع أبناء هذا الرجل الصالح فى مكان بعيد عن والدهم.. وكانوا فى قمة الغضب بسبب هذا الخير الذى يفعله أبوهم.

فقال الولد الكبير: لماذا يعطى والدنا كل هذا المال للفقراء والمساكين ألسنا أحق بهذا المال فنحن أبناؤه؟!!

فقال الأخ الأصغر: إن الذى يفعله والدنا لا يمكن أن يفعله رجل عاقل يعرف مصلحة أولاده... يعطيهم ويحرمنا نحن من هذا المال.

فقال الأخ الأوسط: ماذا تقولون: إن والدنا لا يفعل شيئًا مُحرمًا... إنه يُخرج حق الله فى هذا المال للفقراء والمساكين كما أمرنا الله عز وجل فلا داعى لأن تعترضوا.

الأخ الأكبر: وهل أمرنا الله أن نُضيع أموالنا على الفقراء؟!

الأخ الأوسط: إن زكاة المال والصدقات ليست تضييعًا للمال وإنما هى سبب لحفظ المال وطهارة القلب وتزكية النفس، أما سمعت قوله الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[1].

الأخ الأصغر: ولكننا أولى بهذا المال الذى ينفقه والدنا.

---

(١) سورة التوبة: الآية: (١٠٣).

الأخ الأوسط: يا أخى الحبيب... إن المال مال الله.. وهو الذى أمرنا بأن نخرج منه زكاته للفقراء والمساكين... وإن هذه الزروع والثمار من خير الله فهو الذى أنبتها وأخرجها لنا.. ونحن لم نفعل أى شيء سوى أننا وضعناها فى الأرض وسقيناها فخرج بإذن الله جل وعلا.

ولو شاء الله أن لا يخرج هذا الزرع فلن يخرج ولن ينبت.

الأخ الأصغر: ولماذا نعطى أموالنا للفقراء؟... لماذا لا يعمل كل فقير ويأكل من عمل يده؟

الأخ الأوسط: إن بعض الفقراء يعملون ولكن رواتبهم البسيطة لا تكفيهم وإن بعضهم لا يستطيع العمل لأنه مريض فكان الواجب علينا أن نعطيهم من زكاة أموالنا ليعيشوا كما يعيش الناس من حولهم.

الأخ الكبير: إنك مثل والدنا ستنفق أموالك كلها

على الفقراء وستكون فى يوم من الأيام فقيرًا مثلهم.

الأخ الأوسط: يا أخى الكبير.. إن الإنفاق سبب للغنى وليس سببًا للفقر فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[1]، وقال النبى ﷺ: «ثلاث أقسم عليهن - وذكر منها - ما نقص مالٌ من صدقة»،... فلما وصل الكلام إلى هذه الدرجة من عدم التفاهم بينهم انصرفوا جميعًا وذهبوا إلى المنزل فوجدوا والدهم يعطى رجلاً فقيرًا صدقة تعينه على حياته.. فنظر الأخ الكبير إلى الأخ الصغير بحزن.. بينما ابتسم الأخ الأوسط وتوجه نحو أبيه وقال له: جزاك الله خيرًا يا والدى.

فقال الوالد: يا بُنى بارك الله فيك... إياك أن تنسى الفقراء واليتامى فإن الله يكرمنا بدعواتهم الطيبة.

فقال الأخ الكبير: ولكن يا والدى... إن الأموال

---

(١) سورة سبأ: الآية: (٣٩).

التى نعطيها للفـقـراء ستجعلنا فقـراء بعد ذلك فلن نجد درهمًا ولا دينارًا بعد ذلك.

* فحزن الوالد وقال له: يا بُنى لا بد أن تعلم أن الله يبـارك لنا إذا أكـرمنا هؤلاء الفـقـراء.. أما إذا بخلنا عليهم فلن يبارك الله لنا أبدًا.

الأخ الأصغر: يا أبى.. لقد أخـرجت الزكاة فـما الداعى لكثرة الصدقات التى تدفعها للفقراء؟

فقـال الوالد: يا بنى إن الله يضـاعف الصدقـة إلى سبعمائة حـسنة.. وإن الصدقة تُطفئ غضب الرب.. وإن المؤمن يكون يوم القيـامة فى ظل صدقـته... وإن الذى يُفـرج عن مسلم كُربـة من كُرب الدنيا فـإن الله يُفـرج عنه كُربة من كُـرب يوم القيـامـة. وإن الله يرفع العبد المؤمن فى درجات الجنة بكثرة صدقاته.

* أما العـبـد الذى يبـخل ولا يُخرج زكـاة ماله ولا يتصدق فإن الله يسلط عليه ثعبانًا ينهش فى جسده يوم

القيامة ثم يجعل هذا المال الذى بخل به يتحول إلى طوق من النار فيوضع على رقبة هذا العبد.

بل إن هذه الأموال تُحمى فى نار جهنم ثم يكوى بها جبهته وجنبه وظهره جزاءً له على بُخله.

* وهنا سكتوا جميعًا وانصرفوا... لكن الأب كان حزينًا لحال ابنيه الأكبر والأصغر وأخذ يدعو لهما بالهداية.

* وبعد فترة يسيرة مرض هذا الرجل الصالح ونام على فراش المرض وجاء الفقراء والمساكين يدعون له بكل خير.

ومات هذا الرجل الصالح قبل وقت الحصاد بوقتٍ قليلٍ.

* وذهب أولاده ليدفنوه ثم عادوا إلى البيت وهم يبكون حزنًا على فراق أبيهم.

* وفى الصباح اتجهوا إلى الجنة (البستان) ليجهزوه

لموسم الحصاد الذى اقترب وقته... فوجدوا أن الجنة أخرجت ثمرات وزروع كثيرة جداً... ولا عجب في ذلك فقد كان والدهم يُكرم الفقراء والمساكين فيدعون له بكل خير.

وعاد الإخوة الثلاثة إلى دارهم وأخذوا يخططون لموسم الحصاد.

فقال الأخ الأكبر: لقد مات والدنا... ونحن لن نفعل مثلما كان يفعل فلن نعطى أى شيء للفقراء والمساكين ولن نضيع أموالنا.

الأخ الأصغر: نعم.. لن نعطى الفقراء أى شيء فنحن أحق بهذا المال.

الأخ الأوسط: اتقوا الله... فهذا حق الله في أموالنا وقد أوصانا والدنا بذلك قبل موته.

الأخ الأكبر: إما أن تفعل مثلنا وإلا فسوف نحرمك أنت أيضًا من هذه الزروع والثمار.

الأخ الأوسط: إننا إذا منعنا زكاة أموالنا فلن يبارك الله لنا فى هذا المال.. بل ربما تفسد الثمار قبل بيعها بسبب هذه النية الخبيثة.

الأخ الأكبر: لن نعطى الفقراء شيئًا.. وسنقوم بعملية الحصاد ليلاً لنجنى الثمار قبل الصباح حتى لا يرانا الفقراء والمساكين.

الأخ الأوسط: يا أخى الكبير اتقِ الله فليس هذا شكر النعمة التى أنعم الله بها علينا.

* وظل الأخ الأوسط يُذكرهم بالله.. ولكن لا حياة لمن تنادى.

وانصرف الثلاثة من البيت وهم يتخافتون ويتكلمون سرًا حتى لا يسمعهم الفقراء والمساكين.. فقد كان أبوهم يخبر الفقراء بموعد الحصاد وينادى عليهم ليذهبوا معه إلى البستان وليأخذوا كل ما تشتهيه أنفسهم.

* وبينما هم فى الطريق خافوا أن يذهب أخوهم

الأوسط ليخبر الفقراء والمساكين فأقسموا بالله ألا يدخلنَّها اليوم عليهم مسكين. . وهم يعلمون أن أخاهم الأوسط سيبرّ بقسمهم ويطيعهم.

* وذهبوا إلى البستان وهم عازمون على منع الزكاة وحرمان الفقراء وكان كل واحدٍ منهم يخطط ماذا سيفعل بتلك الأموال التى سيحصل عليها بعد بيع الزروع والثمار.

* وساروا حتى وصلوا إلى البستان، فكانت المفاجأة التى لا تخطر على قلب بشر. . يا تُرى ما هى المفاجأة؟

لقد وجدوا البستان محترقًا وقد أصبحت كل الزروع والثمار سوداء فظنوا فى بداية الأمر أنهم قد ضلوا الطريق ودخلوا بستانًا غير بستانهم، ثم نظروا جيدًا فتأكدوا أن هذا هو بستانهم، فعلموا أن البستان أصابه عذاب من عند الله فأحرق كل ما فيه فقالوا عند

ذلك: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾(١) يعني: نحن لم نُخطئ الطريق بل نحن محرومون فقد حُرمنا من تلك الثمار والزروع بسبب سوء نيتنا وظلمنا للفقراء والمساكين.

فقال أوسطهم: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ﴾(٢).

* قال أوسطهم عقلاً، وأرجحهم رأيًا، ألم أقل لكم عندما عزمتم على منع المساكين، هلا تسبحون الله؟ هلا تنزهون الله فتطيعون أمره! ولا تظنون فيه العجز على الرزق والإعطاء.

﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾(٣) أى: فقالوا حينئذ: تنزّه الله ربنا عن الظلم فيما فعل، بل نحن كنا الظالمين لأنفسنا فى منعنا حق المساكين ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ﴾(٤) أى: يلوم بعضهم بعضًا يقول هذا: أنت أشرت علينا بهذا الرأى، ويقول ذاك: بل أنت، ويقول

---

(١) سورة القلم: الآية: (٢٧).
(٢) سورة القلم: الآية: (٢٨).
(٣) سورة القلم: الآية: (٢٩).
(٤) سورة القلم: الآية: (٣٠).

آخر: أنت الذى خوَّفتنا الفقر ورغَّبتنا فى جمع المال، فهذا هو التلاوم ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾[1] أى: قالوا يا هلاكنا وتعاستنا إن لم يغفر لنا ربنا، فقد كنا عاصين وباغين فى منعنا الفقراء، وعدم التوكل على الله، ﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا﴾[2] أى: لعل الله يعطينا أفضل منها بسبب توبتنا واعترافنا بخطيئتنا ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾[3] أى: فنحن راجون لعفوه، طالبون لإحسانه وفضله..

* لقد ساق الله تعالى هذه القصة ليُعلِّمنا أن مصير البخيل ومانع الزكاة إلى التلف، وأنه يضنُّ ببعض ماله فى سبيل الله، فيهلك كل ماله مصحوبًا بغضب الله، ولذلك عقَّب تعالى بعد هذه القصة بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[4][5].

---

(١) سورة القلم: الآية: (٣١).
(٢)، (٣) سورة القلم: الآية: (٣٢).
(٤) سورة القلم: الآية: (٣٣).
(٥) صفوة التفاسير (٣/٤٢٨-٤٢٩)

الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم الغنى لا ينسى حق الله فى هذا المال... فهو يعطى الفقراء واليتامى والمساكين؛ لأن الله أوجب عليه إخراج الزكاة.

(٢) أن العبد إذا أنفق على الفقراء فإنه يفوز بدعائهم ومحبتهم.. وفوق ذلك فإن الله يُخلف عليه خيراً ويعطيه من الحسنات ما لا يخطر على قلب بشر.

(٣) أن مواساة الفقراء والمساكين يقى الإنسان من الآفات والابتلاءات، فقد قال النبى ﷺ: «**صنائع المعروف تقى مصارع السوء وصدقة السِّرِّ تُطفئ غضب الرب**».

(٤) أن الله يعاقب مانع الزكاة فى الدنيا والآخرة... ولقد رأينا كيف أن هؤلاء الشباب لما منعوا زكاة أموالهم دمَّر الله بستانهم.

(٥) أن أصحاب الجنة لما أتوا بهذا القدر اليسير من

المعصية، دمر الله جنتهم، فكيف يكون الحال فى حق من عاند الرسول ﷺ وأصرَّ على الكفر والمعصية، ومنع الزكاة طول عمره، وغيرها من الفرائض.

(٦) أن صلاح الآباء ينفع أبناء المؤمنين فقد انتفع أصحاب الجنة بصلاح أبيهم الذى كان يتصدق على المساكين من غلَّة بستانه وعلامة انتفاعهم: توبتهم ورجوعهم إلى الله تعالى.

❋ ❋ ❋

أصحاب الأخدود

كان ياما كان.

كان هناك ملك اسـمه (ذو نواس) وكـان يعيش فى بلدة تُسمى (نجران) فى اليمن.

وكان هذا الملك عنده ساحر يعمل له كل ما يستطيع من الحيل والأعمال السحرية؛ لكى يُقنع الناس بأن هذا الملك هو إله الكون الذى يستحق أن يُعبد من دون الله (جل وعلا).

وهذا السـاحـر فى الحقـيـقـة هو أهون الناس على الملك، فإذا وجد الملك من هو أفضل منه تخلَّى عنه فى التو واللحظة بل إن حـدث منه أى شىء يُغضب الملك فسرعان ما يتحول الملك إلى إعصار مدمر يعصف بحياة الساحر بلا تردد.

* وفى يوم من الأيام كان الساحر جالسًا مع الملك كعادته فإذا به يقول للملك: أيها الملك .. لقد أصبحت كبيرًا فى السن وأشعر بضعفٍ شديد فى صحتى ولم أعد أستطيع أن أقدم إلا القليل من الحيل والأعمال السحرية.

الملك: وماذا تريد أيها الساحر .. فأنا لا أستطيع أن أستغنى عنك لحظة واحدة .. فأنت الذى تجعل الناس يطيعونى بل ويعبدونى بفضل أعمالك السحرية.

الساحر: أنا لن أتخلى عنك أبدًا يا سيدى .. لكنى أخشى أن أموت فيموت السحر معى .. فأنا أريدك أن تبعث لى غلامًا صغيرًا ذكيًّا أعلمه السحر ليكون ساحرًا لك بعد موتى .. وبذلك أضمن أن يستمر السحر من بعدى.

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن: لماذا طلب الساحر من الملك أن يبعث إليه غلامًا صغيرًا ولا يبعث إليه

شابًا أو شيخًا كبيرًا؟!

والجواب: لكى يتعلم الغلام السحر من صغره ويبقى مع الملك أكبر وقت ممكن ليخدمه فى تنفيذ ما يريد.. ونحن نعلم جميعًا أن التعليم فى الصغر كالنقش على الحجر.

* وأنا أتعجب من أمر هذا الساحر الذى عاش حياته كلها كافرًا بالله (جل وعلا) وعلى الرغم من ذلك بدلاً من أن يفكر فى التوبة قبل أن يموت - فقد اقترب أجله - وإذا به يفكر كيف يستمر هذا الشر من بعده؛ ليكون ذلك فى ميزان سيئاته من بعده.. كما قال النبى ﷺ: «ومن سَنَّ فى الإسلام سُنَّة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن يَنقص من أوزارهم شىء».

* المهم أن الملك وافق على طلب الساحر.. وعلى الفور أمر الملك أعوانه أن يبحثوا عن أذكى

غلام فى المملكة كلها ليكون ساحرًا للملك. . . وبعد بحثٍ طويل وقع الاختيار على غلام فى قمة الذكاء. . وذهبوا به إلى الملك، فرحب به وأخبره أنه سيتعلم السحر على يد الساحر الكبير؛ ليكون بعد ذلك هو الساحر الخاص بالملك.

* فرح الغلام فى بداية الأمر. . فهو الآن على أبواب الشهرة والثراء. . . وذهب الغلام إلى الساحر فى اليوم التالى، فوجد أن أعوان الملك قد أحضروا له ملابس جديدة وتركوا له أموالاً كثيرة، ففرح بذلك أشد الفرح وعلم أنه سيصبح قريبًا من المشاهير الأثرياء فى هذه المملكة.

* وبدأ الساحر الكبير يعلم الغلام فنون السحر، والغلام يتعلم منه كل يوم شيئًا جديدًا. . والهدايا والأموال تنهال كل يوم على الغلام؛ لكى يحب السحر ويُخلص فى خدمة الملك بعد ذلك.

وتدبروا معى كيف أن الملك وكل من حوله يجندون كل طاقاتهم ليصنعوا من هذا الغلام ساحرًا كافرًا . . ولكن الله (عز وجل) يريد أن يصنع منه مؤمنًا موحدًا بل وداعية إلى دين الله (جل وعلا): ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾(١) .

* وكان الغلام يذهب إلى الساحر كل يوم ليتعلم السحر على يديه . . وكان الطريق من بيت الغلام إلى قصر الملك طويلاً وشاقًا على الغلام فكان الغلام أحيانًا يجلس؛ ليستريح من التعب .

وبينما كان الغلام يومًا جالسًا ليستريح وإذا به يسمع صوتًا يصدر من بيت صغير . . وكان صاحب الصوت شيخًا كبيرًا وإذا به يقول: لا إله إلا الله . . يا فاطر السماوات والأرض . . يا حى يا قيوم، اللهم اجعلنى من عبادك الصالحين . .

---

(١) سورة يوسف: الآية: (٢١).

فتعجب الغلام من تلك الكلمات .. ولم يعلم ماذا يقصد هذا الشيخ الكبير بهذه الكلمات ..

وانصرف الغلام وخاف أن يدخل على هذا الشيخ ليسأله .. ولكن الكلمات ظلت تتردد فى عقل هذا الغلام .

* ذهب الغلام إلى الساحر وبدأ يتعلم على يديه الدرس اليومى فى السحر، فظل الغلام يسمع تلك الطلاسم السحرية والكلمات التى لا يفهم منها أى شىء .. وأخذ يقارن بين كلمات الساحر التى لا يفهمها أحد وبين كلمات هذا الراهب الشيخ الكبير وهو يقول تلك الكلمات السهلة الجميلة، فأحسَّ الغلام لأول مرة بارتياح شديد لكلام الراهب .

* وفى اليوم التالى جلس الغلام بجوار صومعة الراهب يستمع إليه وهو يدعو بتلك الكلمات الجميلة .

وأصبح الغلام يمر على صومعة الراهب وهو ذاهب إلى الساحر وكذلك وهو عائد إلى بيته .. حتى أحس فجأة أنه يريد أن يدخل على هذا الراهب ليعرف من هو وماذا يصنع.

* وفي يوم من الأيام .. كان الغلام ذاهبًا إلى الساحر، فمرَّ على صومعة الراهب وسمعه وهو يقول: يا حي يا قيوم يا فاطر السماوات والأرض أنت الإله الحق، لا إله غيرك ولا ربَّ سواك .. أسألك باسمك الأعظم أن تغفر لي وترحمني.

فدخل الغلام عليه فجأة وهو يبكي ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله.

فقال الراهب: من أنت أيها الغلام الصغير؟

فقال الغلام: أنا ساحر الملك الصغير .. وقد سمعتك وأنت تقول هذه الكلمات الجميلة فتأثرت وأردت أن أعرف من هو هذا الإله الذي تعبده.

فقال الراهب: إنه الله الذى خلقنا ورزقنا وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة.

فقال الغلام: إن الناس يقولون إن الملك الذى يحكمنا هو الله.

فقال الراهب: يا بُنى! إن الملك ما هو إلا بشر ضعيف لا يملك لنفسه ولا لغيره ضرًا ولا نفعًا .. إنه بشر يحتاج إلى الماء والطعام والدواء، فهو يخدع الناس ويقول: إنه إله .. وليس هناك إله إلا الله.

فانشرح صدر الغلام وقال للراهب: علمنى كيف أعبد الله (جل وعلا).

فأخذ الراهب يعلم الغلام كيف يعبد الله وكيف يذكره وكيف يوحده، فأصبح الغلام مسلمًا عابدًا لله (جل وعلا).

* أصبح الغلام بعد ذلك يكره لقاء الساحر لكنه يذهب إليه؛ لأن الملك أمره بذلك.

وعلى الرغم من أنه يذهب للساحر إلا أنه أصبح زاهدًا في تعلم السحر.. فقد علم أن هذا الساحر كذاب ودجال وأنه هو والملك على باطل.

* وفى المقابل أصبح الغلام يشتاق كل لحظة للقاء الراهب ليتعلم منه كيف يعبد ربه ويوحده.

فكان كلما ذهب إلى الساحر ضربه؛ لأنه تأخر عليه.. وكلما ذهب إلى أهله ضربوه لأنه تأخر عليهم.. فشكا ذلك إلى الراهب فقال له الراهب: إذا سألك الساحر لماذا تأخرت؟ فقل: حبسنى أهلى.. وإذا سألك أهلك لماذا تأخرت؟ فقل: حبسنى الساحر.

وبذلك تخلَّص هذا الغلام من بطش الساحر وأهله.

* وفى يوم من الأيام كان الغلام فى طريقه إلى الراهب، فوجد الناس مذعورين خائفين.. فنظر

فوجد أسدًا كبيرًا قد قطع الطريق على الناس ..

فاغتنم الغلام هذه الفرصة وقال في نفسه: اليوم أعرف وأتيقن أيهما أفضل عند الله: الساحر أم الراهب.

فأخذ الغلام حجرًا صغيرًا وقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر، فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس .. فرماها فقتل الأسد ومضى الناس وهم يظنون أن الغلام قتل الدابة بسبب نبوغه في السحر.

ولذلك علينا أن نتخيل هذا المشهد: غلام صغير، لا يستطيع أن يحمل إلا حجرًا صغيرًا فكيف يضرب الأسد بذلك الحجر الصغير فيموت؟! إن الحجر الذي أمسك به الغلام لا يقتل فأرًا صغيرًا، فضلاً عن أن يقتل أسدًا كبيرًا .. لكنها كانت كرامة من الله أكرم بها هذا الغلام لأنه لجأ إلى الله وتوكل عليه .. وفي نفس

الوقت أراد الله (عز وجل) أن يُعرفه طريق الخير من طريق الشر ليكون على يقين من أنه على الحق فيبذل من أجله كل ما يملك حتى نفسه التى بين جنبيه.

* ثم ذهب الغلام إلى الراهب وأخبره بما حدث.

فقال له الراهب: أى بُنى أنت اليوم أفضل منى قد بلغ من أمرك ما أرى .. ولكن اعلم أنك ستتعرض لابتلاءٍ شديد، فإذا وقعت فى هذا البلاء فلا تدل الناس على مكانى ولا تخبرهم عنى.

وهذا درس عظيم فى التواضع لأن الراهب أفضل من الغلام - بلا شك - فهو الذى علمه التوحيد ولقَّنه العلم وعلى الرغم من ذلك يقول له: أنت اليوم أفضل منى.

وقد أجرى الله على يد الغلام شفاء المرضى، وإبراء الأكمه والأبرص، وكان يخبر الناس أن الشافى هو الله، وأن من آمن بالله فإنه يشفيه، فكان يتخذ من

المعالجة طريقًا لنشر دعوته، ونشر الإيمان.

* فسمع جليس الملك - وكان أعمى - أن هناك غلامًا يداوى الناس من كل الأمراض.

فما كان من جليس الملك إلا أن أحضر الهدايا الثمينة والأموال الكثيرة وذهب لهذا الغلام فوجد زحامًا شديدًا على بابه فاستأذن من هؤلاء الناس ودخل على الغلام .. وإذا بالمفاجأة الكبرى!!

لقد علم جليس الملك أن الغلام الذى يداوى الناس من الأمراض هو ساحر الملك .. فقال له جليس الملك: لقد جمعت لك كل هذه الهدايا والأموال على أن تشفينى وترد إلىَّ بصرى.

فقال له الغلام: «إنى لا أشفى أحدًا إنما يشفى الله فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك... فآمن بالله فشفاه الله».

هكذا بدأ الغلام يضع بذرة التوحيد فى قلب جليس

الملك ليعلم أن الله وحده هو النافع الضار وأنه بيده مقاليد السماوات والأرض وأنه هو وحده الذي يملك الشفاء.

* **والفائدة الثانية:** أن الداعية الصادق يستغل حاجة الناس في دعوتهم إلى الله عز وجل.

* ولكن جليس الملك كان متردداً، فقال للغلام: ومن هو الله؟

فقال الغلام: الله الذي خلقنا جميعًا وخلق الكون كله .. وهو الذي سيشفيك من مرضك إن آمنت به ودعوته.

جليس الملك: أليس ملك البلاد هو الله؟

الغلام: كلا .. إنه عبدٌ ضعيف ولو كان إلهًا لشفاك ولكن إن كنت في شكٍّ، فاذهب الآن إلى الملك واطلب منه أن يرد إليك بصرك.

فتيقن جليس الملك أن الملك عبدٌ ضعيف، لا يملك

لنفسه ولا لغيره ضرًا ولا نفعًا.

فرفع جليس الملك رأسه إلى السماء وقال: أشهد أن لا إله إلا الله.

فقام الغلام فدعا الله أن يشفى جليس الملك وأن يرد عليه بصره.

فشفاه الله وردَّ إليه بصره.. فصرخ جليس الملك من شدة الفرح وهو يردد: أشهد أن لا إله إلا الله.. أشهد أن لا إله إلا الله.

فقال له الغلام: لا تُخبر الملك عنى ولا تدله علىَّ.

فوعده جليس الملك بذلك، ثم خرج وهو فى قمة السعادة.

فلما أسلم جليس الملك وشفاه الله (عز وجل) فجاء إلى الملك «فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك: مَن ردَّ عليك بصرك؟ قال: ربى. قال: ولك ربٌّ غيرى؟ قال: ربى وربُّك الله».

فأخذه فلم يزل يُعذبه حتى دل على الغلام.

ومع أن هذا الرجل كان جليسًا للملك إلا أن الملوك ليس عندهم وفاء لمن حولهم .. فما إن تعارضت وجهة الجليس مع وجهة الملك وإذا به يأمر بتعذيبه في التوّ واللحظة.

قال ﷺ : «فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما تُبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل. فقال: إني لا أشفي أحدًا إنما يشفي الله. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الراهب».

* علم الملك أن الغلام وراء هذه الدعوة الجديدة على مملكته: دعوة التوحيد وإنكار ربوبية الملك، فماذا يفعل الطاغية لاحتواء هذه الدعوة؟

إن بطشه بالغلام الذي أحبه الناس وعرفوا إحسانه إليهم، وأنه هو الذي قتل الدابة، وأنه يبرئ الأكمه والأبرص ويداويهم من سائر الأدواء؛

سوف يزيد من محبته ويجعله بطلاً أو شهيدًا، ويصبح موته وقودًا دافعًا لاستمرار دعوته؛ فلا بد من محاولة الاستمالة أولاً، فهو يعرف جيدًا حقيقة دعوة الغلام وأنها تهدف إلى تحقيق العبودية لله وحده ونبذ عبودية الملك، ومع ذلك يقول له: «أى بنى».

والنداء بالبنوة أول محاولات الاستمالة والتلطف، فهو يقول له: أنت إبنى وأنا الذى توليت تربيتك، ثم يقول له: «قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل».

فهو يريد أن يقول له: لا مانع عندى من استمرارك فى ما تفعل، بشرط أن تقول للناس: إن هذا سحر تعلمته فى مدرسة الملك، وأن ما تدعو إليه هو بتوجيهات الملك وتحت إشرافه وبرعايته، . . . وهو يقول له ذلك وهو على يقين

من أنه هو الذى قال لجليسه ولغيره: ربى وربك الله، وأنه سبحانه الذى يشفى الناس.

رفض الغلام إذن أن يسمى ما يفعله سحراً، وأبى إلا أن يجابه الملك بأن دعوته هى دعوة التوحيد الخالص بمقولته العظيمة: «**إنى لا أشفى أحداً، إنما يشفى الله تعالى**»، وفشلت محاولة الاحتواء وإلباس الحق ملابس الجاهلية، فانكشف الملك على حقيقته ولجأ إلى الأسلوب المعتاد: البطش والتنكيل؛ فجىء بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار، فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شِقَّاه».

وهنا وصل الملك إلى النبع الذى استقى منه الغلام وجليس الملك (الإيمان والتوحيد)، فأراد الملك أن يجفف هذا النبع وذلك بأن يتخلص منه ويقتله.. ولذلك لم يتكلم معه بنفس اللطف الذى قابل به الغلام

فى البداية بل قال له بكل صراحة ووضوح: ارجع عن دينك.

فأبى الراهب أن يرجع عن دينه رغم أنه يعلم أنه سيتعرض للعذاب الشديد.

فأمر الملك بقتل الراهب فى التوِّ واللحظة.

وكان الذى شجع الملك على قتل الراهب أنه لم يكن مشهورًا ومعروفًا بين الناس ولذلك لن يعترض أحدٌ لقتله.

وقتله الملك أبشع قتلة وذلك بأنه أمر أن يُنشر بالمنشار نصفين وعلى الرغم من ذلك صبر الراهب على هذه القتلة البشعة؛ لأنه يعلم يقينًا أن موت الجسد أفضل بكثير من موت الإيمان والتوحيد فى قلب العبد؛ لأن صاحب التوحيد لو قُتل عشر مرات فإنه سيحيا فى جنات النعيم وسيَجبر الله كسره فى تلك الجنة التى فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا

خطر على قلب بشر . بل إنه سينسى كل شقاء مع أول غمسة فى جنة الرحمن .

فجيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه» .

* لقد حدث لجليس الملك مثلما حدث للراهب . . . لقد ذاق الرجل حلاوة الإيمان فهان عليه أن يقدم حياته لله (جل وعلا) بدلاً من أن يعيش منعمًا فى قصر الملك وهو بعيد عن الله (سبحانه وتعالى) .

ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك ، فأبى ، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل ، فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه ، وإلا فاطرحوه ، فذهبوا به فصعدوا به الجبل ، فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت ، فرجف بهم الجبل فسقطوا ، وجاء يمشى إلى الملك ، فقال الملك : ما

فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله تعالى.

* لقد كان الملك حتى هذه اللحظة لا يريد أن يقتل الغلام؛ لأنه مازال عنده بريق أمل فى أن يستخدمه فى السحر ويستفيد من مواهبه وإمكانياته.. فاختار طريقة لقتله يستطيع الغلام من خلالها أن يفكر مرة أخرى.

طلب الملك من زبانيته أن يذهبوا بالغلام إلى أعلى الجبل ويعرضوا عليه أن يرجع عن دينه أو يلقوه من قمة الجبل .. ومن المعلوم أنهم سيسيرون مسافات طويلة؛ لكى يفكر الغلام مرة بعد مرة.

ولكن الغلام كان الإيمان فى قلبه ثابتًا ثبات الجبال الراسيات، فلم يضعف قلبه ولم ترتعد فرائصه لحظة واحدة بل كان يتمنى الشهادة فى سبيل الله من أجل أن تحيا الأمة كلها على التوحيد والإيمان.

* ولما صعدوا به فوق الجبل ما كان من الغلام إلا

أن لجأ إلى الله وتوكل على الحى الذى لا يموت فقال بقلبه ولسانه: «**اللهم اكفنيهم بما شئت**» ولم يختر الغلام الطريقة التى ينجيه الله بها من كيد هؤلاء بل ترك الأمر لمالك المُلك وملك الملوك (جل وعلا) ليدبر له الأمر وينفذه بالطريقة التى يراها هو (سبحانه وتعالى).

فما كان من الحق (جل وعلا) إلا أن أمر الجبل فتزلزل بهم الجبل وسقطوا جميعًا - وهم الرجال الأشداء الأقوياء - وبقى الغلام الصغير الضعيف فى جسده القوى فى إيمانه .. بقى الغلام سالمًا بأمر الله (عز وجل).

إنه التوكل على الله وإنها الثقة فى الله الذى بيده مقاليد الأمور.

* وعاد الغلام إلى الملك مرة أخرى!!

وقد يسأل سائل ويقول: ما الذى جعل الغلام يعود

إلى الملك مرة أخرى ولم يهرب مع أنه على يقين من أن الملك يريد أن يقتله؟!

والجواب: إن الغلام لا يريد النجاة لنفسه بل يريد الحياة لأمته، فهو يريد أن تنتصر العقيدة مهما كان الثمن ولذلك رجع ليعلم الكون كله أنه لن يكون إلا ما قدره الله.

فكان الغلام يريد أن يرجع إلى الملك؛ لأنه حريص على هداية الأمة .. وهذا هو شأن الدُّعاة المخلصين الذين يتحملون كل أنواع الأذى والبلاء من أجل أن تحيا الأمة فى ظلال التوحيد والإيمان.

ولك أن تتصور كم كانت دهشة الملك وهو يرى الغلام الصغير حيًا يمشى إليه، وقد ذهب الأصحاب من الجنود الأشداء الأوفياء لملكهم إلى غير رجعة!!

فيسأل الغلام متعجبًا: ما فعل أصحابك؟! فيقول

الغلام: كفانيهم الله تعالى. فلم يخبره بما جرى.

ولم يُعلق بكلمة واحدة على تلك الكرامة التى أكرمه الله بها ولكنه اكتفى بأن يذكر للملك بأن الله هو الذى كفاه شرَّ هؤلاء الرجال، فهو وحده الله الذى يستحق أن نتوكل عليه وليس أنت أيها الملك الضعيف الذليل.

* فأرسله الملك مع نفر من أصحابه، فقال لهم: اذهبوا به فى سفينة صغيرة وتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت؛ فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، ورجع يمشى إلى الملك، فقال: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله تعالى.

وهنا لجأ الملك إلى حيلة أخرى لقتل الغلام.. ولكنه اختار أيضًا طريقة تجعل الغلام يفكر مرة أخرى.

وكأن الملك حتى تلك اللحظة لم يعرف أن الغلام لو عُرض على القتل كل يوم مائة مرة، فلن يرجع عن دينه أبدًا.

* فأمر الملك زبانيته أن يأخذوا الغلام إلى البحر ويهددوه بالرجوع عن دينه أو أن يقذفوا به فى وسط البحر .. فأبى الغلام.

وبنفس الثقة فى الله والتوكل على الله لجأ الغلام إلى الحق (جل وعلا) وقال: «**اللهم اكفنيهم بما شئت**» فما كان من أمواج البحر إلا أن تفاعلت مع تلك الكلمة - بأمر الله - «**وما يعلم جنود ربك إلا هو**».

فانكفأت السفينة وغرقوا جميعًا - وهم الرجال الأشداء الأقوياء - وحملت مياه البحر هذا الغلام الصغير ليصل إلى الشاطئ سالمًا غانمًا .. ومع ذلك لم يفكر أبدًا فى الهروب بل عاد إلى الملك ليعطى الكون

كله درسًا فى الثبات على الدين والإصرار على انتصار الإيمان والعقيدة.

فتعجب الملك .. كيف يعود الغلام هذه المرة أيضًا سالمًا. وكان الملك يظن أن ربَّ الغلام الذى نجاه من على الجبل لن يستطيع أن ينجيه من البحر... فسأل الملك الغلام: «ما فعل أصحابك؟».

قال الغلام بثقة ويقين: «كفانيهم الله».

* ثم تحول الغلام من مأمور إلى آمر .. فقام يأمر الملك، فقال للملك: إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به، قال الملك: وما هو؟

قال: تجمع الناس فى صعيد واحد، ثم تصلبنى على جذع، ثم خذ سهمًا من كنانتى، ثم ضع السهم فى كبد القوس، ثم قل: «بسم الله ربِّ الغلام، ثم ارمنى؛ فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى».

* لقد أحس الملك بعجزه الشديد وأنه لا يستطيع

أن يقتل هذا الغلام الصغير ولا حتى أن يكون سببًا في هروب الغـلام وخروجـه من مملكتـه؛ ليحـفظ الملك ماء وجهه أمام رعيته الذين علموا بعجزه عن قتل غـلام صغيـر مع أنه يدَّعى أنه إله من دون الله (عز وجل).

* وهنا يتحول الغلام الصغـير من مأمور إلى آمر.. يقوم الغـلام ليأمـر الملك ويقول له: «**إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به**».

الله أكبـر!! يا لها من كرامة... أن يتـحول الغلام من مأمور إلى آمر بل ويخبر المـلك بعجزه وضعفه عن قتله حتى يفعل الأمر الذى يوجهه الغلام إليه.

* ولما كـان الملك قد أحـس بأن وجود هذا الغـلام أصـبح خطرًا على مُلكه قـال له بلهفـة وشوق: «ومـا هو؟» أى مـا هو الـطريق الذى يجـعلنى أسـتطيع أن أقتلك.

فقال له الغلام الذكى: «تجمع الناس فى صعيد واحد» وذلك ليرى الناس جميعًا هذا المشهد ويعلموا الحقيقة كلها ويعرفوا أنه لا شيء يحدث فى الكون كله إلا بأمر من الله (عز وجل).

* **وقول الغلام للملك:** «ثم تصلبنى على جذع» ليظهر للجميع الظلم الواقع على الغلام بدون جريمة ارتكبها إلا أن يقول ربى الله، وهذا بالتأكيد من أسباب ميل الناس إليه وتعاطفهم معه ومع دعوته؛ فقد فطر الله العباد على كراهية الظالم وعداوته والميل إلى المظلوم ومناصرته.

فإذا أضيف إلى ذلك أنهم يعلمون عن المظلوم حبّه للخير وحرصه على الإحسان إلى الناس، وجربوه من قبل فى قضاء حوائجهم، وكونه كان دائمًا مستشعرًا لمشاكلهم فى حين غابت مشاكلهم عن الملك وحاشيته؛ بداية من الدابة التى قتلها وانتهاءً بأمراضهم

المستعصية التي كان لا يستطيع، بل ولا يلتفت إلى محاولة مداواتها، فلا شك أن هذه الأمور مجتمعة تجعل هذا الجمع كله يعلم الظلم الواقع على الغلام، وعندما يتساءلون ما جريمته؟ يقال: لا شيء إلا أنه يقول ربي الله.

فهكذا ينبغي أن يكون الدُّعاة إلى الله حريصين على ألا يكون لهم تهمة إلا أن يقولوا: ربُّنا الله، مع إحسانهم إلى الناس ... وعليهم ألا يحزنوا من الظلم الواقع عليهم، فإنه قدَّره الله لِحِكم عظيمة لانتشار دينه وقبول الناس له، كما أنه سرعان ما يزول، فيكون لهم الأجر الجزيل عند ربهم.

وقول الغلام للملك: «ثم خذ سهمًا من كنانتي» مزيد من إظهار عجز الملك وأنه ليس بيده الأمر، فلو أخذ سهمًا من كنانة الملك لم يقتل الغلام حتى يأخذه من كنانة الغلام؛ ليعلم الناس أن الأمر أمر ربِّ الغلام،

وأن قتل الغلام كان بإرادته لا إرادة الملك.

وفى أمره أن يقول: «بسم الله رب الغلام» إعلان بالعجز التام والافتقار القهرى الاضطرارى إلى الله سبحانه.

* فإن قيل: ألم يكن الغلام يعلم باحتمال أن يقتل الملك الناس لو آمنوا،... بل يغلب على ظنه ذلك، وهو يعلم عجز الناس عن الدفاع عن أنفسهم، فهو بالتالى قد ألزمهم الصبر على القتل خلافًا لما ذكرت؟

فالجواب: أن الموازنة هنا بين البقاء على الكفر مع الحياة أو الدخول فى الإسلام مع القتل، ولا شك أن الدين مُقدَّم على النفس.

* فقام الملك وجمع الناس فى صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهمًا من كنانته، ثم وضع السهم فى كبد القوس، ثم قال: بسم الله رب الغلام، ثم

رماه فوقع السهم فى صدغه، فوضع يده فى صدغه فمات، فقال الناس: «**آمنا بالله رب الغلام**».

* وفعل الملك ما أمره به الغلام.. وكان هذا الملك فى غاية الغباء لأنه لو ترك الغلام يدعو الأمة إلى توحيد الله لما آمن معه إلا القليل ولكنه لما قُتل الغلام؛ آمنت الأمة كلها وقاموا جميعًا على قلب رجلٍ واحد فقالوا: آمنا بالله رب الغلام.

* ورحل الغلام الشهيد عن دنيا الناس عزيزًا كريمًا.. وهو الذى صدق الله فصدقه الله وآمنت الأمة كلها لتأتى يوم القيامة فى ميزان حسنات الغلام ومن قبله الراهب الذى علَّم الغلام التوحيد لله (جل وعلا) وقُتل قبل أن يرى ثمرة دعوته.. وهذا أمر يحفز الدُّعاة على بذل وسعهم فى الدعوة وإن لم يروا ثمرة دعوتهم فى حياتهم، فقد تأتى الثمرة بعد موت الداعية.

«فأتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟! قد والله نزل بك ما كنت تحذر، قد والله آمن الناس، فأمر بالأخاديد (الحُفر) بأفواه السكك فخُدَّت «أي حُفرت»، وأُضرم فيها النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها، ففعلوا، حتى جاءت امرأة ومعها صبىٌ لها، فتقاعست أن تقع فيها (أى ترددت وهمَّت أن ترجع)، فقال لها الغلام (أى ابنها الصبى): يا أمه! اصبرى، فإنك على الحق».

* فقامت البطانة السيئة لتخبر الملك بأن الأمَّة قد آمنت بالله (عز وجل) فما كان من الملك - الذى لا يملك الحُجة ولا الإقناع - إلا أن لجأ إلى البطش والعنف، فأمر زبانيته أن يحفروا الأخاديد فى أفواه السُّكك حتى لا يترك مكانًا يستطيع الناس أن يهربوا منه.

وجيء بالموحدين الذين ذاقوا حلاوة الإيمان منذ

ساعات معدودة وخيّروهم بين الكفر وبين دخول نار الدنيا، فاختاروا جميعًا أن يموتوا على التوحيد والإيمان وأن يدخلوا نار الدنيا على أن يكفروا بالله (عز وجل) ويدخلوا نار الآخرة التى هى أشد من نار الدنيا سبعين مرة.

❋ ❋ ❋

المشهد الأخير

ويأتى هذا المشهد الأخير المؤثر.

قال ﷺ: «حتى جاءت امرأة ومعها صبىٌّ لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أُمَّه اصبرى فإنك على الحق».

ويا له من مشهد مهيب أن يُنطق الله هذا الطفل الصغير، ليربط على قلب أمه ولتعلم يقينًا أنها على الحق.

* وهكذا رحل هؤلاء الشهداء الأبرار عن دنيا الناس؛ ليسعدوا بالنعيم المقيم فى جنة الرحمن (جل وعلا).

* ولقد ذكر الله قصتهم فى سورة البروج فقال تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ

وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾(١).

أولئك هم أصحاب الأخدود الذين ذكرهم الله فى كتابه وذكرهم الرسول ﷺ فى سُنته.

لم ينتقموا منهم ويحرقوهم إلا لأنهم آمنوا بالله، وهذه هى سُنة الله فى خلقه المؤمنين الموحدين.

ولا تزال الحرب بين الإيمان وأهله والكفر وأهله حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

نسأل الله أن يثبتنا على ديننا حتى نلقى نبينا ﷺ على حوضه يوم القيامة.



(١) سورة البروج: الآيات: (٤ - ١٠).

الدروس المستفادة:

(١) حرص أهل الشَّرِّ على استمرار شرهم من بعدهم، كما حرص الساحر على تعليم من يرث علمه الفاسد، ليبقى هذا العلم حيًا يضلُّ به عباد الله.

(٢) أن السحر من كبائر الذنوب، ومن أهل العلم من ذهب إلى أن السحر كفر، لأن السحر لا يتمُّ إلا مع الكفر وتعظيم الشيطان.

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾(١).

(٣) اختار الملك الغلام ليكون الساحر الذى يثبت دعائم ملكه، وأراد الله له أن يكون الداعية الصالح الذى يدمر ملكه، ويهدى الناس إلى الدين الحق، وفى ذلك آية للمعتبرين، فالله يهيئ لدينه رجالاً.

(٤) الإيمان لا يحتاج إلى وقت طويل؛ كى يستقر

---

(١) سورة البقرة: الآية: (١٠٢).

فى القلوب، ويحيى النفوس، فالقوم الذين رضوا بعذاب النار لم يكن مضى على إيمانهم ساعات قليلة، . . . ومثل هؤلاء سحرة فرعون آمنوا، فلم يردعهم جبروت فرعون وعذابه عن الإيمان.

(٥) قد يُجرى الله على يد بعض أوليائه كرامات يؤيده بها، ويثبت بها إيمانه ويقينه، فالغلام لم يكن نبيًا، وقد استجاب الله له فى قتل الدابة، وأجرى على يديه إبراء الأكمه والأبرص، ومداواة المرضى، واستجاب دعاءه فى تخليصه من القتل، والقضاء على أعوان الملك الذين أمرهم بقتله.

(٦) التضحية بالنفس فى سبيل الله ليست من الانتحار فى شىء، فالغلام دلَّ الملك على الطريقة التى يقتله بها، والمؤمنون كان بعضهم يُلقَى فى النار، وآخرون يقتحمونها، ولم يكن اقتحامهم لها انتحارًا، بل كان فيه إغاظة للظالمين، وإرضاء لله رب العالمين.

(٧) شدة عداء أهل الكفر لأهل الإيمان، فقد نشر أعوانُ الملك الراهَب وجليس الملك بالمنشار، وأحرقوا الناس بالنيران.

(٨) حفظ الله لأوليائه، وإذلاله لأعدائه، فقد حفظ الغلام من القتل، واستجاب دعاءه، فأهلك من أرادوا به سوءًا.

(٩) وجوب الصبر على الأذى فى الله، كما صبر الراهب وجليس الملك والغلام، وكما صبر المؤمنون على الحرق بالنار.

(١٠) جواز الكذب فى الحرب ونحوها، فقد أرشد الراهب الغلام إلى أن يدَّعى أن الكاهن حبسه إذا سأله أهله، وأن أهله حبسوه إذا سأله الكاهن.

(١١) قد يضعف رجل العقيدة عن احتمال الأذى، وقد يبوح بأسرار لا يجوز له البوح بها من شدة العذاب، فجليس الملك الذى ردَّ الله عليه بصره دل

على الغــلام تحت وطأة العـذاب، والغـلام دل على الراهب لما نـاله من العــذاب، ومع ذلك فلم يُـنقص اعترافهما من مكانتهما، ولكنهما احتملا العذاب الذى أدّى بهـما إلى الموت عندمـا طُلب منهمـا التنازل عن عقيدتهما، والكفر بالله.

(١٢) قد يكون التلميذ أفضل من شيخه، فقد حقق الغلام مـا لم يستطع الراهب تحـقيقـه، ويبقى للراهب فضل هداية الغلام.

(١٣) التضـحيـة بالنفس فى سـبيل نشـر الدعوة، حيث دل الغلام الملك على الطريقـة التى يتمكن الغلام بها من إقنـاع الناس بالإيمان بالله، ولو كـان الوصول لذلك على حياته هو.



أصحاب الفيل

كان ياما كان.

كان هناك رجل اسمه أبرهة... وكان أبرهة الحبشى قد كلفه حاكم الحبشة النجاشى بأن يكون أميرًا على صنعاء (فى اليمن).

وكان أبرهة نصرانيًّا... وكذلك كان النجاشى حاكم الحبشة.

وكان يسمع كثيرًا عن الكعبة وبيت الله الحرام..

وأن العرب يحجون إلى هذا البيت، فامتلأ قلبه حقدًا على العرب وجلس مع نفسه يفكر كيف يصرف العرب عن هذا البيت.

وبعد تفكير عميق هداه شيطانه إلى أن يبنى كنيسة كبيرة فى صنعاء سماها «القُلَّيس» لم يرَ الناس مثلها فى زمانهم.

ثم كتب إلى النجاشى حاكم الحبشة قائلاً له: إنى قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يُبن مثلها لملك كان قبلك أبدًا... وإنى لن أهدأ أبدًا حتى أصرف إليها حج العرب بدلاً من أن يحجوا إلى الكعبة.

* وكان أبرهة الحبشى قد سخَّر أهل اليمن فى بناء هذه الكنيسة الخسيسة وسخرهم فيها أشد أنواع التسخير.

وكان من تأخر عن العمل حتى تطلع الشمس يقطع يده لا محالة.

وجعل ينقل إليها من قصر بلقيس رخامًا وأحجارًا وأمتعة عظيمة وركَّب فيها صُلبانًا من ذهب وفضة.

وجعل فيها منابر من عاج وأبنوس وجعل ارتفاعها عظيمًا جدًا واتساعها باهرًا.

* ولكنه رأى أن العرب لا تتجه إلا إلى البيت العتيق، ورأى أهل اليمن أنفسهم يَدْعون البيت الذى

بناه، وينصرفون إلى مكة؛ . . . واشتد غيظُ العرب، واشتعلت نيران الحقد فى نفوسهم فقام رجل من كنانة فخرج من أرضه حتى وصل إلى صنعاء ودخل الكنيسة فى وقت لم يكن فيها أحد وقضى حاجته فى الكنيسة وترك فيها تلك النجاسات وخرج.

فلما علم أبرهة بذلك، غضب غضبًا شديدًا وقال: من صنع هذا؟

فقيل له: صنعه رجل من أهل هذا البيت الذى تحجُّه العرب بمكة لما سمع بقولك إنك تريد أن تصرف حجَّ العرب إلى بيتك هذا فغضب فجاء فأحدث فيها.

فغضب أبرهة عند ذلك وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه.

ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت.

ثم سار وخرج معه بالفيل وسمعت بذلك العرب فأعظموه وفظعوا به ورأوا جهاده حقًّا عليهم حين

سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام.

فخرج إليه رجل كان من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نفر.

فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام وما يريده من هدمه وإخرابه. فأجابه من أجابه إلى ذلك، ثم عرض له فقاتله.

فهُزم ذو نفر وأصحابه وأُخذ له ذو نفر فأُتى به أسيرًا.

فلما أراد قتله قال له ذو نفر: يا أيها الملك لا تقتلنى فإنه عسى أن يكون بقائى معك خيرًا لك من القتل. فتركه ولم يقتله وحبسه عنده فى وثاق وكان أبرهة رجلاً حليمًا.

* ومضى أبرهة فى طريقه يريد هدم الكعبة.

ولما وصل إلى أرض (خثعم)، خرج له رجل اسمه

نُفيل بن حبيب الخثعمي ومعه رجال أقوياء من قبيلة خثعم «وهما: شهران وناهس» مع جماعة أخرى من قبائل العرب، فقاتلوا أبرهة الحبشى، فهزمهم أبرهة وأخذ نُفيل بن حبيب أسيراً.

فلما أراد قتل نُفيل، قال له نُفيل: أيها الملك! لا تقتلنى، فإنى سأعمل معك وسأكون لك دليلاً فى أرض العرب أدلك على الطريق. فتركه أبرهة وخلَّى سبيله على أن يكون دليلاً له يُعرفه الطريق.

* فلما وصل أبرهة إلى بلاد الطائف، خرج إليه رجل اسمه مسعود بن معتب بن مالك ومعه جماعة من رجال ثقيف، فقالوا له: أيها الملك: إنما نحن عبيدك وسوف نكون طوع أمرك وسنرسل معك أيضًا مَنْ يدلك على الطريق إلى الكعبة..

* وسار أبرهة حتى وصل إلى مكان اسمه (المغمس) فأرسل رجلاً من الحبشة يقال له: الأسود بن

مفصود حتى وصل إلى مكة، فأخذ أموال تهَامة من قريش وغيرهم وأخذ مائتى بعيرٍ لعبد المطلب بن هاشم (جَدّ النبي ﷺ) . . . وكان عبد المطلب كبير قريش وسيدهم.

فأرادت قريش وكنانة وهذيل ومن كان من الحرم أن يقاتلوا أبرهة ولكنهم أحسوا بأنهم لن يقدروا عليه فتركوا ذلك.

* **وهناك بعث أبرهة رجلاً اسمه:** حناطة الحميرى إلى مكة وطلب منه أن يسأل عن سيد أهل هذا البلد . . . وأن يخبره بأن أبرهة ما جاء ليقاتلهم وإنما جاء لهدم الكعبة، فإن تركوه يهدم الكعبة، فلن يتعرض لهم . . وإن تعرضوا له فسوف يقتلهم.

ثم قال له أبرهة: فإن وجدت سيد أهل مكة لا يريد حربى فائتنى به، فلما دخل حناطة مكة، سأل عن سيد قريش وشريفها، فقيل له: عبد المطلب بن هاشم.

فجاءه فقال له: ما أمره به أبرهة.

فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام.

فإن كان الله (عز وجل) سيحفظ بيته ويحميه من أبرهة فهو بيته وحرمه وإن يترك أبرهة يهدمه فليس عندنا أحدٌ يستطيع أن يمنع أبرهة.

* **فقال له حناطة:** انطلق معى إليه فإنه قد أمرنى أن آتيه بك.

فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى وصل إلى جيش أبرهة، فسأل عن (ذى نفر)؛ لأنه كان صديقًا له، فعلم أنه محبوس عند أبرهة، فلما دخل عليه قال له: يا ذا نفر هل عندى حيلة نتخلص بها من أبرهة؟

فقال ذو نفر: وهل أملك أى حيلة وأنا رجل أسيرٌ

عنده أنتظر أن يقتلنى فى أى وقت... لكنى أعرف شابًا طيبًا اسمه: أنيس وهو سائس الفيل، فسوف أرسل إليه وأوصيه بك وأعرفه قدرك ومكانتك وأطلب منه أن يستأذن لك لتدخل على أبرهة وتكلمه وسأجعله يشفع لك عند أبرهة بخير إن استطاع.

فقال عبد المطلب: يكفينى هذا يا صديقى.

فبعث ذو نفر إلى أنيس فقال له: عبد المطلب سيد قريش وصاحب عين مكة، يطعم الناس بالسهل والوحوش فى رؤوس الجبال، فاستأذن له عليه وانفعه عنده بما استطعت.

قال: أفعل.

فكلم أنيس أبرهة فقال له: أيها الملك! هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك وهو صاحب عين مكة وهو الذى يُطعِم الناس بالسهل والوحوش فى رؤوس الجبال، فائذن له عليك، فليكلمك فى حاجته، فأذن له

أبرهة قال: وكـان عبد المطلب أوسـم الناس وأعظمهم وأجملهم، فلما رآه أبرهة أجلَّه وأكـرمه عن أن يجلسه تحته وكره أن تراه الحبشة يُجلسه معه على سرير مُلكه.

فنزل أبرهة عن سريره، فجلس على بساطه وأجلسه معـه عليه إلـى جانبه، ثـم قال لترجـمانه: قل لـه ما حاجتك؟ فقال له ذلك الترجمان... فقال: حاجتى أن يرد علىَّ الملك مـائتى بعيـر أصابهـا لى، فلما قـال له ذلك، قال أبرهة لتـرجمانه: قل له لقد كنت أعـجبتنى حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتنى.

أتكلمنى فى مائتى بعـير أصبتها لك وتتـرك بيتًا هو دينك ودين آبائك قد جئت لأهدمه، لا تكلمنى فيه؟

فقـال له عبـد المطلب: إنى أنا ربُّ الإبل وإن للبيت ربًّا يحميه.

فقـال أبرهة: لا يستطيع أحـدٌ مهما كـان أن يحمى البيت منى أبدًا.

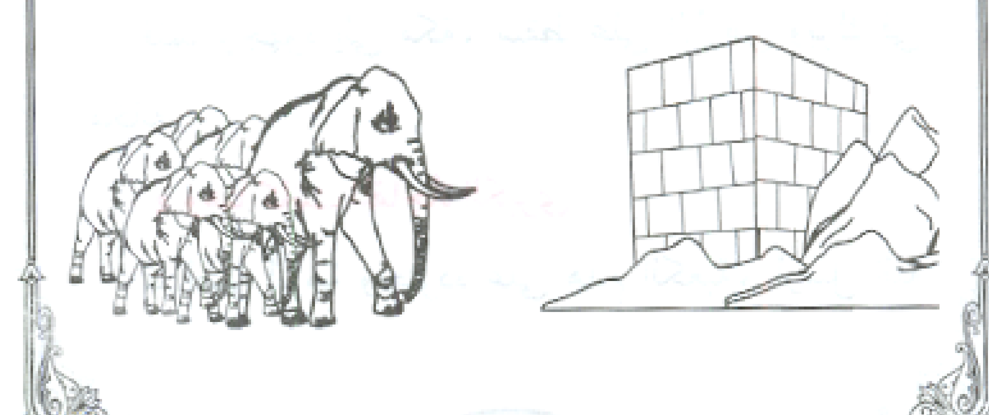
فقال عبد المطلب: أنت وما تريد.

وهنا أمر أبرهة جنوده فردُّوا على عبد المطلب مائتى بعير.

* فلما خرج عبد المطلب، ذهب إلى قريش وأخبرهم الخبر وأمرهم أن يخرجوا فوراً من مكة وأن يتحصنوا فى رؤوس الجبال.

* ثم قام عبد المطلب وأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفرٌ من قريش يدعون الله ويطلبون منه النصر على أبرهة وجنده.

* فلما أصبح أبرهة، تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله المرعب وجيشه الكبير وكان اسم الفيل: (محمود).



فلما وجهوا الفيل إلى مكة، أقبل نفيل بن حبيب حتى قام إلى جنب الفيل، ثم أخذ بأذنه فقال: ابرك محمود وارجع راشدًا من حيث أتيت، فإنك فى بلد الله الحرام وأرسل أذنه. فبرك الفيل... أى: سقط على الأرض.

* وهنا خرج نفيل بن حبيب يجرى حتى صعد الجبل.

وأما أبرهة وجنوده فقد ضربوا الفيل؛ ليقوم من مكانه؛ فأبى فضربوا رأسه بالفأس ليقوم فأبى.

فوجهوه راجعًا إلى اليمن فقام يهرول ويجرى..

ووجهوه إلى المشرق، فقام يهرول ويجرى.

فلما وجهوه إلى مكة، سقط على الأرض وبرك فى مكانه.

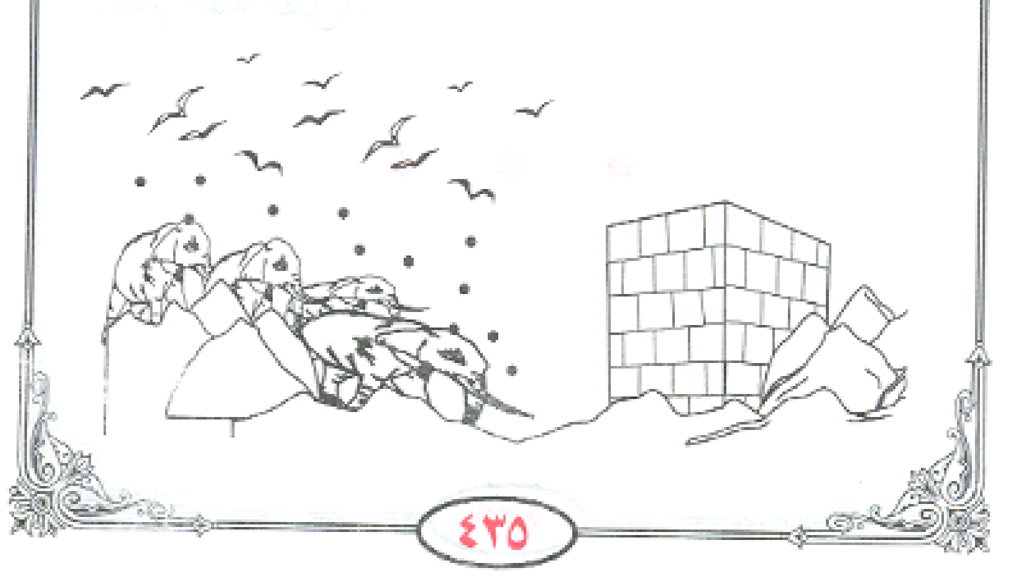
* وهنا كانت المفاجأة الكبرى.

لما أصر أبرهة وجنوده على هدم الكعبة، أرسل الله

عليهم طيرًا من البحر أمثال الخطاطيف... مع كل طائر منهم ثلاثة حجارة يحملها... حجرٌ في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس، لا تصيب منهم أحدًا إلا أهلكته.

فخرجوا هاربين مرعوبين يبحثون عن الطريق ويسألون عن نُفيل بن حبيب؛ ليدلهم على الطريق إلى اليمن.

* وأُصيب أبرهة في جسده وخرجوا به تسقط أناملُه أُنملة أُنملة.. كلما سقطت أنملة، اتبعتها منه مِدَّة تسيل قيحًا ودمًا حتى وصلوا به إلى صنعاء، فانصدع صدره عن قلبه حتى مات.



* وأما أبو رغال الذى بعثته قبيلة ثقيف مع أبرهة ليدله على الطريق إلى مكة، فقد مات فى الطريق بمكان يقال له: (المغمس) فكان العرب يرجمون قبره بالحجارة بعد موته.

* وأما قائد الفيل وسائسه فقد أعمى الله أبصارهما فكانا يجلسان فى الطرقات بمكة يسألون الناس الطعام والشراب.

* وهذا كله جزاء من تعرض لهدم بيت الله الحرام.

فلقد حمى الله بيته الحرام؛ لأنه سيكون قبلة لسيد ولد آدم محمد بن عبد الله ﷺ الذى وُلد فى نفس العام (عام الفيل).



الدروس المستفادة:

(١) أن أعداء الإسلام لا يحبون الخير للمسلمين أبدًا.

(٢) أن الواجب على المسلم أن يبذل كُلَّ ما يستطيع من أجل الدفاع عن دينه ووطنه.

(٣) أن المسلم لا ينبغي أن يحرص على مصلحته الشخصية فقط بل ينبغي عليه أن يحرص على مصلحة دينه ووطنه والمسلمين من حوله...

فلقد رأينا كيف أن أبرهة قد غيَّر رأيه في عبد المطلب؛ لأنه ظن أنه يريد أن يمنعه من هدم الكعبة فوجده قد جاء ليسأل عن بعيره.

(٤) أن الله هو الذى يحمى دينه ويدافع عن الذين آمنوا... ولقد رأينا كيف أن الله حمى بيته من أبرهة وجنوده؛ لأن هذا البيت سيكون قِبلة للنبى ﷺ وأمته.

(٥) أن من أراد الإسلام والمسلمين بسُوءٍ، فإن الله (عز وجل) ينتقم منه ويجعله عِبرة للناس.

❊ ❊ ❊

الفهرس




من إصداراتنا
فقه المسلم
فقه المسلم
فقه المسلم
فتاوى الحج والعمرة
موسوعة الحقوق الإسلامية
لا تحزن وابتسم للحياة
ساعة وساعة
نوادر وعجائب
ليلة في بيت النبي
المصارع
يوم في الجنة
أصحاب الرسول
صحابيات حول الرسول
السحر الحلال
كيف تكسب قلوب الناس
رفقاً بالمخطئين
موسوعة الزواج الإسلامي السعيد
تحذير الساجد
من أخطاء العبادات والعقائد
سيرة الرسول
رحلة إلى الدار الآخرة
أذكار الطفل المسلم
منهاج الطفل المسلم
مسك الختام
يوسف الأحلام
حكايات عمو محمود
حكايات عمو محمود
قصص الأنبياء
قصص الرسول
قصص القرآن
تفسير جزء عم
سيرة الرسول للأطفال
أخلاق الرسول
أصحاب الرسول
أمهات المؤمنين
الآداب الإسلامية
معجزات الأنبياء وكرامات الصحابة